الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

معهد الدعوة و أصول الدين

مكتبة جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الاسلامية
الدورية رقم : 291
410

منهج القرآن الكريم

في

نقد الأديان

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة و مقارنة الأديان.

إعداد الطالب:
محمد بوالروايح

إشراف الدكتور:
بشير بوجنانة

أعضاء لجنة المناقشة:

د. ____________

د. ____________

د. ____________

د. ____________

السنة الجامعية: 1415 هـ
1994 م / 1995

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول :

مفهوم الدّين ، وخصائص الدّين السّماوي ، والدّين الوضعي .

تمهيد :

المبحث الأول : مفهوم الدين في اللّغة، والإصطلاح .

المبحث الثاني : فطرية التّدين في الطبيعة البشرية .

المبحث الثالث : خصائص الدّين السّماوي ، والدّين الوضعي .

المبحث الرابع : وحدة الدّين السّماوي - قبل التّحريف - في القرآن الكريم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى والداي الكريمين اللّذين ربّياني صغيرا ، وكانا سببا في وجودي .

وإلى أساتذتي الأجلّاء الذين علّموني ، وأخذوا بيدي لأشق طريقي في درب العلم واكتسابه .

وإلى كل من أعانني على إنجاز هذا البحث ، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور بشير بوجنانة .

وإلى الزّوجة الكريمة التيّ أسهمت معي في إخراج هذا البحث إلى الوجود.

وإلى عمال شركة IBF بفرجيوة على ما قدّموه لي من يد المساعدة .

فإلى كلّ هؤلاء أهدي هذا البحث راجيا من اللّه أن يجعله خالصا لوجهه الكريم .   واللّه الموفّق وهو من وراء القصد .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد :

لقد صاحبت العقيدة الدّينية الإنسان منذ الأزل ، وإرتبط وجودها بوجوده ، فقد كان لكل جماعة بشريّة عبر التّاريخ عقيدة تدين بها ، وتحتكم إليها ؛ فتعدّدت العقائد ، وإختلفت ، فمنها ما يصدر عن الوحي الإلهي وهو حال العقائد الإلهية ، التيّ رسمت معالمها الرّسالات السّماوية ، ومنها مايصدر عن العادة المستحكمة ،والتقاليد السائرة ، الموروثة ،وهو حال العقائد البدائية ،التيّ هي أقرب إلى الخرافة ، والأساطير منها إلى العقيدة الدينية ، ومن العقائد ما يقوم على إنكار الألوهية، أو تغيير ملامحها الإلهية ، والسماوية كما هو حال عقيدة الدهريين ، والوثنيين على مرّ العصور .

ومهما يكن لون ، أو طبيعة العقيدة سّماوية كانت، أو وضعية ، فإن ما يجب تأكيده هو أن الإنسان لم يعش في تاريخه الطويل بدون عقيدة .

والقرآن الكريم قد سجّل عقائد بني الإنسان ،وطرائقها ، وأثبت أن هذه العقائد منها ما هو من ابتداع الإنسان ، كالعقائد الوثنية ، ومنها ما هو من وضع إلهي ، ولكن مع طول العهد ، دبّ إليها التحّريف ، والتغّيير فأفسد طبيعتها الإلهية وهي عقائد أهل الكتاب .

وقد عُرضت كل هذه العقائد على محك الوحي الإلهي ، والبرّهان العقلي ، وأجاز القرآن منها ما هو صالح ، وردّ ما هو فاسد ، والقصد من ذلك ظاهر وهو تأكيد وحدة الدّين السّماوي ، وحقيقة التّوحيد، التي جاءت الرّسالات السّماوية من أجلها .

وقبل الحديث عن هذه المسائل سنتعرض لمفهوم الدين ،الذّي يعدّ ضرورة يقتضيها الموضوع ، ومن ثم فإنني سأعرض آراء العلماء في تعريف الدّين ، ثم أتعرّض لفطرية فكرة التّدين في الطبيعة البشريّة ، ثم أبينّ خصائص الدّين السّماوي ، والدّين الوضعي ونقاط الاتفاق ، والاختلاف بينهما، وأعقب على ذلك ببيان وحدة الدّين السّماوي –قبل التحّريف– في القرآن الكريم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : مفهوم الدين في اللغة والإصطلاح .

ا) مفهوم الدين في اللغة :

إذا ما رجعنا إلى القاموس المحيط ، أو إلى لسان العرب ، أو إلى غيرهما من المعاجم نجد عدة معان مختلفة للدين ، فالدّين هو الملك ،وهو الخدمة ، وهو العز، وهو الذل ، وهو الإكراه ،وهو الإحسان وهو العادة ،وهو العبادة ، وهو القهر ،وهو السلطان ،وهو التذلل، وهو الخضوع ، وهو الطاعة ، وهو المعصية ،وهو الإسلام ،وهو التوحيد ،وهو اسم لكل ما يُعتقد ، أو لكل ما يُتعبّد الله به ...الخ (١) .

والواقع أن الكلمة المراد شرحها ليست كلمة واحدة، بل ثلاث كلمات ، أو إنها بعبارة أدق تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب .

فكلمة " الدّين " تؤخذ تارة من فعل متعدّ بنفسه << دَانَ يُدِينهُ >> ، وتارة من فعل متعدّ باللام << دَانَ لَهُ >> ، وتارة من فعل متعدّ بالباء << دَانَ بِهِ >> وباختلاف الاشتقاق تختلف الصور المعنوية، التي تعطيها الصيغة ويوضح ذلك عبد اللهّ درّاز (٢) كمايلي :

أولا - إذا قلنا << كانهُ ديناً >> عنينا بذلك أنه ملكه ،وحكمه، وساسه ،ودبّره، وقهره ،وحاسبه وقضى في شأنه ، وجازاه ، وكافأه ،فالدّين في هذاالإستعمال يعطينا معنى الملك ، والتّصرف بما هو من شأن الملوك من السياسة، والتّدبير ،والحكم ،والمحاسبة ومن ذلك قوله تعالى :

" مَالِكِ يومِ الدّينِ " (٣) أي يوم المحاسبة والجزاء .

جاء في صفوة التفاسير :<< مَالِكِ يومِ الدّينِ >> أي : هو سُبحانه المالك للجزاء ، والحساب المتصرّف في يوم الدّين تصرّف المالك في ملكه (٤) .

وفي الحديث :<< الكَيّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ >> (٥) أي :حكمها ،وضبطها ، والدّيان الحكم القاضي .

ثانيا- وإذا قلنا << دَانَ لَهُ >> قصدنا أنه أطاعه ، وخضع له ، فالدّين هنا هو الخضوع

---

(١) الفيروزابادي :القاموس المحيط، دار الكتاب العربي - بدون تاريخ - ج ٤ ،ص ٢٢٥ .
وانظر أيضا : ابن منظور : لسان العرب ، دار المعارف ، ج ٢ ، مادة (دين) وما يشتق عنها ص ١٤٦٧ إلى ١٤٧٠ .

(٢) عبد الله دراز: الدين، ص٢٦ .

(٣) سورة الفاتحة : آية ٣ .

(٤)محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم - بيروت ط ٤ (منقحة) ١٩٨١ -المجلد الأول ،ص ٢٥ .

(٥) رواه الترمذي: في سننه كتاب القيامة، دار الفكر ، وابن ماجة : في سننه كتاب الزهد ، دار الفكر ج ٢ ص ١٤٢٣ من حديث أبي يعلى شداد بن أوس قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -:(الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها ، ثم تمنى على الله).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والطاعة ،والعبادة ،والورع ، ومن هذا المنطلق يمكن فهم معنى أن الدّينَ لله ، أن الحكمَ للّه، أو أن الخضوع له سبحانه وتعالى .

ويجب أن نلاحظ هنا أن هذا المعنى مرتبط بالأول ؛ فدان فلان له أي : قهره على الطاعّة ، فخضع، وأطاع .

• ثالثا - وأما قولنا << دَانَ بِالشَّيْءِ>> فإن معناه إتّخذه دِينًا ، ومذهبا ،وهذا يعني أن المقصود بالدّين ، المذهب ، أو العقيدة ،التيّ يعتنقها الإنسان نظريا وعمليا .

ومن الواضح أن هذا المعنى الثالث غير منفصل عن المعنيين السّابقين ؛ لأن العقيدة التي يدان بها لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها ، ويلتزم بها .

وعلى نحو ماذهب إليه محمد عبد اللّه دراز ، فإن كلمة الدّين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ،ويخضع له ؛ فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعا ، وانقيادا ، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمرا ، وسلطانا ، وحكما ، وإلزاما ، وإذا قصد بها الرباط الجامع بين الطرّفين كانت هي الدسّتور المُنظّم ، لتلك العلاقة ، أو المظهر ، الذيّ يعبر عنها .

ونستطيع القول : إن مادة الدّين كلهّا تدور حول معنى لزوم الانقياد ، فالدّين في الاستخدام الأول يشير إلى الإنقياد ، وفي الإستخدام الثّاني يشير إلى التزام الإنقياد ، وفي الإستخدام الثالث يشير إلى المبدأ ، الذي يتمّ الإنقياد له .

وإذا ما حاولنا إيجاد الإرتباط بين الدَّين (بفتح الدال) والدِّين (بكسر الدال) ، نجد أن اللّفظين يتضمّنان معنى الإلزام ، وإن كان المعنى الأول يشير إلى الإلزام المالي، بينما يشير المعنى الثاني إلى الإلزام الأدبي .

ولعلّ هذا البيان يوضح خطأ وجهة نظر بعض المستشرقين الذاهبين إلى أن مادة "الدّين " لها أصل عبري ،أو فارسي وأنها دخيلة على اللّغة العربية وهدفهم من وراء هذا الزعم الخاطئ هو تجريد العرب من كلّ فضيلة بما فيها فضيلة البيان وهي أبرز قدرات العرب (١) .

(١) نبيل محمد توفيق السّمالوطي: الدّين و البناء الإجتماعي ، دار الشروق - جدة ط١ ١٩٨١ ،ج٢ ص ١٩ .

مقدمة :

- ١ - التّعريف بالبحث وحدوده :

إن دّراسة المنهج القرآني في نقد الأديان ، وبيان ما في هذا المنهج من وجوه الاستدلال ، وتحديد ملامح ما انطوى عليه من أدلّة فطرية ، وعقلية ، وواقعية ، ومحاولة تحليل ما تشتمل عليه من خصائص ، وما ترمي إليه من أبعاد غائية ، هي في حقيقة الأمر دراسة تندرج ضمن طريقة تبيان وجه من وجوه القرآن الكريم المنهجية والاستدلالية ، وهو ما يعبر عنه بالتّنبيه على طرق الاحتجاج العقلي والرّد على الفرق الدينية الأخرى ، ببراهين قوية وأدلة بيّنة ، وهذه الوجوه الاستدلالية تؤكد -ولاشك- أن القرآن الكريم كتاب الحجة والبرهان ، وأنه يعرض عقيدته عرضا واضحا ، ويناقش العقائد الأخرى وفق هذا العرض.

والتّركيز على الطريقة العقلية في عرض العقيدة في القرآن الكريم ، لا ينبغي أن يفهم منه أن القرآن الكريم قد ضرب الذّكر صفحا عن غيرها من الطرق الفطرية ، والواقعية ، والموضوعية ، التّي تمثّل هي الأخرى خصائص مهمّة من خصائص المنهج القرآني في نقد الأديان ، فلقد تبيّن لي من دراسة هذا المنهج أن القرآن الكريم أقام الجدل العقائدي على أساس التّركيز على دور المنهج الفطري في تقرير عقيدة التوحيد ، ورفض انطلاقا من هذا الأساس الأول - عقائد الشرك والوثنية ، وعقائد أهل الكتاب .

كما أن القرآن الكريم إلى جانب تركيزه على المنهج الفطري قد ركز أيضا على المنهج الواقعي، الذي يقيم صلة وثيقة بين العقيدة الدّينية كتصوّر اعتقادي ، وبين ما تعرضه هذه العقيدة من إيحاءات واقعية تنطلق من واقع الإنسان أولّا وأخيرا .

وإلى جانب المنهج العقلي ، والفطري ، والواقعي ، فقد نال الجانب الموضوعي حظّه الأوفر من الجدل القرآني فلقد أبان القرآن الكريم - من خلال استقرائنا لنصوصه - أن مناقشة أي عقيدة دينيّة لا يمكن أن يكون مجديا ومثمرا إلا إذا وقع في جو من الحرية والموضوعية بعيدا كلّ البعد عن الضغط ، والإكراه وما فيهما من خلفيات من شأنها أن توصد الباب أمام الحقيقة ، التّي يراد تقريرها .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والخلاصة أنه إذا ما رجعنا إلى معاجم اللّغة العربية ،وكتب التّفسير نجد مجموعة متعدّدة من المدلولات لكلمة <<دين >> ، فهو معناه الملك ، والسلطان ، ومعناه الطاعة، والعبودية ، ومعناه العقيدة والملة ، ويقصد به الطريقة ، والمنهاج كما يقصد به شريعة الإسلام .

هذا عن معنى الدّين في اللغة ، وقد رأينا أن مادة كلمة دين لغويا تدور كلها على معنى لزوم الإنقياد .

٢) -مفهوم الدين في الإصطلاح :

أما في العرف ، والاصطلاح عند الإسلاميين ، فإن من أشهر التعّريفات للدّين أنه :<<وضع إلهي سائغ لذوي العقول السليمة ، بإختيارهم إلى الصلاح في الحال ، والفلاح في المآل >> (١) وهذا يشير إلى أن الدّين وضع إلهي يرشد إلى الحقّ في الإعتقادات ، وإلى الخير في السّلوك، والمعاملات .

ويرى عبد الحليم محمود أن التّعريف الصادق للدّين :<< هو إسلام الوجه للّه وأن إسلام الوجه للهّ هو التوحيد حيث يذهب إلى القول بأن الدّين وإسلام الوجه للّه ، والتّوحيد ، والإسلام ، كلّها بمعنى واحد يفسر بعضها بعضا ، ويشرح بعضها بعضا ، وكلّها مطلقة عامّة لا يحدّها زمان ، ولا مكان (٢) ، وكلمة <<الإسلام >> خير ما يعبّر عنها في جرسها، وفي كمالها قوله تعالى :<< اليومَ أكملتُ لكمْ دِينَكمْ وأتْممتُ عَليكمْ نِعمتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلاَمَ دِينًا >> (٣).

ويفهم من تعريف عبد الحليم محمود للدّين أن الدّين عنده مرادف للإيمان ،والإسلام ، وأنّه لا يمكن الفصل بأي حال من الأحوال بين هذه الأصول الثّلاثة ، التي تهدف إلى غرض جامع وهو الدّلالة على التّوحيد المطلق .

أما مصطفى عبد الرّازق فقد كانت له تعاريف عديدة لمعنى كلمة الدّين ، وتحدّث عن المعنى الشّرعي لكلمة << الدين >> حيث يرى أن القرآن قرّر في أمر الدّين أصولا جعلت للدّين معنى شرعيا خاصا <<فالدين >> لا يكون إلا وحيا من اللّه لأنبيائه ، الذّين يختارهم من عباده ، ويرسلهم أئمة يهدون بأمره .

---

١) أحمد عبد الرحيم السايح : بحوث في مقارنة الأديان (الدين نشأته – الحاجة اليه)
ار الثقافة – الدوحة– ط: ١ – ١٩٩١، ص ٩٩ .
٢) عبد الحليم محمود: الإسلام و العقل ،دار الكتب الحديثة ص٢٧ .
٣) المائدة : ٣ .

والقرآن الكريم في مجال تقرير هذه الحقائق كلّها يؤكد على أمرين اثنين :

الأمر الأول : تأكيد المصدر الربّاني للدّين السّماوي .

الأمر الثاني : تأكيد حقيقة النبوة انطلاقا من تاريخ النبّوات،وما يشتمل عليه من قصص تاريخي

وأظن أن هذا المنهج بكل جوانبه الفطريّة،والعقلية ،والواقعية،والموضوعية ، والرّبانية ، والتّاريخية هو منهج أمثل تحتاج إليه العقلية الإسلامية في تناولها للعقائد ، وفي تحليلاتها لقضاياها الفكرية عموما وذلك في خضم الصراع العقائدي والفكري ،الذي تجد نفسها بحكم الواقع مقحمة فيه إقحاما لا تجد له دفعا ،ولا تملك له ردا .

هذه هي أهم الأفكار والعناصر ، التيّ يشتمل عليها الموضوع ، الذي نحن بصدد بحثه .

- ٢ - غرض البحث :

ويتلخّص في تقديم دراسة منهجية لموقف القرآن الكريم من الأديان ، ومنهجه في نقدها و الذي يمتاز بعدة خصائص ، التيّ نحن بصدد بحثها ، والكشف عنها ، والتيّ نريد من ورائها تحقيق الأهداف التالية :

أ-بيان مفهوم القرآن الكريم للدّين ، وتصحيح هذا المفهوم في الأديان ، التي كانت موضع النقد، والدراسة .

ب - بيان وحدة الدين السّماوي قبل التحريف ، والرّد على القائلين بوحدة الأديان .

ج-بيان موقف القرآن الكريم من العقائد الأخرى، ومن الأفكار التيّ تطرحها ، وفي مقدمتها فكرة الألوهية ، التيّ تعد لبّ كل عقيدة دينيّة على اختلاف طبيعتها .

وبالإضافة إلى هذه الأهداف العامّة هناك أهداف خاصة لهذا البحث ،والتيّ نجملها في مايلي :

أ - بيان معالم المنهج القرآني في نقد الأديان ، وصلاحية هذا المنهج في تأكيد عقيدة التوحيد، ورد

وهذا الدّين ، الذيّ يوحيه اللّه إلى أنبيائه هو واحد لا يختلف في الأولّين ،والآخرين و هذا الدين الواحد هو المعبر عنه في آيات القرآن << بالإيمان >> وعن أهله << بالمؤمنين >> << والذين آمنوا >>. (١)

فالدّين في تعريف مصطفى عبد الرّاز ق ، يُراد به الإيمان ، الذيّ هو وحيُ اللّه إلى أنبيائه منذ بدء الرّسالات.

ويقول محمد عبده عند تفسير قوله تعالى :<< فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ >> (٢).

قال : إن المراد بالدّين هنا هو خلوص السّريرة للحّق ، وقيام النفّس بصالح العمل وهو ما كان يدعو إليه -صلىّ اللّه عليه وسلّم- وسائر إخوانه الأنبياء . (٣)

ونقل عنه محمد رشيد رضا (٤) الأوجه اللّغوية المتباينة ، التيّ تطلق على معنى كلمة الدين .

وعن تعريف الدّين قال محمد رشيد رضا :<< الدّين وضع إلهي يحسن اللّه تعالى به إلى البشر على لسان واحد منهم لا كسب له فيه ،ولا صنع ولا يصل إليه بتلقّ ،ولا تعلّم(٥) << إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى>> (٦) .

وسنضرب صفحا هنا عن التعّريفات ، التيّ عرّفها المستشرقون لكلمة الدّين ، وذلك لعدم تمكنّهم من فهم أسرار اللّغة العربية ، وعدم مقدرتهم على التذّوق اللّغوي ، والوضعي ، فلهذه الأسباب الموضوعية فإننا آثرنا عدم التعّرض لتعريفاتهم المختلفة لكلمة دين .

---

(١) مصطفى عبد الرازق : الدين و الوحي و الإسلام ص٢٥ .
(٢) التين :آية ٧ .
(٣) محمد عبده: تفسير جزء (عم) ، ص ١٢١ .
(٤) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ج ١، ص ٥٥ .
(٥) المصدر نفسه ،ج ٢ ، ص ٦٩ .
(٦) النجم : آية ٤ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كل ما يخالفها من عقائد الوثنية وغيرها .

ب -بيان أن القرآن الكريم في نقده للأديان ؛ لايعتمد على التسليم المطلق بفطرية التوحيد ،ورفض كل نقاش حولها، بل إنه يعمد إلى إثارة الجوانب العقلية، والواقعية ، والتاريخية ، وغيرها ، والتي تثبت فطرية هذه العقيدة ،وأصالتها في النفس البشرية .

ج- بيان أن القرآن الكريم في نقده للأديان لا ينطلق من قاعدة رفض العقائد الأخرى ابتداء دون عرضها على محك النقد ، لمعرفة ماتنطوي عليه من خطأ ،أو صواب،بل إنه يعرض العقيدة بموضوعية ،ودون أحكام مسبقة ، ثم يصدر حكمه عليها ، ويحدد موقفه منها .

والجواب على هذه الأسئلة- كلها جدير بأن يساعدنا على تقديم صورة صادقة عن المنهج القرآني في نقد الأديان .

- ٣ - الدراسات السابقة :

إن الأمانة العلمية تقتضي مني أن أذكر الدراسات السابقة في هذا الموضوع ، فلست أول من أدلى بدلوه فيه ، فالباحث كما هو معلوم لا ينطلق من فراغ ، بل إنه في الغالب يبدأ من حيث انتهى غيره .

وأخص بالذكر هنا الدراسات ، التي قام بها سيد قطب في ظلال القرآن ، والتي ساعدتني كثيرا على رسم معالم المنهج القرآني في نقد الأديان ،والإهتداء إلى بيان الخصائص العامة لهذا المنهج ،وكذلك الدراسة التي قام بها الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه :<< الخصائص العامة للإسلام >> .

والدراسة التي قام بها الشيخ أبو زهرة ،وأحمد شلبي ، ومحمود بن الشريف ،والدكتور عبد المجيد الشرفي (١) ، وغيرهم ،فلقد اطلعت على ما كتبوه في الموضوع ، فاستفدت منه في إنجاز هذا البحث ، الذي لا أزعم أنه يقدم الصورة النهائية لمنهج القرآن الكريم في نقد الأديان ، وإنما هو خطوة لكل من يهمه البحث في هذا الموضوع .

وإنني أعترف أن بحثا كهذا واسع جدا ، ووعر المسالك ، ولابد أن يستوفى بالاستقصاء ، والدراسة من باحثين آخرين .

---

(١) أنظر محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ، و أحمد شلبي :موسوعة التاريخ الإسلامي محمود بن شريف : الأديان في القرآن و عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى.

٣) مفهوم الدّين في القرآن الكريم :

قد جاء لفظ الدين في القرآن الكريم بعدة معان مترابطة ؛ منها قوله تعالى :<<وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا ، مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ، وَهُوَ مُحْسِنٌ >> (١) .

أي أحسن طاعة ،وعبودية ، ودان للّه بمعنى أطاعه ، وأحبّه ، و خافه (٢) .

وقوله تعالى :<< وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ >> (٣) .أي : يوم الحساب ، والجزاء (٤) .

أو يوم الملك الحقيقي ،حيث يتساوى جميع الخلق يوم القيامة ، وينادي يومئذ << لمن الملك اليوم ؟ للهّ الواحد القهّار >> (٥) .

وقال تعالى عن يوسف عليه السلام :<< مَاكَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ >> (٦).

أي : في قانون الملك ،ونظامه ، وشريعته ، وقوله تعالى : << الزَّانِيَةُ ، والزَّانِي ، فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ، ولاتَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ >> (٧) .

أي: في حكم اللّه ،وقانونه السّماوي. (٨) .

ويأتي لفظ الدّين في القرآن الكريم كذلك بمعنى المنهج ، والطّريقة يقول تعالى :<< لَكُمْ دِينُكُمْ ، وَلِيَ دِينِ >> (٩) .

أي:لكم منهجكم ،وطريقتكم في عبادة غير اللّه، ولي منهجي، وطريقتي في عبادة اللهّ وحده دون سواه .

وجاء في تفسير الجلالين :<< لَكُمْ دِينُكُمْ >> أي : الشّرك،(وَلِي دِينِ) أي: الإسلام ، وهذاقبل أن يؤمر بالحرب . (١٠) .

ويأتي الدّين في القرآن الكريم بمعنى الشّريعة السّمحاء ، والدّين الحنيف حيث يقول تعالى :

---

(١) النساء : ١٢٥ .
(٢) محمد علي الصابوني : المصدر السابق ، م ١ ، ص ٣٠٧ .
(٣) المدثر : ٤٦ .
(٤) تفسير الجلالين : شركة الشهاب ، الجزائر ،ج ٢ ، ص ٧٧٨ و صفوة التفاسير ، م ٣ ، ص ٤٨٠ .
(٥) غافر : ١٦ .
(٦) يوسف : ٧٦ .
(٧) النور : ٢ .
(٨) الصابوني : المصدر السابق ، ص ٣٢٦ .
(٩) الكافرون : ٦ .
(١٠) تفسير الجلالين ، ج ٢ ، ص ٨١٣ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ٤ - منهج الدراسة :

إن المنهج الذيّ إتبعته في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي النّقدي ، الذي يعتمد على استقراء العقيدة الدينية ،ومعرفة أسسها ، وأغراضها ،ثم نقدها من منطلق قرآني ، لإبراز مواطن الخطأ والصّواب فيها بموضوعية ،ودون حكم مسبق ، وذلك انطلاقا من قناعات خاصة بأن دراسة أي عقيدة دينيّة بحكم مسبق ، وبخلفية عقائدية أخرى أمر لا يؤتي ثماره ، ولا يحقق أهدافه ؛ لأن سيطرة الأحاسيس ، والمشاعر على الباحث من شأنه أن يوصد باب الحقيقة ، ويسدّ كلّ مسلك إليها ، فالبحث العلمي يفرض على الباحث المنصف أن يدرس العقيدة الدينية مجرّدا من النزعات ،والأهواء، والأحكام، المسبقة ، حتىّ لا يكون لها سلطان على الحكم ، أو أثر على الدّراسة .

- ٥ -أهمية البحث :

إن هذا البحث يكتسي أهمّية ، من حيث أنه يتعلق بالدين ،والعقيدة ،اللّذين هما المحور ، الذي تدور حوله أفكار الناس على اختلاف عقائدهم ، ومن حيث أن الصّراع القائم الآن في مجمله هو صراع ديني عقائدي ، ويأتي الحديث عن منهج القرآن الكريم في نقد الأديان ضرورة ملحّة يحتاج إليها المسلم لتحديد موقفه ،وموضعه من هذا الصراع ، ثم الاقتناع ، واقناع الآخرين بأن الإسلام هو الدّين ،الذيّ يصلح لقيادة البشرية ، لأنه دين الفطرة ،والعقل ، والحجّة، والبرهان .

- ٦ -أسباب اختيار البحث :

يمكن أن نلخص أسباب اختيار البحث فيمايلي :

أ - أسباب شخصية : فلقد دفعني الإهتمام بالقرآن الكريم إلى دراسته ،للإستفادة ممّا يعرضه من أساليب في التّعامل مع أهل العقائد الأخرى ، ولقد رأيت لتحقيق هذا المقصد ضرورة ملحّة لاستقراء منهج قرآني في عرض هذه العقائد ونقدها ، وهو ماكان حافزا لي للإهتمام بهذا الموضوع ، والكتابة فيه .

ب- أسباب موضوعية : فلقد هالني الحديث عن التّقارب بين الأديان ، أو ما يسمى في عرف بعض الباحثين بوحدة الأديان إلى ضرورة تفنيد هذا الزعم ببيان أن الاختلاف الجوهري بين الإسلام ، من حيث هو عقيدة سماوية صحيحة ، وبين العقائد الأخرى وفي مقدمتها اليهوديّة ،والنّصرانية ،من حيث هما

<< شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ >> (١) .

جاء في صفوة التّفاسير في تفسير هذه الآية :<< أي: سنّ وبيّن لكم أيّها المؤمنون ، من الشّريعة السّمحاء ،والدّين الحنيف ، ما وصّى به الرّسل ، وأصحاب الشرائع ، من مشاهير الأنبياء ، كنوح، ومحمّد عليهما السلام >> (٢) .

ويأتي الدّين في القرآن الكريم بمعنى نظام الحياة عامّة عقيدة ، وشريعة، وخلقا ، حيث يقول تعالى :<< إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ (٣) .

جاء في << صفوة التّفاسير >> في تفسير قوله تعالى : << إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ>> أي: الشرع المقبول عند اللّه هو الإسلام ولا دين يرضاه اللّه سوى الإسلام (٤) .

هذه هي المعاني الصحيحة للدّين ، كما وردت في إصطلاح الإسلاميين ، وفي القرآن الكريم .

تقييم وترجيح : بعد العرض ،الذي قدمناه عن مفهوم الدّين يمكن أن نسجل الملحوظات ، والنتائج التّالية :

١ -إن هناك غموضا ، وخلافا شديدا ، حول المعنى اللّغوي لكلمة << دين >> ؛ ومرد هذا الغموض، والخلاف بالدرجة الأولى إلى عجز المعاجم اللّغوية ، التي بين أيدينا عن إعطاء معنى لغوي محدّد لكلمة <<دين>> ، واقتصارها على الكشف عن الوجوه المتشعّبة لمعاني هذه الكلمة .

وقد إلتمس الدّكتور عبد اللّه دراز لهذه المراجع المعجمية العذر في أن مهمتها هي ضبط الألفاظ ، لا تحديد المعاني (٥) .

٢ -إن الدين في الإصطلاح الإسلامي ، هو وضع إلهيّ ،وهذا التعريف الإصطلاحي للدين عند الإسلاميين ، وإن اختلف في ألفاظه ، لاختلاف التعريفات ، فهو متّحد في المعنى .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(١) الشورى: ١٣ .
(٢) محمد علي الصابوني : المصدر السابق ، م ٣ ، ص ١٣٥ .
(٣) آل عمران : ١٩ .
(٤) الصابوني : المصدر السابق، ص ١٩١ .
(٥) محمد عبد الله دراز : المصدر السابق ، ص ٢٤ .

عقيدتان محرّفتان فهذا الإختلاف يمنع ويحول دون تحقيق هذا التّقارب بين الأديان ،والذي يتحمّس له بعض الباحثين كما ذكرنا .

وبالإضافة إلى هذه الأسباب ، التيّ أراها أسبابا موضوعية ، و جديرة بالذّكر هناك سبب آخر ويتمثّل في الحملة التبّشيرية ، التيّ تعمل على تغيير العقلية الإسلامية بعقلية نصرانية ، وتحاول أن تظهر المسيحية في مظهر المهيمن ، وذلك بإيهام المسلمين ، والعالم أجمع بأنها عقيدة الخلاص ، ولقد استطاعت هذه الحملة في ظل الجهل بالإسلام ، وبخاصة بالقرآن الكريم ،إلى تخلي كثير من المسلمين عن عقيدة الإسلام ، أو إثارة الشكوك حولها ،حتى عند بعض المتعلمّين منهم ،فكان هذا التحرّش المسيحي حافزا لي للكتابة في هذا الموضوع ،وتعرية صفحة المسيحيين بأنهم ليسوا على شيء ، وطمأنة المسلم بأن الإسلام هو وحده دين الخلاص ، ودين العلم ، ودين العقل .

جـ - أسباب اجتماعية :

إن كثيرا من الدّارسين المسلمين ليس لهم تصوّر واضح عن منهج القرآن الكريم في نقد الأديان وكان من نتائج هذا :

1 -إندفاع إرتجالي إلى الاحتجاج بالقرآن الكريم بغير حجّة ، ولا سلطان مبين ،وبالتّالي الفشل في إقناع الآخرين بعقيدة الإسلام .

2- إيجاد نفسيات مهزومة لاتصمد أمام الجدال العقائدي ، بما يطوّعها ، ويجعلها أهدافا سهلة للتّبشير والتّنصير .

فهذه الأسباب كلّها هي التي دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع ،لعلّي أسهم في إيضاح هذه الحقائق، والتّصدي لحملات التّبشير ،والتّنصير .

- ٧ - المراجع والمصادر :

إن القرآن الكريم هو المصدر الأول لهذه الدّراسة ،وتلي ذلك كتب التّفاسير المأثورة ، والمشهورة كتفسير الظّلال ، وتفسير ابن كثير ، وتفسير الطبّري ، والرّازي ، وتفسير المنار وغيرهم .

ثم تأتي بعد ذلك المصادر القديمة وفي مقدّمتها الملل والنّحل للشّهرستاني ، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، .والجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح لابن تيمية ، و الأصنام للكلبي، وغيرها من المصادر القديمة .

فالتعريف الأشهر للدّين عند الإسلاميين ، هو أن الدّين : (وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل .(١) .

٣ -يلاحظ أن تعريف الإسلاميين للدّين ، قاصر على الدّين المنزّل ؛ وذلك لجعلهم كلمة << وضع إلهي >> قيدا في جميع التعاريف وكأنهّم بذلك لا يسمّون الأديان << الطبيعية ، والوضعية >> ، التيّ قام الإنسان بوضعها بنفسه ، عن طريق عوامل إنسانية كالوثنية، والبوذية -دينا- مع أن القرآن الكريم قد سمّاها بذلك .

حيث قال عزّ من قائل :<< وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا >> (٢) ،

وقال :<< لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ >> (٣) ،

وذلك يرجع إلى أنهم قد قصروا مفهوم الدّين ، على الدّين الصّحيح وهو الدّين المنزّل وأما الأديان الوضعية فهي -من وجهة نظرهم -باطلة كلهّا بغض النّظر عن فحواها ، وغاياتها (٤) .

٤ - عدّ كثير من الإسلاميين : الدّين ، والإسلام ، والملّة ، والشّريعة ، والمذهب ، كلمات مترادفة فتراهم يقولون : دين الإسلام ، وملّة الإسلام ، وشريعة الإسلام ، ومذهب الإسلام (٥) .

وفي حقيقة الأمر فإنّ الدّين أعم من كلّ ذلك ؛ فهو أعم من الإسلام إذ أن الإسلام دين ، وليس كل دين إسلاما ، وهو أعم من الملةّ ، والشريعة ؛ لأنهّما إسم لما عدا العقائد من العبادات، والمعاملات ، والدين إسم للجميع، وهو أعم من المذهب ، لأن المذهب إسم لجملة من آراء اجتهادية، استنبطها بعض مجتهدي المسلمين ، وعمل بها جمهور منهم كالمذاهب المعروفة (٦) .

فمفهوم الدّين أعم من الإسلام ، والملّة ،و الشّريعة ،والمذهب ، ورأينا في ذلك أنها ليست مترادفات ، كما ذكر بعض الباحثين المسلمين، وإنما هي معاني إشتقاقية ، فالدّين هو الإسلام؛ لقوله تعالى : << إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ >> (٧)

(١) أنظر : التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ، ط صبيح - القاهرة بدون تاريخ - ص ٥٠٣و المعارف الإسلامية ، ج ٩ ، ص ٣٦٨ .

(٢) آل عمران : ٨٥

(٣) الكافرون : ٦ .

(٤)أنظر : رشدي عليان و سعدون الساموك : الأديان - دراسة تاريخية مقارنة- دارالحرية بغداد ، ١٩٧٦ ،ص ٢٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٢ ،و انظر : محمد علي ناصر : أصول الدين الإسلامي ، ص ٤ و الجرجاني : التعريفات ، ط بيروت ، ص ٩٤ .

(٦) أنظر : رشدي عليان و سعدون الساموك : المصدر السابق.

(٧) آل عمران : ١٩ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أما المصادر الحديثة فقد رجعت إلى كتاب (محاضرات في النصرانية)لمحمد أبي زهرة ، وكتاب(الأديان في القرآن) للدكتور محمد بن الشريف . وما كتبه أحمد شلبي في سلسلته (مقارنات الأديان) وخاصة ما يتعلق منها بالمسيحية واليهودية وغيرها من المصادر .

- ٧ -الصعوبات :

إن الصعوبات ،التي واجهتني في كتابة هذا البحث تتلخص في مايلي :

1-قلة ماكتب حول الموضوع ، فما وجدته لايعدو أن يكون شتاتا في ثنايا بعض الكتب ، إجتهدت في جمعه ،وتصنيفه ،وصياغته ، بما يخدم المحاور الأساسية للبحث .

2 - صعوبة تحديد مفهوم الدين ومرد هذه الصعوبة إلى الإختلاف الحاصل بين علماء مقارنة الأديان حول مفهوم الدين ، حتى بين الباحثين المسلمين أنفسهم ، فلقد ناقشت آراءهم ، وعلقت عليها ، وبينت المفهوم القرآني للدين بعيدا عن التأويلات الشاذة .

3- صعوبة الحصول على المراجع ،والمصادر المطلوبة مما يستحيل معه تسجيل تقدم ملحوظ في البحث

- ٨ -محاور البحث الرئيسية :

يشتمل هذا البحث على مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة .

ففي الفصل الأول تعرضت لمفهوم الدين ،وخصائص الدين السماوي، والدين الوضعي .

وفي الفصل الثاني بحثت منهج القرآن الكريم في نقد الوثنية .

أما الفصل الثالث فقد خصصته لبيان منهج القرآن الكريم في نقد اليهودية .

وفي الفصل الرابع تحدثت عن منهج القرآن الكريم في نقد النصرانية .

أما الفصل الخامس ،والأخير فقد ضمنته الخصائص العامة لمنهج القرآن الكريم في نقد الأديان

أما خاتمة البحث فتتضمن أهم النتائج المتوصل إليها .

وفي الختام أتوجه بجزيل الشكر ، وصادق التقدير إلى الأستاذ المشرف الدكتور بشير بوجنانة، الذي أعانني على إنجاز هذا البحث بتوجيهاته المنهجية ، كما أتوجه بجزيل الشكرإلى عمال شركة I B F بفرجيوة على مالقيت منهم من اهتمام كبير ،كما لا يفوتني أن أشكر إدارة جامعة الأزهر الشريف ، وإدارة جامعة عين الشمس بالقاهرة ، وذلك لما قدموه لي من مساعدة لإنجاز هذا البحث.

والله أسأل أن يأجرني على هذا البحث ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه ، وعظيم سلطانه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهو الملّة ، لأن الملك يمليه على الرّسول -صلى الله عليه وسلم -والرّسول -صلّى الله عليه وسلّم -يمليه علينا- ، وهو الشّريعة ، لأن الله شرعه لنا، أي : بيّنه لنا على لسان النبي -صلىّ الله عليه وسلّم (١) .

(١) أنظر : مبارك حسن حسين : بحوث في مقارنة الأديان ، ط الأمانة -مصر - ، ١٩٨٨ م ص ٦ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني :فطرية التدين في الطبيعة البشرية :

لقد مرّ بنا في المبحث الخاص بمفهوم الدّين في إصطلاح الإسلاميين ، أن الدّين من معانيه الإيمان، والإسلام وهو بهذا المعنى أصيل عند الإنسان ، أو بعبارة أوضح هو فطرة مركوزة في الطبع الإنساني ، ومادام أن مفهوم الدّين يدور حول معنى الفطرة ، كان لزاما علينا أن نجلي مفهوم الفطرة في مفاهيم أهل اللّغة ، ومفاهيم أهل الإصطلاح .

يقول إبن منظور فطر اللّه الخلق يفطرهم : أي خلقهم وبدأهم والفطرة الإبتداء والاختراع ، وفي القرآن الكريم : <<الحَمْدُ لِلّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ>>(١) .

قال ابن عباس -رضي الله عنهما -ماكنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها أي: أنا إبتدأت حفرتها (٢) .وذكر ابن عباس -رضي اللّه عنهما -أنه سمع أعرابيا يقول : أنا أول من فطر هذا أي:إبتداه (٣) .

والفِطرة بالكسر : الخِلْقَةُ (٤) .

قال الشّاعر :

هَوِّنْ عَلَيْكَ فَقَدْ نَالَ الغِنَى رَجُلٌ ... فِي فِطْرَةِ الكَلْبِ لاَ بِالدِّينِ وَالحَسَبِ (٥) .

وفي القرآن الكريم جاء على لسان إبراهيم -عليه السلام-:<<إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَاأَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ>>(٦) .

والفطرة ما فطر اللّه عليه الخلق من المعرفة به (٧) .

فيقول الرّاغب الأصفهاني : وفطر اللّه الخلق هو إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة مترشّحة لفعل من الأفعال فقوله تعالى :<< فِطْرَةَ اللَّهِ التِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا >> (٨) .

إشارة منه تعالى إلى ما فطره أي : أبدع وركز في النّاس من معرفته تعالى وفطرة الله :

---

(١) فاطر : ١ .
(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص٥١٩ .
(٣) ابن منظور : لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٤٣٣ ، مادة (فطر) .
(٤) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٣٤٢٣ .
(٥) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٣٤٣٣ .
(٦) الأنعام : ٧٩ .
(٧) ابن منظور ، المصدر السابق.
(٨) الروم :٣٠ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هي ماركّز فيه من قوّته على معرفة الإيمان (١) ؛لأن من معاني الفطرة ذلك الإقرار بالربّ نتيجة الميثاق ، الذّي أخذه اللّه من ذرية آدم -عليه السلام- قال تعالى :<< وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا : بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ >> (٢) .

يعني : أن الخلق مجبولون على المعرفة باللّه ؟ فهو شيء يجدونه في أنفسهم لا يستطيعون له دفعا ، وإذا أصابتهم ضرّاء دعوا اللّه ، ورفعوا إليه أكفهّم ، فمن أين جاءهم هذا التّوجه إلى الخالق ، وأنهّ هو الذّي يستطيع رفع الضّر ؟ إنها الفطرة المركوزة فيهم ولولا أن في النفّس قابلية لمعرفة اللّه ، ومحبّته ، والذّل له لما استطاع التّعليم ، والتّذكير أن يؤثر فيها ؛ فقوة المحبة لا تأتي من الخارج وإنما هي شيء في الدّاخل ، ولما دعا الرّسل أقوامهم إلى عبادة اللّه دعوهم إلى من يعرفونه ، ولم ينكر دعوتهم أحد (٣) .

وأما إنكار فرعون فهو إنكار العارف ، كما قال تعالى :<< وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا >> (٤) .وكما قال له موسى -عليه السلام -:<< قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ >> (٥) .

و يذكر بعض العلماء أن المراد بالفطرة : الإسلام ويستدل هؤلاء بقول اللّه تعالى :<< فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ ،الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ،وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ >> (٦) .

يقول ابن كثير : فسدّد وجهك واستمرعلى الدّين ، الذّي شرعه اللّه لك من الحنيفية ملة إبراهيم ، التيّ هداك اللّه إليها ،وكمّلها لك غاية التكميل ، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة ، التي فطر اللّه الخلق عليها ؛ فإنه تعالى -فطر خلقه على معرفته ، وتوحيده ، وأنه لا إله غيره ، كما في قوله

---

(١) الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، ط دار المعرفة -بيروت - ص ٣٨٢ .
(٢) الأعراف : ١٧٢ .
(٣) محمد سليمان : من مشكاة النبوة ، مقال بمجلة البيان ، العدد ١٧ ، الصادر في شعبان ١٤٠٩ هـ عن المنتدى الإسلامي بلندن ، ص ٢٠ .
(٤) النمل : ١٤ .
(٥) الإسراء : ١٠٢ .
(٦) الروم : ٣٠ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تعالى :<< وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى >> (١) .

يقول الزمخشري في تفسيره :<< فقوّم وجهك له ، وعدّله غير ملتفت عنه يمينا ،ولا شمالا وهو تمثيل لإقباله على الدّين ، واستقامته عليه ، وثباته ، واهتمامه بأسبابه ؛ فإن من اهتم بالشيء ، عقد عليه طرفه ،وسدّد إليه نظره ، وقوّم له وجهه ، مقبلا به عليه (٢) .

وفطرة اللّه أي : الزموا فطرة اللّه و عليكم بفطرة الله ، والفطرة : الخلقة ألا ترى إلى قوله تعالى :<< لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ >> .(٣)

والمعنى : أنه خلقهم قابلين للتوّحيد ، ودين الإسلام ، غير نائين عنه (٤) ، ولا منكرين له ؛ لكونه مجاوبا للعقل ، مساوقا للنظر الصّحيح حتى ولو تركوا ، لما اختاروا عليه دينا آخر (٥) .

ويقول سيد قطب :<< فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا>> أي : واتجه إليه مستقيما فهذا الدّين هوالعاصم من الأهواء المتفرّقة ، التّي لا تسند على حقّ ، ولا تستمد من علم و إنما تتبّع الشّهوات ،والنّزوات بغير ضابط،ولا دليل .

أقم وجهك للدّين حنيفا أي:مائلا عن كلّ ما عداه ،ومستقيما على أمره دون سواه) .(٦)

وبهذا يربط بين فطرة النّفس البشريّة ، وطبيعة هذا الدّين ، وكلاهما من صنع اللّه ، وكلاهما موافق لناموس الوجود ، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته ،واتجاهه ، واللّه الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل إليه هذا الدين ، ليحكمه ،ويصرفه ، ويشفيه من المرض ، ويقوّمه من الإنحراف وهو أعلم بمن خلق ، وهو اللّطيف الخبير والفطرة ثابتة ، والدين ثابت ، فإذا انحرفت النفّوس عن الفطرة لم يردّها إليه إلاهذا الديّن المتناسق مع الفطرة ، فطرة البشر وفطرة الوجود (٧)

---

(١) الأعراف : ١٧٢ . و انظر ابن كثير ،ج ١ ، ص ٣٢٠ .
(٢) الزمخشري : الكشاف ط القاهرة - ج ٣ ، ص ٢٠٤ .
(٣) الروم : ٣٠ .
(٤) نائين : أي : مبتعدين عنه .
(٥) الزمخشري : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٠٤ ، بتصرف .
(٦) سيد قطب : في ظلال القرآن ، دار الشروق - ج ٥ ، ص ٢٧٦٧ .
(٧) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٢٧٦٧ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويقول محمد على الصّابوني :"فأقم وجهك للدّين" أي :أخلص دينك للّه ،وأقبل على الإسلام بهمّة ونشاط (حنيفا) أي :مائلا عن كل ديّن باطل إلى الدّين الحقّ ،وهوالإسلام (فطرة اللّه التّي فطر النّاس عليها) أي :هذا الدّين الحق ،الذيّ أمرناك بالإستقامة عليه هو خلقة اللّه ،التّي خلق النّاس عليها، وهو فطرة التّوحيد " (١) .

فنحن نرى من خلال تفسير ابن كثير ، والزّمخشري ، وسيد قطب ، وصفوة التّفاسير :أن الدّين بمعنى الإسلام فطرة في الإنسان .

ومما يؤكد دلالة الفطرة على الإسلام ،الذيّ هو عقيدة التوحيد ما ورد في الحديث : عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول اللّه - صلّى اللّه عليه وسلّم :" مَامِنْ مُولُودٍ إلاّ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ فأبواه يهوّدانه ،وينصّرانه ،ويمجّسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول أبو هريرة -رضي اللّه عنه-:<< اقرأوا إن شئتم :(فِطْرَةَ اللَّهِ التّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)(٢) .

قالوا يا رسول اللّه : أفرأيت من يموت صغيرا ؟ قال :<< اللّه أعلم بما كانوا عاملين >>(٣) .فالرّسول -صلىّ اللّه عليه وسلّم -يُرشدنا من خلال هذا الحديث إلى أن الإنسان يولد على الفطرة ، التّي هي الدّين الصّحيح ، وأنّ تغيير هذه الفطرة يقع بتأثير الوالدين ، أو تأثير البيئة ؛ ولذلك شبه المولود بالبهيمة الجمعاء ، التي تولد سليمة ، مجتمعة الخلق ، لا تغيير فيه ولا تشويه ، ولكنّ النّاس يغيرون خلقها بعدئذ فيشقون آذانها ، أو غير ذلك ، فالفطرة لو تركت دون تأثير عامل خارجي ، وأزيحت عنها العوائق والمثبطات فهي تسوق الإنسان بالضرورة إلى الدّين الحنيف (٤) .

ويذهب جل المحدّثين والمفكّرين إلى أن المراد بالفطرة في الحديث : الإسلام ،وقالوا : دين اللّه هو الإسلام وننقل فيمايلي حوصلة لآرائهم وأقوالهم (٥) :

---

(١) محمد علي الصابوني : المصدر السابق ، م ٢ ، ص ٤٧٨ .

(٢) الروم : ٣٠ .

(٣) رواه البخاري في كتاب الجنائز و في صحيح مسلم بشرح النووي بهذا اللفظ، كتاب القدر - باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، و حكم موتى أطفال الكفار وأطفال المسلمين ، دار الفكر للطباعة والنشر -مصر - ١٩٨١ م ، ٨ ، جزء ١٥ ، ص ٢٠٧ .

(٤) محمد سليمان : من مشكاة النبوة ، مجلة البيان ، العدد ١٦ ، ص ٢٠ بتصرف .

(٥) انظر :أحمد عبد الرحيم السايح : بحوث في مقارنة الأديان (الدين -نشأته -الحاجة إليه - ، دار الثقافة -الدوحة - ط١ - ١٩٩١ ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا - أن الرّسول -صلّى اللّه عليه وسلّم -لما ذكر هذا الحديث سألوه عن أطفال المشركين فقال لهم :<< اللّه أعلم بما كانوا عاملين >> (١) .

فلو لم يكن المراد بالفطرة الإسلام ، لما سألوه عن ذلك ؛ لأنه لم يكن هناك ما يغيّر تلك الفطرة ماداموا بين أبوين كافرين وقوله -صلّى اللّه عليه وسلّم -:<< فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه >> : بين أنهم يغيرّون الفطرة ، التيّ وُلدوا عليها .

ونقول تعقيبا على ذلك :إنّ ذكر النبّي -صلّى اللّه عليه وسلّم -للفطرة في مقابل النّصرانية والمجوسية يدلّ دلالة واضحة على أن المراد بها هو الإسلام إذ من المعلوم عند علماء المقارنة بين الأديان أن النّصرانية -بعد التّحريف -،والمجوسيّة أديان وثنية مخالفة لعقيدة الإسلام ،التيّ هي التّوحيد الخالص .

ثانيا - لقد شبّه الرّسول -صلّى اللّه عليه وسلّم -المولوُد بالبهيمة ،التيّ تولد مجتمعه غير مجدوعة لا نقص فيها ، ثم يطرأ عليها النقّص بعد ذلك ، لجدعها فعلم من ذلك أن التغّيير وارد على الفطرة السليمة بفعل تأثير العوامل الخارجية .

ثالثا - الحديث مطابق لما في الآية الكريمة :<< فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا >> (٢) وربط بين هذه الفطرة والدّين في قوله تعالى :<< فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا >> (٣) .

ثم قال : (فطرة الله) والإضافة هنا : للمدح والتشريف ، فعلم أنها فطرة ممدوحة لا مذمومة ، ويؤيد هذا كله الرّوايات الأخرى ، التيّ فسرت الفطرة بأنها : الحنيفية ،أي: ملةّ إبراهيم عليه السلام ، وهي ملةّ الإسلام (٤) .

---

(١) يقول ابن منظور في اللسان ، تعليقا على هذا النص النبوي : إلى أنهم إنما يولدون على ما يصيرون إليه من إسلام ، أو كفر . لسان العرب : ج ٥ ، ص ٣٤٣٤ ، مادة (فطر)

(٢) الروم : ٣٠

(٣) الروم : ٣٠ .

(٤) د . أحمد عبد الرحيم السايح : المصدر سابق ، ص ١٠١ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا – لو كانت الفطرة هنا شيئا غير الإسلام لكان الرّسول –صلىّ اللّه عليه وسلّم –قد ذكر الإسلام في جملة ماذكر من الأديان ،التّي تفسد الفطرة بالتّحول إليها ولقال : (فَأَبوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُسْلِمَانِهِ) ولكنّه لم يذكره ؛ لأنه الدّين الذي تتغيّر بتحوّلها عنه ، وليس بتحولها إليه (١) .

فهذه الآراء كلها ، التّي سقناها تدل على أن الدّين فطرة مركوزة في الطباع ، مترسبة في الأعماق منذ الأزل ، بل منذ الميثاق الأول ، الذّي أخذه اللّه على النّاس جميعا وهم في ظهر الغيب ، وفي هذا يقول عزّ من قائل :<< وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟قَالُوا: بلَى شَهِدْنَا أَنْ تقولوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ، أَوْ تقولوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ، وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ، أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُونَ (٢).

قال الطبرّي في تفسير هذه الآية : << أي : واذكر يا محمد إذ استخرج ربّك أولاد آدم من أصلاب آبائهم فقرّرهم بتوّحيده ، وأشهد بعضهم على بعض بذلك . قال ابن عباس : مسح اللّه ظهر آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا) أي : وقررهم على ربوبيّته ، ووحدانيته فأقرّوا بذلك ، والتزموه (أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) أي : لئلا تقولوا يوم الحساب إنا كنا عن هذا الميثاق ،والإقرار بالربوبية غافلين لم ننبه عليه (أوتقولوا إنّما أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ) أي : ولكي لا تقولوا يوم القيامة أيضا نحن ما أشركنا وإنما قلّدنا آباءنا ، واتّبعنا مناهجهم فنحن معذورون .

(أفتهلكنا بما فعل المبطلون)أي : أفتهلكنا بإشراك من أشرك من آبائنا المُضِلّين بعد اتّباعنا مناهجَهُمْ على جَهْل مِنّا بالحقّ >>(٣) .

وما يمكن استنتاجه من كل هذا هو أن الدّين بمعنى التّوحيد ، هو عقيدة الإنسان منذ الأزل وهذا بشهادة القرآن الكريم ، الذّي أثبت هذه الحقيقة الفطرية ، التّي قامت عليها الأدلة النقلية،والعقلية ، وهي التي أخذت بها ،وسارت في طريقها الطلائع البشرية منذ فجر التاريخ حتى أشدها همجية ، وأبعدها عن الحضارة المدنية .

---

(١) - محمد السيد الجليند : قضية الخير والشر في الفكر الإسلامي ، مطبعة الحلبي -القاهرة – ١٩٨١ ، ص ٢٣٥ .

(٢) – الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٣) – الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، م ٦ ، ج ٩ ، ص ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ بتصرف .

وفيْ هذا المعنى يقول العقّاد :<<فقبائل الهوتنتوت الإفريقية ، التّي لم تفارق مرتبة الهمجية حتى اليوم ، ولا يزال أناس منها يأكلون لحوم البشر تعرف إلها واحدا فوق جميع الآلهة يسمى أبا الآباء >> (١) .

وقد أكد العقّاد في موضع آخر فطرية الديّن إذ يقول في هذا الشأن :<< حق لا يقبل المراء أن الحاسّة الدّينية بعيدة الغور في طبيعة الإنسان ، وحقّ لا يقبل المراء أن الإنسان يجب أن يؤمن ، ولا يستقر في وسط هذه العوالم بغير إيمان ، وهو قد وجد في وسط هذه العوالم لا مراء ، فإذا كان الإيمان هو الحالة ، التي يتطلبها منه وجوده ، فضعف الإيمان شذوذ ، يناقض طبيعة التكّوين، ويدلّ على خلل في الكيان وقد إتفق علماء المقارنة بين الأديان على تأصل العقيدة الدّينية في طبائع بني الإنسان من أقدم أزمنة التّاريخ >> (٢) .

فقد بيّن العقّاد في هذا النّص أنّ الدّين ضرورة فطرية تقتضيها طبيعة الإنسان ، ويقوم عليها وجوده فلا سبيل إطلاقا إلى نكرانها ، وأن نكرانها يؤدي بالضرورة إلى خلل في الكيان البشري .

وحول فطرية التدّين دائما يقول الدّكتور محمد عبد الله دراز : << إن فكرة التّدين فكرة مشاعة لم تخل منها أمة من الأمم في القديم والحديث رغم تفاوتها في مدارج الرّقي ، ودركات الهمجية ، وأنها أقدم في المجتمعات من كل حضارة مادية ،وأنها كانت تعبر عن نزعة أصيلة مشتركة بين الناس >> (٣) ويضيف العقّاد :<< إن فكرة التدّين في جوهرها ليس هناك دليل واحد على أنهّا تأخرت عن نشأة الإنسان >> (٤) .

وإذا كان الديّن فطرة في الإنسان فمعنى هذا أن ما يخالف هذه الفطرة من عقائد الشّرك و الوثنية هي مجرد عقائد طارئة ، وأنها ليست هي أصل الإعتقاد فلقد أثبت القرآن الكريم أن التوحيد هو عقيدة الإنسان وفي هذا يقول اللهّ عزّ وجلّ :<< كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيئِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ (٥) بالحَقِ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ >> (٦) .

---

(١) - عباس محمود العقاد : الله ، دار المعارف ، ص ٢٦ .
(٢) - المصدر نفسه ، ص ٨ .
(٣) - محمد عبد الله دراز : الدين (بحوث ممهدة لدراسة الأديان) ، ص ٧٥ .
(٤)- المصدر نفسه .
(٥) - وفي رواية أخرى : الكتب .
(٦) - البقرة : ٢١٣ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال إبن كثير في تفسير هذه الآية : << قال قتادة : كان النّاس أمّة واحدة أي : كانوا على الهدى جميعا ، ثم إختلفوا فيه >> (١).

ويقول سيد قطب : << هذه هي القصة .. كان الناس أمة واحدة على نهج واحد ، وتصور واحد ، فقد تكون هذه إشارة إلى حالة المجموعة البشرية الأولى الصغيرة من أسرة آدم وحواء وذراريهم (٢) قبل إختلاف التصّورات ، والاعتقادات فالقرآن يقرّر أن النّاس من أصل واحد ، وهم أبناء الأسرة الأولى أسرة آدم وحواء ... وقد غبر (٣) عليهم عهد كانوا فيه في مستوى واحد ، وإتّجاه واحد ، وتصوّر واحد في نطاق الأسرة الأولى حتى نمت ، وتعدّدت ، وكثر أفرادها ، وتفرّقوا في المكان ، وتطوّرت معايشهم ، وبرزت فيهم الإستعدادات المكنونة المختلفة ، التّي فطرهم الله عليها لحكمة يعلمها ، ويعلم ما وراءها من خير للحياة في التّنوع في الإستعدادات ، والطّاقات ، والإتّجاهات عندئذ اختلفت التصّورات ، وتباينت وجهات النظر ، وتعدّدت المناهج ، وتنوّعت المعتقدات وعندئذ بعث اللهّ النّبيّين مبشّرين ومنذرين >> (٤).

ويفهم من كلام سيد قطب أن النّاس على عهد آدم عليه السلام كانوا على تصوّر واحد وهو التوّحيد ، ثم بعد طول العهد ، وتفرّق الذّرية ، ظهر تعدّد في المعتقدات والتصورات ، ووصلت في كثير من الأحيان إلى الإختلاف ، فكان هذا الإختلاف في التصّور الاعتقادي ، حول جوهر الدّين علّة كافية لإرسال الرّسل ، ليبيّنوا للنّاس دين اللّه ، وليحسموا بينهم هذا الإختلاف الحاصل في الإعتقاد ، وإعادتهم إلى الفطرة السليمة وهو التوحيد ، الذيّ جاء به الرّسل من آدم إلى محمد - صلىَ اللّه عليه وسلّم - .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(١) - ابن كثير : التفسير ، ج ١ ، ص ٣٦٥ .
(٢) - ذراريهم : أي : ذريتهم .
(٣) - غبر : ولى .
(٤) - سيد قطب : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٥ .

وكخاتمة لهذا المبحث يمكن أن نقول :

١) -إن الدّين بمعنى التّوحيد هو عقيدة فطرية في الإنسان ، وأنّ هذه العقيدة قد أكّدها الأنبياء في رسالاتهم إلى أقوامهم وهو ما لا يدع مجالا للشّك بأن هذه العقيدة قد وُلدت مع الإنسان، وليست هي نهاية التّصور الدّيني كما يعتقد بعض الباحثين .

٢) -إن عقيدة التّوحيدَ ليس هناك دليل واحد على أنّها تأخرت عن الإنسان ، ولكنّها قد تتغيّر بفعل المؤثرات الخارجية كما بيّنا .

٣)-ليس هناك فصل بين المصطلحات الثّلاثة من حيث المعنى ونعني بها :التّوحيد ، والإسلام والإيمان ،فكلّها تؤدي معنى واحدا ودلالة واحدة وهي الفطرة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث : خصائص الدين السماوي والدين الوضعي .

الدّين السّماوي هو الدّين ، الذّي يستند إلى الوحي الإلهي ، وله كتاب سّماوي وهو الدّين ،الذّي أرسلت به الرسل ،وأنزلت به الكتب السّماوية .

أما الدّين الوضعي فهو الدين ، الذّي لا يستند إلى وحي ،ولا إلى كتاب سماوي وهو مجرد خلاصة أفكار ، وآراء وضعها البشر ويندرج تحت مصطلح الدّين الوضعي ، كل الأديان غير السماوية، وحتى السماوية منها - بعد التحريف- .

وعلى ضوء هذا التعريف نرى أن هناك إختلافا جوهريا بين الدّين السّماوي ، والدّين الوضعي ؛ فالدّين السّماوي له خصائص مميّزة ، تميّزه عن كل عقيدة دينية وضعية ، وقد أفاض علماء الأديان في بيان هذه الخصائص ، والتّي يمكن أن نلخّصها في النّقاط التّالية :

ا -الخاصية الأولى :

الوحي الإلهي : إن أهمّ ما يميّز الدّين السّماوي عن الدّين الوضعي أنه من عند اللّه لا من وضع أحد .

ولقد تردّدت كلمة الوحي في القرآن الكريم في مواطن كثيرة ،فالقرآن يستهل كل حديث عن الدّين، والعقيدة ،والشريعة بالإشارة الصّريحة إلى أنّه وحي إلهي حتى لا يظنّ المُوحى إليهم أنهّ من ابتداع النّبي والشواهد على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: << قُلْ : أَيّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةٍ قُلِ : اللّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ ، وَمَنْ بَلَغَ >> (١) ،فالقرآن الكريم يؤكد في هذه الآية على صفة الوحي الإلهي ، والمصدر الرّباني للقرآن الكريم حتى يبعده عن كل وضع بشري ، أو اجتهاد نبوي ، ولقد تكررت الإشارة إلى الوحي كذلك في الرّسالات ، التّي سبقت الرّسالة الخاتمة فالقرآن الكريم يقول عن التّورا ة :<< إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى ، وَنُورٌ >> (٢) وهذا تأكيد على المصدر الإلهي للتّوراة .

وعلى ضوء الآية السابقة ينبغي أن نفرّق بين التّوراة الإلهية ،التّي أنزلها اللّه سبحانه وتعالى على موسى-عليه السلام- ،والتي اشتملت على عقيدة التوّحيد ، وبين التّوراة المحرّفة ، التّي اشتملت على عقيدة التجّسيم ،وغيرها من العقائد الباطلة ، التّي ليست من الدّين السّماوي ، والوحي الإلهي في شيء .

---

(١) - الأنعام :١٩ . (٢) - المائدة : ٤٤ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وكما أكد القرآن الكريم إلهية التوراة فقد أكد أيضا إلهية الإنجيل ومن ثم خاطب النّصرانيين بقوله :<< وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ >> (١) .

فهذه الآية الكريمة فيها إشارة صريحة إلى أن الإنجيل هو كتاب سماوي ، ومن ثم ينبغي أن نفرقّ بينه ، وبين الأناجيل ، التيّ اعتمدها النصّارى وهي ليست ببقين الإنجيل الإلهي ، الذيّ أنزله اللّه سبحانه وتعالى على عيسى-عليه السلام- ،وذلك بسبب مااشتملت عليه من عقائد باطلة كعقيدة الصّلب ،والفداء ، وعقيدة التثليث البعيدة كل البّعد عن دعوة ، ورسالة المسيح -عليه السلام- .

وقد وردت في القرآن الكريم إشارة عامة إلى الوحي الإلهي ، والتيّ جمعها قوله تعالى :<< إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ، وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِسْمَاعِيلَ ، وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ، وَالأَسْبَاطِ ، وَعِيسَىٰ ، وَأَيُّوبَ ، وَيُونُسَ ، وَهَارُونَ ، وَسُلَيْمَانَ ، وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا >> (٢) .

• وخلاصة القول أن الوحي الإلهي خاصية ضرورية للدّين السّماوي ، وهي خاصية مفقودة في الدّين الوضعي .

الخاصية الثانية :

الرّسول المبلّغ للوحي : ومن خصائص الدّين السّماوي ، أنهّ دين يقوم الرّسول بتبليغه إلى النّاس بعد أن يثبت صدقه بأمر خارق للعادة ، أو شيء يثبت صحة ما يدعو إليه ؛ ليتحدى به المنكرين ، والمكذبين ويصبح هذا التحدي دليلا قاطعا على صدقه ، وأنه مرسل من قبل الله .

وقد تكررت الإشارة إلى الرّسول المبلّغ للوحي الإلهي في سياق الحديث عن الوحي عامة ، وذلك في مواطن كثيرة من كتاب اللّه عز وجلّ نذكر منها قوله تعالى :<< إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ >> (٣) .وقوله تعالى :<< وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاعْبُدُونِ >> (٤) .

---

(١) - المائدة : ٤٧ .
(٢) - النساء : ١٦٣ .
(٣) - نوح : ١ .
(٤) - الأنبياء : ٢٥ .

فوجود الرّسول المبلّغ للوحي أمر ضروري لاكتساب دين من الأديان صفة الدّين السّماوي ويجب التأكيد هنا أنه ليس المراد من وجود الرّسول المبلّغ للوحي أيّ شخصية روحية ، بل يجب أن يكون مرسلا من قبل اللّه تعالى ؛ فإن بعض الملل الوضعية تدّعي أن مؤسسها ملهم من قبل اللّه ، وأنّه قد تلقّى ما يدعو إليه من مصدر علوي وفي الحقيقة أن هذه مجرد أماني ،لا يمكن تصديقها ؛و ذلك لأن الرسالة السماوية ليست شيئا مشاعا ، أو وضعا بشريا ، وإنما هي إختصاص إلهي ، واصطفاء رباني ، وهذا ما أكدته الآية الكريمة في قوله تعالى :‹‹ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا ،أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ، مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ››. (١) .

إذن وعلى ضوء هذه الآية يتأكد لنا أنه ليس متروكا للرّسول أن يحدّث النّاس من وحي هواه، وإنما يجب أن يتلقّى ذلك الوحي من اللّه سبحانه وتعالى ، وأن تكون نسبة الكتاب إلى الرّسول ،الّذي نسب إليه ثابتة بالطريق القطعي ، بأن تثبت نسبة الكتاب المُوحى إلى الرّسول بأن يتلقّاه الخلف عن السلف من غير أي مظنة للإنتحال ، وأساس ذلك التواتر أن يكون مما قطع به القرآن الكريم ، الذّي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه .

وكخلاصة لما سبق ذكره فإنه لا يمكن لأحد أن يدعي إلهية كتاب ديني ، ما لم يكن هذ ا الكتاب قد قام بتبليغه رسول أَوْرَدَ اللّه اسمَه في عداد من أرسلهم لتبليغ رسالاته إلى النّاس .

الخاصية الثالثة :

سلامة الدين السماوي من التناقض والإضطراب : ومن الخصائص المميّزة للدّين السّماوي- كما بيّن علماء الأديان - أن يسلم من التناقض والإضطراب ، الذّي يعيب العقل فلا يكاد تتوافر أدلة كافية على أنه وحي اللهّ تعالى فالدين السماوي لا يمكن أن يتناقض بعضه مع بعض ، ولا أن تتعارض تعليماته ؛ لأن ما يكون صادرا عن اللّه لا يختلف ، ولا يفترق ، ولا يتناقض ، وهذه الصفة متوافرة حتى في كتب العقلاء ، الذيّن يتحرون الدقّة في القول والنّقل ، وقد صدق الله تعالى حين قال عن القرآن الكريم : ‹‹ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ›› (٢)

---

(١) - الشورى : ٥١ .
(٢) النساء : ٨٢ .

فهذه الآية تدل على أن الدّين السّماوي وضع إلهي ، ولا يمكن لدين من عند اللّه أن يكون عرضة للتّناقض ، والاضطراب ، والاختلاف ، لأنه بذلك يفتقد صفته السّماوية ،وخاصيته الرّبانية وهو ما حصل للتّوراة ، والإنجيل ، لما دبّ إليهما التغيير ، والتبّديل فخرجا بذلك عن طبيعتهما الإلهية.

والتّوراة والإنجيل - على ما ذكر المحققون من المؤرخين وعلماء المقارنة بين الأديان - طافحان بالاضطراب الصّريح ، وقد فصل محمد أبو زهرة (١) أوجه هذا الاضطراب ، الذّي شاب التوراة ، والإنجيل وهو ما يؤكد أن الإضطراب سمة بشرية لا يمكن أن تصدق على الكتاب الإلهي .

الخاصية الرابعة :

إشتماله على عقيدة التوحيد : عقيدة التّوحيد الخالص هي لبّ كلّ الرّسالات السّماوية وإلى هذا يشير قوله تعالى :<< وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ >> (٢) .

وقوله تعالى :<< وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ، قَالَ : سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ، وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ >> (٣) .

ويجدر بنا في هذا المقام التنّبيه إلى أن اشتراط اشتمال الدّين السّماوي على عقيدة التّوحيد لا يعني أنه لم توجد أديان وضعية غير إلهية قد اشتملت على هذه العقيدة بشيء من الإختلاف فلقد دعا (إخناتون) في مصر القديمة إلى التّوحيد وكان أول صوت توحيدي يدوّي في دنيا النّاس في ذلك الزّمان فلقد دعا صراحة إلى عبادة اللّه وحده ، وألغى جميع الأرباب ، الذّين كان المصري يعبدهم، ويتقرب إليهم وعلى رأسهم الإله(أوزو ريس) ومما ذكر عنه قوله في (صلواته) :(ما أكثر الخلائق ، التيّ نجهلها أنت الإله الواحد الأحد ، الذيّ لا إله غيره خلقت الأرض بمشيئتك ، وتفرّقت فعمرت الكون بالإنسان ، والحيوان الكبار، والصغار) (٤) .

(١) - محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، ص ١٥١ .
(٢) - الأنبياء : ٢٥ .
(٣) - المائدة : ١١٦ ، ١١٧ .
(٤) - محمود بن شريف : الأديان في القرآن ، ص ٧٥ وما بعدها .

فهذه الدعوة -كما نرى - دعوة توحيدية صريحة ولكن يجب التأكيد على أنها ليست من جنس التوّحيد ،الذي دعت إليه الرّسالات السّماوية ؛ وذلك لأنه توحيد للآلهة ، وليس توحيدا لله أوبمعنى آخر ليس توحيد الألوهية على النّحو الذي فصله علماء العقيدة .

ومن الدّعوات التوحيدية أيضا ما نادى به (زرادشت) في تعاليمه ، التيّ سجلها في كتابه (الأبستاق) والتي اشتملت على ما سماه بعض الباحثين توحيدا وإن كان كما يظهر من هذه الأسفار لا يقصد به توحيد الأديان ، وإنما هو توحيد من نوع آخر وهو إلغاء الآلهة والاعتراف بوحدانية (أهورامازدا) ، الذّي يستحق وحده صفة الإله كما جاء في التّعاليم الزرادشتية (١) .

وقبل البعثة،كانت هناك الحنيفية ، وهي بقايا ملة إبراهيم-عليه السلام- التيّ تؤمن بإله واحد وقد اعتنقتها بعض الطوائف في ذلك الزمان وهم الذّين سماهم القرآن (حنفاء) .

ومهما يكن الأمر ، ومهما يكن شيوع هذه العقيدة في تعاليم الأديان غير السّماوية ، فإن عقيدة التوّحيد لم ترد على حقيقتها ، وخلوصها من الشوائب إلا في الأديان السّماوية ، هذا علاوة على أنها عقيدة أصيلة في الدّين السماوي ، على عكس العقائد الأخرى ، التيّ انتهت إلى التّوحيد بعد طول عهد بالوثنية ولم يكن التّوحيد بذلك أصلا فيها .

الخاصية الخامسة :

إشتماله على الإيمان بالغيب : ومن الخصائص المميّزة للدّين السّماوي أنهّ دين يقوم على الإيمان بالغيب كركن من أركان العقيدة وقد تكررت الإشارة إلى هذه العقيدة في مواطن كثيرة من القرآن الكريم ،منها قوله تعالى :<< أَلَم - ذَلِكَ الكِتَابُ لَارَيْبَ فِيهِ هُدَىً لِلمُتَقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ >> (٢) .

يقول محمد علي الصّابوني في تفسير قوله تعالى :<< الَّذِينُ يُؤّمِنُونَ بِالغَيْبِ >> أي : يصدّقون بما غاب عنهم-ولم تدركه حواسهم من البعث ، والجنّة ، والنّار ، والصّراط ، والحساب ، وغير ذلك من كل ما أخبر عنه القرآن، أو النبيّ-عليه الصلاة والسلام-. (٣) .

(١) - محمود بن شريف : المصدر السابق ، ٧٧ .
(٢) - البقرة : ١ ، ٣ .
(٣) - محمد علي الصابوني : المصدر السابق ، م ١ ، ص ٣٢ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد ذكر علماء الأديان أن الإيمان بالغيب شرط ضروري لارتقاء أي عقيدة إلى رتبة الدّين، والإرتقاء لا يتحقّق معناه إلا إذا ابتعدت هذه العقيدة عن صفة الوثنية، وذلك أن مجرد الإيمان بالقوى الغيبية عقيدة عرفتها كثير من الملل الوضعية ولكنها لم ترتق بها إلى مرتبة الدّين السّماوي، لأن الإشارة إلى الغيب في هذه الملل فكرة معتقدة ، وليست عقيدة منزلة .

وعن خاصية الإيمان بالغيب في الدّين السّماوي يرى محمد رشيد رضا أن الإيمان بالغيب، وما يكون فيه من البعث ، والجزاء على الأعمال ركن من أركان الدّين ، الذّي بعث اللّه به الرّسل عليهم السّلام وبه يكمل الإيمان باللّه تعالى ، ويكون باعثا على العمل الصالح ، وترك الفواحش ، والمنكرات، والبغي ، والعدوان (١) .

ومن الإيمان بالغيب الإيمان بعقيدة البعث والجزاء وهي كذلك من الأركان ، التيّ يقوم عليها الدّين السّماوي ولقد تكررت الإشارة إليها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى :<< وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ، قَالُوا : يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ >> (٢).

ويفنّد القرآن الكريم زعم النّاكرين للبعث فيقول :<< أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ، وأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِله إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ >> (٣).

وقوله تعالى :<< أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ >> (٤).

وعقيدة البعث والجزاء لم تصوّر في صورتها الحقيقية إلا في القرآن الكريم فإن النصارى يؤمنون بالبعث والجزاء ولكنهم يجعلونه يوما للفداء على يد المسيح المخلص وهذا كما نرى مخالفا لأصول الدّين السماوي ، الذّي يلزم كل إنسان بما قدمت يداه ، واكتسبت يمينه وهذا ما يعبّر عنه قوله تعالى :<< أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى . وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ،وأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى >> (٥) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(١) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ، ص ١٧٥ .
(٢) يس : ٥١ .
(٣) المؤمنون : ١١٥ .
(٤) القيامة : ٣ .
(٥) النجم : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

فصحف إبراهيم ، وموسى -كما ذكرت الآية الكريمة -قد اشتملت على عقيدة الجزاء على الأعمال .

وتجدر الإشارة إلى أن هناك في بعض الملل ،والأديان الوضعية ما يشير إلى هذه العقيدة .ولكن بطريقة يكتنفها كثير من الغموض ، والخلط ممّا يجعلها عقيدة غير بيّنة المعالم مثل الدّيانة المصرية القديمة ، التّي ذكر علماء الأديان أنها اشتملت على ما يشبه عقيدة البعث في الأديان السّماوية ويدل على ذلك قصة (أوزريس) ، الذّي يقيم شبه محكمة لمحاكمة النّاس ، لعقاب المسيء،وإثابة المحسن (١) .

---

(١) أنظر : محمد أبو زهرة : الديانات القديمة ، مقارنات الأديان ، الديانة المصرية القديمة -دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦ بتصرف واختصار

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع :

وحدة الدين السماوي -قبل التحريف - في القرآن الكريم:

من المسلّم به عندنا نحن المسلمين أن دين اللّه واحد في أصوله ، مختلف في شرائعه يقول الرّسول -صلّى اللّه عليه وسلّم -:(نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ أَبْنَاءُ عِلَّاتٍ) (١).

• يريد بذلك : أننا كأبناء أمّهات مختلفات ثم يبين ذلك فيقول :(ديننا واحد ، وشرائعنا مختلفة) . فدين اللّه واحد منذ الأزل إلى البعثة المحمدية إلى يوم الدين ، وهو الإسلام

قال تعالى :<< مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ،وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ،وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ >> (٢) .

فهذه الآية الكريمة تدل على أن الإسلام وصف لدين الله في الكتب ،التّي سبقت القرآن الكريم وقد جعل الله تعالى ملّة إبراهيم أسوة في توحيد اللّه ، وإسلام الوجه له وهي الأصول ، التّي قام عليها الدّين السّماوي والتي أوكل اللّه أمر رعايتها إلى أمّة محمّد -صلّى اللّه عليه وسلّم -، لتكون شاهدة على وحدة الدّين وقال تعالى :<< إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ >> (٣) .

وقال تعالى :<< وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ >> (٤) .

فالإسلام كما تقرره الآيتان الكريمتان ليس وصفا للرّسالة الخاتمة وحسب ، بل هو وصف لدين اللّه الواحد ، الذيّ جاء به كل الأنبياء وهذا ما تعبر عنه الآية الكريمة :<< اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا >> (٥).

فالإسلام هو دين اللّه ، الذّي دعت إليه الرّسالات السّماوية ولكنه لم يكمل إلا ببعثة محمد -صلّى اللّه عليه و سلّم- بالرّسالة الخاتمة ، فلقد سمّى اللّه تعالى منذ الأزل (مسلما) كل من اعتنق أسس هذا الدّين ، و سار على مضامينه من إسلام الوجه للّه تعالى ، و الإنقياد له ، و التّوكل عليه ، و تسليم الأمر

---

(١) حديث متفق عليه بين البخاري و مسلم ، و علات : أي : ضرات .
(٢) الحج : ٧٧ .
(٣) آل عمران : ١٩ .
(٤) آل عمران : ٨٥ .
(٥) المائدة : ٣ .

له . فالمسلم في القرآن الكريم . هو كل من آمن بالله و برسله ،الذين بعثهم لتبليغ رسالاته .

و المتتبع لآيات القرآن الكريم يهتدي إلى هذه الحقيقة الخالدة ،التي قررها القرآن الكريم ومن هذه الآيات قوله تعالى: << و مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ >>(١) .

يقول الطبري في تفسير هذه الآية :(يقول تعالى ذكره:وما أرسلنا يا محمد قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السَّمَوَاتِ و الأرض تصلح- العبادة له سواي فاعبدون يقول:فأخلصوا إليّ العبادة و أفردوا لي الألوهية)(٢).و قد أكد الطبري في سياق تفسير هذه الآية وحدة الدين السماوي القائم علي الإخلاص ، و توحيد الألوهية مع اختلاف الشرائع في التوراة ، و الإنجيل ، و القرآن الكريم كما أشرت إلى ذلك في مقدمة هذا المبحث .

و يقول اللّه تعالى على لسان نوح -عليه السلام- << وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ >> (٣). فرسالة نوح عليه السلام – قد قامت على الإقرار بتوحيد اللهّ ، و إخلاص العبادة له ، وترك إشراك الآلهة في عبادته وقد دعا نوح قومه إلى الإقرار بهذه الحقيقة ، وأقر بها هو حيث يقول : << وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ >> (٤) .أي :المذعنين له بالطاعة المنقادين لأمره و نهيه المتذللين له ، فالدعوة إلى التوحيد و ترك عبادة الأوثان ليست بدعة (عقائدية) جاء بها نوح – عليه السلام – و إنما هي من صميم دين اللهّ ، و رسالات الأنبياء .

و قال تعالى عن يوسف – عليه السلام -: << رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ، وَ عَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ ، وَ الأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا ، وَالآخِرَةِ ، تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ، و أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ >>(٥) . فيوسف -عليه السلام - كما تقرر هذه الآية الكريمة ، كان مسلما ، بمعنى إسلام التوحيد ، و الإنقياد للهّ ، و الخضوع لأوامره . و هو الإسلام ،الذي ورثه عن آبائه إبراهيم ، و يعقوب . قال تعالى :<< وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ، وَ يَعْقُوبُ يَا بَنِيَ ، إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ >> (٦) .

---

(١) الأنبياء : ٢٥ .
(٢) تفسير الطبري ، م ٩ ،ج ١٧ ، ص ١٢ .
(٣) يونس : ٧٢ .
(٤) يونس : ٧٢ .
(٥) يوسف : ١٠١ .
(٦) البقرة ١٣٢ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

و قد وردت علامات هذا التوحيد ، و أماراته في الإقرار بنعم الله ، و الإعتراف بألوهيته .و قال موسى عليه السلام لقومه : << يَا قَوْمِ إِنْ كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ >> (١) .

يقول الطبرّي في تفسير هذه الآية : (يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول موسى نبيّه لقومه يا قوم› إن كنتم أقررتم بوحدانية اللهّ ، و صدّقتم بربوبيّته فعليه توكلوا يقول: ففبه فثقوا ، وأسلموا ، فإنه لن يخذل وليّه ، و يسلم من توكل عليه إ ن كنتم مسلمين يقول :إن كنتم مذعنين للّه بالطّاعة فعليه توكّلوا >>(٢)

فلفظ الإسلام في هذه الآية يدور على معنى الخضوع ، و الإنقياد للّه تعالى ، كما مرّ في تعريف الدّين .

و الإسلام ،الذي هو التوحيد الخالص كان من صميم دعوة موسى عليه السلام . و لكن طول الزّمان جعل بني إسرائيل ، يعدلون عن عقيدة التوّحيد إلى عبادة الأوثان ، ومن ثم كانت رسالة موسى تصحيحا لما أفسد بنو إسرائيل من دين اللهّ – عزّ و جلّ القائم على التّوحيد سواء كان توحيد الألوهية ، أو توحيد الربوبية . و قد أقر سحرة فرعون بحقيقة التوّحيد ، بعد أن بدا لهم الحقّ ، فقالوا لفرعون :<< وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً ، وَ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ >>(٣) .

يقول الطبرّي في تفسير هذه الآية :(وقوله :<< وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا >> يقول :ما تنكر منا يا فرعون وما تجد علينا إلا من أجل أن آمنا أي: صدّقنا بآيات ربّنا . يقول : بحجج ربنا ، وأعلامه وأدلّته ، التي لا يقدر على مثلها أنت ، ولا أحد سوى اللهّ ، الذّي له ملك السموات والأرض ، ثم فزعوا إلى اللهّ بمسألته الصّبر على عذاب فرعون ، وقبض أرواحهم على الإسلام ، فقالوا: <<رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا يعنون بقولهم :أنزل علينا حبسا يحبسنا عن الكفر بك عند تعذيب فرعون أيانا، وتوفّنا مسلمين يقول :وأقبضنا إليك على الإسلام دين خليلك إبراهيم –صلىّ اللّه عليه وسلّم –لا على الشّرك) (٤) .

---

(١) يونس :٨٤ .
(٢) الطبري : المصدر السابق ، م ٧ ، ج ١١ ، ص ١٠٥ .
(٣) الأعراف : ١٢٦ .
(٤) الطبري : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ١٦ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقالت (بلقيس) ملكة اليمن : << رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ >> (١) .فبلقيس لما رأت من آيات اللّه ما كان منها إلا أن أعلنت إسلامها ، للدّخول في عداد المسلمين المقرين للّه بالتّوحيد ، وتخلّت عن عبادة الشّمس والسّجود لما دون اللّه ، وانقادت مع سليمان مذعنة للّه بالتّوحيد ، مفردة له الألوهية والربوبية .

وقال تعالى عن أنبياء بني إسرائيل :<< إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيئُونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا >>.(٢)

قال الطبريّ في تفسير قوله تعالى :<< الَّذِينَ أَسْلَمُوا >> أي : هم الذّين أذعنوا لحكم اللّه ، وأقرّوا به وإنّما عنى اللّه تعالى ذكره لذلك نبّينا محمّدا صلّى اللّه عليه وسلّم في حكمه على الزانيين المحصنين من اليهود بالرجم ، و في تسويته بين دم قتلى بني النضّير ، وقريظة في القصاص ،والدّية ومن قبل محمد من الأنبياء يحكم بما فيها من حكم الله) (٣) . فهذه الآية تدلّ على أن الأصول العامّة للتّشريع واحدة في التّوراة ، والإنجيل ، والقرآن وهو ما عبّرنا عنه بوحدة الدّين السّماوي ، ولهذا السبب أمر اللّه تعالى نبيّه -صلّى اللّه عليه وسلّم -أن يحكم على اليهود بما أنزل اللّه في التّوراة وعلى النصّارى بما أنزل في الإنجيل وعلى غيرهم من أهل الأديان الأخرى بما أنزل اللّه عن قتادة قال ذكر لنا أن نبيّ الله -صلّى اللّه عليه وسلّم -كان يقول لما أُنزلت هذه الآية : نحن نحكم على اليهود وعلى من سواهم من أهل الأديان (٤) .

وقال تعالى عن حواري عيسى عليه السلام : << فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ قَالَ: مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ >> (٥) .فالحواريّون كما بيّنت الآية الكريمة طلبوا من عيسى عليه السلام أن يشهد على إسلامهم أي : خضوعهم للّه ، وطاعتهم له إذ أقرّوا بوحدانية اللّه عزّ وجلّ وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم في موضع آخر في قوله تعالى :<< يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ، قَالَ الحَوَارِيُّونَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ، فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) النمل : ٤٤ .
(٢) المائدة : ٤٤ .
(٣) الطبري : م ٤ ،ج ٦ ، ص ١٦١ .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) آل عمران : ٦٨.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ >> (١) .

والآن وبعد هذا العرض ، يمكننا القول بأن الدّين السّماوي واحد قبل التّحريف ، وأنّ الدّين الإسلامي واحد بمعنى الطّاعة ، والإنقياد ، والتّسليم لمشيئة اللّه ، وكل ما في الكون ، منقاد للّه بهذا المعنى ،وخاضع بالطّاعة ،أو الإكراه قال تعالى تأكيدا لهذه الحقيقة : << إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ >> (٢) . وقال أيضا : << أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ، وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ ، وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ >> (٣) .

ويقول ابن كثير في سياق تفسيره لهذه الآية : (إن الله أنكر على من أراد دينا سوى دين اللّه (الإسلام) ، الذيّ أنزل به كتبه ، وأرسل به رسله ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، الذيّ أسلم له من في السّموات والأرض (٤) .

والإسلام كما جاء في الآية معناه الإستسلام ، فالمؤمن مستسلم للّه بقلبه وقالبه ليفعل مكرها ، والكافر مستسلم لله كرها ، لأنه تحت التّسخير ،والقهر ، والسّلطان العظيم ، الذّي لا يخالف ،ولا يمانع ، والسّموات والأرض آتينا للّه طائعين قال تعالى : << ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ إِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ >> (٥) .

والملائكة أيضا تسبح بحمد اللّه ، وتستغفر لمن في الأرض ، وتعترف لله بالسلطان ، والجبروت قال تعالى : << تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ، وَالمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ >> (٦) .

وإذا كان كل ما في الكون شاهد على وحدانية اللّه ، وقدرته ،فإن اللّه قد أخذ على بني آدم الميثاق بتوحيده حيث قال تعالى : << وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى

---

(١) الصف : ١٥ .
(٢) آل عمران: ١٩ .
(٣) آل عمران : ٨٣ .
(٤) ابن كثير : ج ١ ،ص ٢٠٣ .
(٥) فصلت : ١١ .
(٦) الشورى : ٥ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا : بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُونَ >>(١) .

وقد أخذ اللّه ميثاق النبيّئين على أصل الرّسالة ، ووحدتها من حيث تسميتها ،و من حيث موضوعها ،وأصولها ،وخصائصها حيث قال تعالى :<< وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ، وَمِنْكَ ، وَمِنْ نُوحٍ ،وَإِبْرَاهِيمَ ، وَمُوسَى ،وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا >> (٢) .

كما أخذ اللّه ميثاق جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمّد ورسالته فقال تعالى :<< وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ: أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكَ إِصْرِي قَالُوا : أَقْرَرْنَا قَالَ :فَاشْهَدُوا ، وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ >> (٣) .

وبناء على كل ما تقدّم يمكن القول أن كلّ الرّسالات السّماوية كان بينها وحدة في العقيدة، ووحدة في المصدر ،والوحي ، ووحدة في الموضوع فضلا عن الوحدة في التّسمية بالإسلام .

فعن وحدة العقيدة ، التّي هي الدعّوة إلى عبادة اللّه وحده يقول اللّه تعالى :<< إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ >> (٤) .

ويقول :<< وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ >> (٥) .

ويقول عن هود :<<وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ ، اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ ، إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ >> (٦) .

وأما عن وحدة المصدر والوحي فيقول اللّه تعالى :<< إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَإِسْمَاعِيلَ ، وَإِسْحَاقَ ،وَيَعْقُوبَ ،وَالأَسْبَاطَ ، وَأَيُّوبَ ، وَيُونُسَ ، وَهَارُونَ ،وَسُلَيْمَانَ ، وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا >> (٧) .

(١) الأعراف : ١٧٢، ١٧٣ .

(٢) الأحزاب : ٧ .

(٣) آل عمران : ٨١ .

(٤) الأنبياء : ٩٢ .

(٥) هود : ٢٥ .

(٦)هود: ٥٠ .

(٧) النساء : ١٦٣

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقال تعالى أيضا :<< كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ >>(١)

فالمُوحي هو الله ، والمُوحى إليهم هم الرّسل في كل زمان ومكان ، و الوَحي واحد في جوهره، ومصدره بين كل الأديان السّماوية .

وأما عن وحدة الموضوع فنقصد بها وحدة العقيدة ، التّي أشرنا إليها آنفا والتّي تندرج تحتها وحدة الأخلاق ، وما تقتضيه من طاعة الله وتقواه ، واجتناب كل ما يخالف ذلك ومما يؤكد هذه الوحدة على ألسنة الرسل ما تعرضه سورة الشعراء بأسلوب واحد موضوعي يكاد يتفق في ألفاظه، ومراميه ، ومعانيه ، وذلك من خلال المقابلة بين أسلوب نوح ،وصالح ،ولوط ،وشعيب مثلا في بيان أصول الأدب مع الله القائمة على التقوى ، والطاعة المطلقة إذ يقول القرآن عن نوح :<< إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ>> (٢) .

ويقول عن دعوة شعيب لقومه: << إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ >> (٣) .

وهكذا أظهر القرآن الكريم وحدة الموضوعات العقائدية ،والأخلاقية بين جميع الرّسالات السّماوية أما عن وحدة التسّمية فإنه لا يوجد دين على وجه الأرض غير الإسلام ، فليست هناك يهودية ولا نصرانية ولا غيرهما ، وذلك باعتراف كل الأنبياء ، والمرسلين ، الذّين أقرّوا بإسلامهم ، وأنّهم ليسوا إلا لبنة في البناء الإسلامي ، الذّي ينتمي إليه كل المسلمين على وجه الأرض من عهد آدم إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها ويقول الرّسول -صلّى اللّه عليه وسلّم -تأكيدا لهذه الحقيقة :<< مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ ، وَأَجْمَلَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ ، وَيَقُولُونَ هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ، فَأَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةُ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيئِينَ (٤) .

---

(١) الشورى : ٢ .
(٢) الشعراء : ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨ .
(٣) الشعراء : ١٧٧، ١٧٨ ، ١٧٩ .
(٤) رواه مسلم في صحيحه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني :

منهج القرآن الكريم في نقد الوثنية .

تمهيد :

المبحث الأول : مفهوم الوثنية وعلاقتها بالجاهلية .

المبحث الثاني : ظهور الوثنية بين القرآن الكريم وآراء الباحثين والمؤرخين .

المبحث الثالث :الفرق الوثنية قبل الإسلام وموقف القرآن منها .

المبحث الرابع : خصائص المنهج القرآني في نقد الوثنية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد :

الوثنية ، التيّ نحن بصدد الحديث عنها هي الوثنية ، التيّ ظهرت قبل الإسلام ،واستمر بعضها في مرحلتيه المكية،والمدنية وهي دين متشعب المذاهب ، والفرق،وكثير المعتقدات ومن ثم فإن دراستها تنطوي عل بعض الملابسات ، التيّ تتصّل بطبيعتها ومظاهر عبادتها ولهذا يجب أن أسجل في البداية الملحوظات التّالية :

١ -إن كثرة الفرق الوثنية لا يسمح بتحديد طبيعة الوثنية كدين،و أصولها الثاّبتة فلكلّ فرقة منها رأي في الألوهية،والربوبية ،وطريقة في العبادة تميزها عن الفرق الأخرى .

٢ -إن الوثنية ليست دينا واضح المعالم كما هو الشأن في اليهودية،والنصرانية ، مما يستحيل معه تحديد موقف ثابت منها .

وبعد تسجيل هذه الملحوظات ، التّي أراها ضرورية ، لما يترتّب عليها من نتائج ، فإن منهجي في دراسة الوثنية يتلخّص في الإشارة إلى مفهوم الوثنية،وعلاقتها بالجاهلية ، ثم التّعرض لنشأة الوثنية مبرزا في ذلك ما جاء في القرآن الكريم وما ورد حول هذه القضية في آراء الباحثين،والمؤرخين ثم الانتقال إلى بيان الفرق الوثنية قبل الإسلام،وموقف القرآن منها وفي النهاية التّعرض لبيان الخصائص العامة لمنهج القرآن الكريم في نقد الوثنية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول :

مفهوم الوثنية وعلاقتها بالجاهلية .

أولا - **مفهوم الوثنية في اللغة والإصطلاح** :بادئ ذي بدء، يجب الإشارة إلى أن مفهوم الوثنية -عموما -يطلق على عبادة الأوثان ، أو الأنصاب ، أو الأصنام ،وهذه كلها مظاهر للوثنية ، ولكن هناك فروق بينها في الإستعمال اللغوي نبينها كما يلي :

١ -الأوثان : جمع مفرده وثن ، والوثن : الصنم ، وقيل : الصنم الصغير .

والوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب ، أو من الحجارة ، كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد(١) .

وقد يطلق الوثن على غيرالصورة ، والجمع أوثان ، ووثن ، ووثن (بضم الواو و الثاء) ووثن (بفتح الثاء) وأثن (بضم الألف والثاء ، على إبدال الهمزة من الواو .

والأثن جمع وثن ، فضم الواو وهمزها كما في قوله تعالى :<< وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ >> (٢) وهذا رأي لسيبويه (٣) .

وقال الأزهري : أصل الأوثان عند العرب كل تمثال من خشب ، أو حجارة أو ذهب أو فضة ، أو نحاس ، أو غيرها ، وكانت العرب تنصبها وتعبدها ، وكانت النصارى قد نصبت الصّليب ، وهو كالتّمثال تعظمه وتعبده .(٤)

وقال ابن منظور : وقال عدي بن حاتم : قدمت على النبّي -صلىّ اللّه عليه وسلّم -وفي عنقي صّليب من ذهب ، فقال لي : ألق هذا الوثن عنك (٥)، أراد به الصّليب .

وقال ابن الأعرابي : ووثنت الأرض : مطرت ، وأرض مضبوطة ، ممطورة ، ضبطت ووثنت بالماء ، أي مطرت .

---

(١) :ابن منظور:لسان العرب ، دار المعارف،ج ٦ مادة وثن، ص ٤٧٦٥ .

(٢) :المرسلات :١١ - وأصل (أقتت، وقتت من الوقت).

(٣): ابن منظور :المصدر السابق.

(٤) المصدرنفسه .

(٥) رواه أحمد و الترمذي.

واستوثنت الإبل : إذا نشأت أولادها معها ، واستوثن النّحل ، صار فرقتين كبارا ،وصغارا ، واستوثن المال : إذا كثر ، واستوثن من المال : إذا استكثر منه (١) وذهب ابن الكلبي : إلى أن الأوثان المراد بها التّماثيل (٢) .وقد وردت الأوثان على صيغة الجمع في القرآن الكريم وسمّاها اللّه سبحانه وتعالى رجسا كما في قوله تعالى :<< فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ >> (٣) .

والرِّجْس : دَنس النفس . (٤) جاء في صفوة التفاسير :<< فاجتنبوا الرّجس من الأوثان >> : أي اجتنبوا الرّجس الذي هو الأوثان ، كما تجتنب الأرجاس ، وهو غاية المبالغة في النهي عن عبادتها ،وتعظيمها .(٥) وقد أمر اللّه سبحانه وتعالى باجتناب الأوثان ، وذلك لأن المشركين كانوا يذبحون عليها (٦) .وقد تأكّد هذا الأمر في آيات أخرى كقوله تعالى : << إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا >>(٧) .وكقوله تعالى : << إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا ،مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا >> (٨).

وهكذا نرى أن القرآن الكريم لا يعوّل كثيرا على المفهوم اللغوي للأوثان بقدر ما يلفت النظر إلى ما تحدثه هذه العبادة في نفسية عابدها ، وما ينتج عنها من مظاهر وطقوس مخالفة للدّين الصّحيح .

٢ -الأنصاب :

النصب (بفتح النون) والنصب (بضم النون) هي كل ما عبد من دون الله ، والجمع أنصاب (٩) .

وقال ابن منظور : قال الزجاج.: النصب (بضم النون) جمع واحدها نصاب (بكسر النون) .

وقال الجوهري : النصب : ما نصب فعبد من دون اللّه تعالى وكذلك النُّصب (بضم النون) . وقد

(١)ابن منظور:المصدر السابق: ص٤٧٦٥ .
(٢):ابن الكلبي : الأصنام : ص ٣٣ .
(٣): الحج : ٣٠ .
(٤): سيد قطب: في ظلال القرآن ج٤ ، ص ٢٤٢١ .
(٥) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، م ٢ ، ص ٢٨٨ .
(٦) سيد قطب:المصدر السابق: ص ٢٤٢١ .
(٧): العنكبوت : ١٧ .
(٨):العنكبوت : ٢٥ .
(٩):ابن منظور: لسان العرب ،ص ٤٤٣٥ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يحرّك مثل عسر (بضم العين وسكون السين) .

وقال ابن سيده : والأنصاب : حجارة حول الكعبة ، تنصب فيهل عليها ، ويُذبح عندها لغير اللّه تعالى والنّصب (بفتح النون وضمها) : العلم المنصوب ، ويؤيد هذا القول . قوله تعالى :<< كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ>> (١) .

وقيل النصب الغاية والأول أصح على رأي ابن منظور .

وقال أبو إسحاق : من قرأ إلى نصب (بفتح النون وسكون الصاد) فمعناه إلى علم منصوب ، يستبقون إليه ، ومن قرأ إلى نصب (بضم النون والصاد) فمعناه إلى أصنام (٢) .

وقال ابن الكلبي : (إن من لم يتخذ صنما ولا يقدر على بناء بيت ، نصب حجرا أمام الحرم ، وأمام غيره ، ثم طاف به وسموها الأنصاب (٣) .

وكانوا يذبحون عند أصنامهم وأنصابهم (٤) .

ثالثا - الأصنام :

جاء في تعريف صنم : صنم مفرد جمعه أصنام ، يقال إنه معرب شمن (بفتح الشين والميم) ، وهو الوثن (٥) .

وقد نقل ابن منظور هنا آراء بعض علماء اللغة في تعريف الصنم .

قال ابن سيده : هو ما ينجت من خشب ، ويصاغ من فضة ونحاس ، والجمع أصنام.

وقيل هو ما كان له جسم أو صورة ، وإلا فهو وثن .

وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي : الصنمة والنصمة: الصورة ، التي تعبد .

وفي التنزيل : << واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَام>> (٦) .

---

(١)المعارج : ٤٣ .
(٢) ابن منظور: المصدر السابق .
(٣):ابن الكلبي: الأصنام ص ٣٣ .
(٤):المصدر نفسه ، ص٣٤ .
(٥)؛ابن منظور:المصدر السابق ، باب صنم ج ٤ ص ٢٥١١.
(٦) ابراهيم : ٣٥ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد نقل هذا المعنى ، الذي ساقه ابن الأعرابي عن ابن عرفة حيث يقول في تعريف الصنم : ما اتّخذوه من آلهة فكان غير صورة فهو وثن ، وإذا كان له صورة فهو صنم .

ومهما يكن المدلول اللّغوي لكلمة الأوثان ، والأنصاب ، والأصنام ، فإنها تتّفق جميعا في عبادة غير اللّه ، سواء كانت هذه المعبودات أوثانا ،أو أنصابا ،أو أصناما ، فهي كما رأينا تؤدي معنى واحدا ، وإن اختلفت في اشتقاقاتها اللّغوية ،ويجدر بنا هنا أن نؤكد أن المفهوم اللغّوي للوثنية ، لا يوقفنا على المفهوم الصّحيح لهذا المصطلح ،الذيّ اتّسمت به فترة ما قبل الإسلام ، ولعل سبب ذلك هو أن المدلول اللغّوي هو مهمة المعاجم اللغوية ، والمعاجم كما رأينا وظيفتها تحديد اللفّظ ، لا ضبط المعنى ، ومن ثم فإنّه لابدّ من تحديد المفهوم الإصطلاحي للوثنية ، الذّي لم يحدده علماء المقارنة بين الأديان بسبب الاختلاف حول تحديد طبيعة الديّن الوثني ، فهناك على سبيل المثال من يعدّ المجوسية دينا وثنيا ، وهناك من يذهب إلى خلاف ذلك ويعد المجوسية دينا يقوم على التوّحيد ، ومهما يكن من أمر فإنه يمكن أن نقول :الوثنية هي كل عقيدة مخالفة لعقيدة التوّحيد ، فلقد أطلق بعض الباحثين صفة الوثنية على الديّانة النّصرانية ، عندما خرجت عن عقيدة التوّحيد إلى التثّليث ، وقد عقد الإمام أبو زهرة في كتابه (مقارنات الأديان) بين وثنية البوذييّن ووثنية النصّارى (١) ، وتوصّل إلى أنّ هناك تطابقا بين هاتين الديّانتين ، ومظاهر العبادة الوثنية كثيرة نوجزها فيمايلي :

١ -عبادة مظاهر الطبيعة : كالأرض وما عليها من إنسان وحيوان ونبات ، والسّماء وما فيها من نجوم وكواكب ولعلهم (أي الوثنيين) اعتقدوا أن حياتهم تقع تحت تأثير هذه الظواهر فحرصوا على إرضائها اجتلابا لخيرها ، واتّخذوا لها أشكالا مختلفة من بيوت وأشجار وأحجار وقدّسوها وعبدوها وطافوا حولها .

٢ -تقليد الآباء والأجداد : وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المظهر من مظاهر الوثنية قال تعالى :<< إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ، مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ >> (٢) .

---

(١)- انظر : محمد أبو زهرة : الديانات القديمة ، مقارنات الأديان ، البوذية ، دار الفكر العربي ص ٤٧ وما بعدها .

(٢) - الأنبياء : ٥٢ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

٣ -تقديم القرابين : يقول الآب جرجس داود :(ولما كانت الكعبة مصدر رزق أهل مكة وهي محجّ العرب يقصدونها من كل حدب وصوب ، نصبت قريش أصنام جميع القبائل عند الكعبة ، ليرى الحاج معبوده عندما يحج ، فيتبرك ويرضى ويقدم القرابين) .(١) .

هذه بعض مظاهر الوثنية ، وهناك خاصية جامعة للوثنية وهي تعدد الآلهة .

ثانيا - علاقة الوثنية بالجاهلية :

كثيرا ما يرتبط الحديث عن الوثنية في العصر الجاهلي ، الذيّ سبق ظهور الإسلام ،وذلك لأن هذا العصر تميّز بشيوع العقيدة الوثنية على اختلاف مظاهرها ،وصوَرها كعبادة الأصنام ، وعبادة مظاهر الطبيعَة إلى غير ذلك من الطقوس الوثنية .

ونظرا لهذا الإرتباط بين الوثنية ،وبين مظاهر المجتمع الجاهلي فمن الضروري وقبل الحديث عن الفرق الوثنية وموقف القرآن الكريم منها لا بد أن أحدد مفهوم الجاهلية مبرزا ما بينها، وبين الوثنية من نقاط الإلتقاء ، أو مواضع الإفتراق حتى تكون دراستي للوثنية دراسة موضوعية ، وأصيلة ، وعليه فإنني سأحاول أن أجيب على الأسئلة التالية : هل الوثنية مظهر من مظاهر الجاهلية ؟أم العكس ؟

هل هما شيء واحد ؟ أم أن لكلّ منهما طبيعة مختلفة ، ومظاهر متميّزة ؟

وأعتقد أن الإجابة على هذه التساؤلات تعترضها صعوبات يمكن أن نوجزها فيمايلي:

١ -أن الوثنية تلتبس في كثير من الأحيان بالجاهلية ، وهذه الملابسات مردّها أساسا إلى التشابه القائم بينها ، وبين الجاهلية من حيث المظاهر ، والطقوس ، ممّا يصعب معه تحديد مفهوم مستقلّ لكل منهما على حده .

٢ - هل الوثنية هي كل عقيدة مخالفة لعقيدة التوحيد ، فيمكنُ تعميمها لتشمل الدّيانات القديمة ، وحتى النّصرانية واليهودية بعد التّحريف ، أم أن الوثنية هي عقيدة الشّرك ، التيّ شاعت في المجتمع العربي قبل الإسلام فنحصرها في الوثنية العربية ؟. هذه الملابسات وغيرها هي التيّ جعلت دراسة علاقة الوثنية بالجاهلية أمرا يحتاج إلى التحّفظ على كثير من المصطلحات والمفاهيم .

---

(١) - الخربوطلي : تاريخ الكعبة ، دار الجيل - بيروت - ١٩٧٦ ، ص ٣٦ .

حمزة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

٣-صعوبة تحديد أسبقهما في الظهور والإنتشار وأيهّما أثر مترتب على الآخر ، فهل الوثنية ظهرت أولا أم الجاهلية ؟

وهل الوثنية أثر من آثار التّصور الجاهلي أم العكس ؟

ولذلك لابد - قبل بيان علاقة الوثنية بالجاهلية - أن أحدّد مفهوم الجاهلية ، ثم أحدّد العلاقة بينهما .

جاء في اللّسان : (الجهل نقيض العلم وإذا لم تعرف الشيء نقول جهلته) (١) . (وهو يجهل ذلك أي لا يعرفه ، والجاهلية زمن ما قبل الإسلام) (٢) . (والمجهل المفازة لا أعلام فيها ، يقول السويد بن أبي كاهل :فركبناها على مجهولها بصلاب الأرض فيهن شجع (٣) .

والجاهلية هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ورسوله وشرائع الدّين والمفاخرة في الأنساب، والكبر والتجبّر وغير ذلك (٤) .هذا ما ورد في (لسان العرب) من الجهل والجاهلية .

يقول الأب جرجس داود داود :(ورأيي أن العلم هو المعرفة والمعرفة ليست القراءة والكتابة بل هي الإلمام بالشيء وإدراك فحواه . وقد يكتسب الإنسان المعرفة عن طريق معاشرة الناس والإختلاط بهم وسماع أخبارهم ، كما يكتسبها عن طريق التجول من مكان إلى آخر ومن أرض إلى أرض ، ومن شعب إلى شعب ، وهذا هو باب المعرفة برأيي بالنسبة إلى الجاهليين الأميين أي الذين لا يعرفون القراءة والكتابة بالإضافة إلى من كان يقرأ منهم ويكتب) (٥) .

وهذ الرأي الأخير للأب جرجس داود نستخلص منه تعريفة للجاهلية بأنهّا ليست نقيض المعرفة ، وبالتّالي فهي ليست جاهلية معرفة ، فالوثنيون الجاهليون كان فيهم الإنسان العارف ،

---

(١):اللسان : مادة (ج هـ ل) : ص ١٢٩ .
(٢): المصدر نفسه .
(٣):المصدر نفسه .
(٤):المصدر نفسه.
(٥):الأب جرجس داود داود : أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع -بيروت -لبنان ط :٢ ، ١٩٨٨ م ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهذا ما ورد في بعض الكتب ،التي تقص نبأهم، وهذا الرأي هو ما عبّر عنه بقوله : (ومن هذا القليل الذّي ذكرنا نستنتج أن عرب ما قبل الإسلام لم يكونوا غالبيتهم على ما نرجح جاهليين بمعنى جهلة معرفة ، ومن الخطأ أن ننعتهم بالجهل والهمجية وقد امتازوا وخاصة عرب الجنوب بثقافة وحضارة حاكت في تقدمها حضارات العالم القديم ، مصر وبابل وذلك قبل الإسلام بقرون طويلة) (١) .

هذا على أنّ أكثر الباحثين ذهبوا إلى القول بأن الجاهلية هي عصر الجهل والهمجية (٢) .

ويعرّفها فيليب حتي بقوله : (فالجاهلية بالمعنى الصّحيح هي ذلك العصر الذّي لم يكن لبلاد العرب ناموس وازع ، ولا نبي ملهم، ولا كتاب منزل) (٣) .

ونستخلص من هذا القول بأن(حتّي) يصف عرب ما قبل الإسلام بأنهم جهلة دين ،وهذا ما لا نوافقه فيه ، لأنّ جزيرة العرب كانت مهد النبّوات ، وحضن الأنبياء ، فقد وردت لفظة الجاهلية في القرآن الكريم أربع مرات ،ففي سورة الفتح :<< إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيةِ >> (٤) .

جاء في الكتاب المقدّس :<< فاللهّ الآن يأمر جميع النّاس في كل مكان أن يتوبوا متغاضيا عن أزمة الجهل >> (٥) .

و نفهم من كلّ ما تقدّم أنّ الجاهلية اشتقت من الجهل ،الذّي يعني السّفه ، والطيش ، والغضب، والنّزق ، فالعربي يغضب ولأتفه الأسباب ولا تزال هذه الصّفة تلازمه حتى يومنا هذا تنمّ عن أخلاق الجاهليين .

وبهذا المعنى يطالعنا عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين (٦) .

أي : لا يسفه أحد علينا فنجازيه بأكثر سفاهة .

---

(١):الأب جرجس داود داود: أديان العرب قبل الإسلام ، ص١٦٣.
(٢):فيليب حتي : تاريخ العرب -ط ٥ - دار غندور -بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ١٢٨ .
(٣):المصدر نفسه .
(٤): الفتح : ٢٦ .
(٥): الكتاب المقدس -العهد القديم -أعمال الرسل : ١٧ : ٣٠ .
(٦): الزوزني : شرح المعلقات السبع - دار الجيل -بيروت -لبنان -ط:٢ ،١٩٧٢ ، ص ١٧٨

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يتضّح لنا من الأمثلة التي سقناها أن الكلمة أستخدمت لتدلّ على السّفه ،والحمق ، والطّيش ، وأنهّا جماع لكلّ عمل مخالف للفطرة ،والأخلاق ، ومن ثمّ فهي تشمل الجانب العبادي ، والإعتقادي ،الذي يكون على خلاف ما تقرّه الفطرة السليمة ،وأصول الشرائع السّماوية، ومبادئ الأخلاق .

وبعد هذا العرض الموجز لمفهوم الجاهلية يمكننا أن نقول إن الوثنية هي الجانب العملي للجاهلية ، فالسّفه ،والطيش، والخروج عن جادّة الصواب يؤدي بالإنسان إلى عبادة الأوثان ، واتّخاذ الآلهة أربابا من دون اللّه ، ومن ثمّ فإنّه لا يمكن الفصل بين الوثنية والجاهلية من حيث آثارها الإجتماعية ،وإن كنّا نفرّق بينهما في المفهوم اللغوي والإصطلاحي .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني :

ظهور الوثنية بين القرآن الكريم وآراء الباحثين والمؤرخين:

لا يعرف على وجه التّحديد تاريخ نشأة الوثنية في المجتمع البشرّي ، فالتّاريخ لا يطلعنا على شيء بخصوص هذه المسألة ، وليس بوسعنا إلا أن نرجع إلى القرآن الكريم لاستقراء بعض النّصوص المتعلّقة بالوثنية ، لمحاولة الوقوف على البدايات الأولى لهذه العقيدة ، فالقرآن الكريم قد سجّل عقائد بني الإنسان منذ الأزل ، فهو أوثق كتاب يعول عليه بشأن هذه القضية ثم نعرج بعد ذلك على آراء بعض الباحثين والمؤرخين في هذا الصّدد ، وهي في حقيقة الأمر ليست إلا مجرّد إفتراضات ، وإجتهادات لا يعوّل عليها كثيرا في بيان ظهور الوثنية ومسراها ، ولا متى نشأت ، وكيف انتشرت وشاعت في المجتمع الإنساني ، وبعد هذه التوطئة ، يمكن تفصيل ما أجملناه من القول على النّحو التالي :

أولا -القرآن الكريم والوثنية : لقد ذكر القرآن الكريم أنّ أوّل استخلاف في الأرض كان مع آدم عليه السّلام وأنّ الله عزّوجلّ قد أمره باتبّاع الهدى الذّي يأتيه من ربّه ، والهدى هو الرسالة التي تدعو إلى توحيد الله وإفراده بالطاعة والعبادة (١) وفي هذا المجال يقول اللّه تعالى : << قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ >> (٢) . فلقد ذكر القرآن الكريم الهدى في مقابل الكفر ، فدلّ ذلك على أن كلمة الهدى تنصرف إلى بيان معنى التوّحيه الذي هو نقيض الكفر باللّه واتّخاذ أرباب من دونه ، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية :<<يقول تعالى مخبرا عمّا أنذر به آدم وزوجته وإبليس حين أهبطهم من الجنّة ، والمراد الذّرية ، أنه ستنزل الكتب ويبعث الأنبياء والرّسل كما قال أبو العالية : الهدى : الأنبياء والرّسل والبيّنات والبيان >> (٣) ويضيف : << فَمَن اتَّبَعَ هُدَايَ >> أي من أقبل على ما أنزلت به الكتب و أرسلت به الرّسل .(٤) .

---

(١)- محمد علي الصابوني : النبوة والأنبياء ، ص١٢١

(٢)- البقرة : ٣٩،٣٨ .

(٣)- ابن كثير: التفسير،ج١، ص٨٧

(٤)- المصدر نفسه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهذا النصّ لابن كثير يدلّ على أن التّصور الأول للإعتقاد لم يكن تصوّرا وثنيا ، وإنما شاع هذا التّصور فيما بعد ، وهو ما نلمسه في عقيدة قوم نوح ، وقوم إبراهيم ، وأجيال كثيرة بعدهم .

أما عن قوم نوح فقد ذكر القرآن الكريم أنهّم اتّخذوا الأصنام آلهة ،وعبدوها بدليل قوله تعالى على لسانهم :<< وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا >>(١) . وكانت هذه الصورة من الإعتقاد هي أولى بوادر الوثنية في المجتمع البشري على نحو ما يذكر علماء مقارنة الأديان ، وفي هذا المعنى وتحت عنوان :(كيف انتشرت الوثنية وسبب عبادة الأصنام) يقول محمد علي الصّابوني : <<إن قوم نوح هم أول من عبد الأصنام وأن النّاس قبلهم كانوا على التّوحيد والإيمان لا يعرفون وثنية،ولا يعبدون أصناما ، والدّليل على أنّ قوم نوح كانوا يعبدون الأوثان هو ما ذكره اللهّ جل ثناؤه في كتابه العزيز مخبرا عن نوح : << قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ، وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ، وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ، وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا >>(٢) وهذه الأصنام كانت أسماء لأناس صالحين ، أو أسماء لملائكة مقربين أراد قوم نوح أن يتذكروا أعمالهم الصّالحة فاتخّذوا لهم تماثيل زعما منهم أنهّم بذلك لا ينسون ذكراهم ويتأسّون بهم في صالح الأعمال ، ومع مضي الأزمان عبدت هذه الأوثان (٣) .ولعلّ ما يؤكد هذا الرأي هو ماروي عن النبيّ صلّى اللهّ عليه وسلّم أنه قال لأمّ سلمة ولأمّ حبيبة لما رأتا الكنيسة التيّ بأرض الحبشة وذكرتا من حسنها وتصاويرفيها جميلة قال : <<أُولَئِكَ كَانُوا إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ثُمَّ تَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ >> (٤) .

وجاء في صحيح البخاري أن ابنَ عَبّاسٍ فسّر قوله تعالى : << وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا >> قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيّطان إلى قومهم أن أنصبواإلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسمّوها بأسماءهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ أي (تقادم) العلم عبدت . قال ابن عباس : وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد (٥) .

---

(١) - نوح : ٢٣ .
(٢) - نوح :٢١ ، ٢٤ .
(٣) - محمد علي الصابوني : النبوة والأنبياء، ص١٣٣
(٤) - رواه البخاري ومسلم في الصحيحين .
(٥) - رواه البخاري في صحيحه .

والوثنية بعد ذلك لم تنته بانتهاء فترة نوح بل استمرت طقوسها في الأجيال التي جاءت بعدها بدليل أنها قد ظهرت في قوم إبراهيم ، فقد قصّ علينا القرآن الكريم دعوة ابراهيم لأبيه ، فقد كان أبوه مشركا يعبد الأصنام قال تعالى : << وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً >> (١) وقال تعالى في هذا الصّدد أيضا : << واذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ؟ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ، قَالَ : أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا >>(٢) .

وكان قوم إبراهيم يعبدون الأصنام كما حكا القرآن الكريم عنهم : << قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ >> (٣) . << قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ؟ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ >> (٤) .<< قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ >> (٥) . فهذه الآيات كلها تدلّ على أنّ عبادة الأصنام كانت سائدة في زمن إبراهيم ، وربّما ورثوها عن قوم نوح الذين كانوا أوّل من عبد الأصنام كما ذكرنا من قبل .

ويمكن القول ، بناء على ما ذكره القرآن الكريم وما ذكره المفسّرون أن الوثنيّة ظهرت أوّل ما ظهرت في قوم نوح ؛ لأنهم في تاريخ النبّوات أول من استقبل الوحي الإلهي بعد آدم-عليه السلام-.

ثانيا -ظهور الوثنية في آراء الباحثين والمؤرخين :أما عن تاريخ بدء الوثنية في آراء الباحثين ، فيقول أحدهم ، أنّ << أول ما عبدت الأصنام : أن آدم عليه السلام لما مات جعله بنو (شيت) ابن آدم في مغارة في الجبل الذي أهبط عليه آدم بأرض الهند ، وكان بنو شيت يأتون جسد آدم في المغارة ، فيعظمونه ويترحمون عليه ، فقال رجل من بني قابيل ابن آدم : يابني قابيل إن لبني شيت دوارا يدورون حوله

---

(١) الأنعام : ٧٤ .

(٢) مريم : ٤١ ، ٤٦ .

(٣) الأنبياء : ٥٩ .

(٤) الأنبياء : ٦٦-٦٧ .

(٥) الأنبياء : ٦٨ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويعظّمونه ، وليس لكم شيء ،فنحت لهم صنما ،فكان أوّل من عمل الأصنام >>(١) .

وقال ابن الكلبي :<< كان ودّ ،وسواع ويغوث ،ويعوق ونسر ،كانوا قوما صالحين ماتوا في شهر فجزع عليهم ذوو أقاربهم ،فقال رجل من بني قابيل : ياقوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم ، غير أنيّ لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا ،قالوا نعم ،فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم ، فكان الرجل يأتي أخاه وعمه وابن عمه فيعظّمه ،ويسعى حوله ، حتى ذهب ذلك القرن ثم جاء قرن آخر ، فعظّموهم أشدّ من تعظيم القرن الأول ،ثم جاء من بعدهم القرن الثالث ،فقالوا ما عظّم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله ،فعبدوهم وعظم أمرهم،واشتد كفرهم فبعث اللّه إليهم إدريس عليه السّلام فدعاهم فكذّبوه فرفعه اللّه إليه مكانا عليّا ،ولم يزل أمرهم يشتد حتى مجيء نوح عليه السلام، فبعثه الله إليهم نبيا وهويومئذ ابن أربعمائة وثمانين سنة ، فدعاهم إلى اللّه وفي نبوّته مائة وعشرون سنة ،فعصوه وكذّبوه ،فأمره اللّه أن يصنع الفلك ففرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة (٢) ، وغرق من غرق ،ومكث بعد ذلك ٣٥٠ سنة ،فعلا الطوفان وطبق الأرض كلها وكان بين آدم ونوح ٢٢٠٠ ،فأهبط ماء الطوفان هذه الأصنام بشدة من جبل "نوذ" بالهند إلى الأرض ،وجعل الماء يشتدّ جريه وعبابه من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض "جدة" ثم نضبْ الماء وبقيت على الشّط ، فنسفت الريح عليها حتّى وارتها .(٣)

وهذا النصّ كما ترى لا يعطي تاريخا محددًا لبدء الوثنية في المجتمع الإنساني ،وغاية مافيه أنّ الوثنية قديمة في نشأتها وأنّها ترجع إلى عهد آدم عليه السلام ،وهي مجرّد ظنون لاترقى إلى درجة اليقين . ويمكن أن نقول : إن عبادةاللّه كانت أقدم عبادة عرفها البشر منذ آدم-عليه السلام-وهي العبادة،التيّ ترتاح إليها النفّس البشرية ، ولكن هذه النفّس ما تكاد تصل إلى التوّحيد الخالص وما تكاد تستريح إليه حتىّ تبعدعنه،لأن عقيدة الألوهية المجرّدة عن الأجرام عقيدة صعبة المنال،ولا يدركها إلاخاصّة الخاصّة ،وإنْ أدركوهافسرعان ما ينسوها ويميلون إلى التجّسيد .(٤)

---

(١) أبو المنذر بن السائب الكلبي : الأصنام . تحقيق أحمد زكي باشا ص ٥٠
(٢) لعله اعتمد على ما ورد في التوراة(سفر التكوين) ، من أن الطوفان ابتدأ في السنة الأولى بعد ستمائة سنة من ولادة نوح – عليه السلام – والله أعلم
(٣) ابن الكلبي : المصدر السابق

(٤) أحمد أمين : يوم الإسلام ، دار الكتاب العربي – بيروت . لبنان ط١٠ ج١ ص٧

وهكذا اتجّه الإنسان إلى عبادة الأصنام منذ أقدم العصور ، فكانت الحاجة إلى الرّسالة والأنبياء أمرا ضروريا ،ليعيدوا الناس إلى حقيقة التوّحيد . هذا عن الوثنية عموما ، أما عن الوثنية العربية فإن كثيرا من العرب كانوا من المهتدين بالفطرة ، بسبب التعّاليم التي وصلت إليهم عن طريق صلتهم بالأنبياء كإبراهيم وإسماعيل ،ولكنهم عادوا إلى الأصنام التي عرفت من عهد نوح فنصبوها ، وخصوّها بالعبادة ، وبذلك اختلط دين الفطرة عندهم بالوثنية .(١) ولكن كيف تحوّل الإنسان عن عبادة الله إلى الوثنية ؟ تختلف الآراء في الإجابة عن هذا السؤال فهل يرجع ذلك إلى بقايا "طوطمية " تطوّرت ،على أن هذ ه الكلمة لا تزال موضع بحث في أصلها وأوضح الآراء حولها هو أنّ الجماعات البشريّة الأولى اهتمّت بالحيوان،أوالنّبات الذّي ارتبط بطعامها اليومي ،ثم تطوّر هذا الإهتمام فأصبح اعتقادا بأنهّم انحدروا منه ويحملون لذلك اسمه أحيانا (ولعلّ أسرة الجمل والغراب و نخلة من ذلك ، ويلزمون أنفسهم بشعائر وطقوس معينة في مواسم مخصوصة ، وحرمت بذلك أكل " الطواطم " فحرمت جماعات أكل البقر ، وحرم آخرون أكل الطيور وعندما حرم أكل الطوطم نظر له بتقدير ، وانتهى هذا التقّدير إلى العبادة ، ثم تحوّل ذلك خطوة أخرى فعمل تمثال يحلّ محلهّ ، وكانت تلك منشأ عبادة الأصنام (٢) .

هذه فكرة في غاية الإيجاز عن "الطوطمية " ، فهل كانت عبادة الأصنام عند العرب بقايا " طوطمية " ؟

إن الباحث لايستطيع الإجابة بالإيجاب أو النفي ، في صورة تأكيد ، وكلّ مايمكن أن يقوله : إن ذلك ممكن ، ولكن ليس مقطوعا به وبخاصة أن العرب لم يحرموا أكل الإبل والغنم والتمّر ولم يتّخذوا منها طواطم مع أنهّا تكون أقدم الأطعمة التيّ عرفها العرب ، ولا نظنّ أن حيوانات أخرى أو طعاما آخر كان أشدّ إرتباطا بهم منها .

---

(١) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ والحضارة الأسلامية ج١ مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة - ط١٢ ١٩٨٧ ص١٦٥
(٣٢) أحمد شلبي : المصدر نفسه

وهناك رأي آخر في نشأة الوثنية العربية يذكره ابن الكلبي (١) في معرض حديثه عن تاريخ تحوّل العرب عن عبادة اللّه إلى الوثنية وسبب ذلك ، فيقول : << إن عمرو بن لحي من خزاعة كان حاجب الكعبة ، ثم مرض مرضا شديدا ، فذهب إلى البلقاء في الشام ليستحمّ في ماء هناك ، فاستحمّ ، وشفي ، ووجد أهل البلقاء يعبدون الأصنام ، فقال : ما هذه؟ قالوا : نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا ، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة .

ويمكن أن يعدّ ذلك في رأي ابن الكلبي ، بدء دخول الوثنية في قلب الجزيرة العربية ، أما انتشارها فيوضحّه لنا ابن الكلبي أيضا (٢) حيث ذكر أنّه كان لايظعن من مكة ظاعن إلا حمل معه حجر من حجارة الحرم تعظيما للحرم ، وصبابة بمكة ، فحيث ما حلّوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، ثم تطوّر حبّهم لأحجار مكّة ، وجنحت بهم إلى عبادة الأوثان واستبدلوها بدين إبراهيم وإسماعيل ، وصاروا إلى ماكانت عليه الأمم من قبلهم ، واتبّعوا ما كان يعبد قوم نوح منها على إرث ما بقي فيهم من ذكرها .

وهذا تعليل موضوعي ؛ لأنه يبين لنا كيف اختلط دين الحق بعبادة الأصنام ، ويقول ابن الكلبي في ذلك : << واستبدل العرب بدين إبراهيم وإسماعيل غيره ، وفيهم مع ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتمسكون بها ، من تعظيم البيت ، والطواف حوله ، والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة ، وإهداء البدن مع إدخالهم في الدّين ما ليس منه >>(٣) .

ويرى بعض الباحثين أن العرب كانوا يعبدون اللّه ، وكانوا يعظّمون الكواكب ، على أنّها أعظم خلقه ثم تطورّ تعظيمهم للكواكب فصار عبادة خالصة ، وهناك بعض حجارة بركانية اعتقد العرب أنها ساقطة من السّماء فلها صلة بهذه النجّوم فعظمّوا هذه الأحجار وانقلب التعظّيم إلى عبادة ، ثمّ عبدت الأحجار الأخرى وإن لم يظنّوا أنهآ ساقطة من السّماء(٤) .

---

(١) ابن الكلبي : المصدر السابق ص٦

(٢) المصدر نفسه ص٨

(٣) ابن الكلبي : المصدر السابق ص٦

(٤) محمد حسين هيكل: حياة محمد -الطبعة١٣ مكتبة النهضة العربية ١٩٦٨.ص١٢

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومثل هذا ما آل إليه أمر العرب مع إساف ونائلة ، وهما في الأصل كما يروي ابن الكلبي رجل وإمرأة من جرهم وكان الرجل يعشق المرأة ثم قدما إلى الحج ، فدخلا الكعبة ووجدا غفلة من النّاس وخلوة في البيت فواقعها ، فمسخاحجرين ، فوضعا عند الكعبة ليتعظ بهما النّاس ، فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدا معها (١).

ورغم أنّ عبادة الأصنام قد أصبحت جزءا لايتجزّأ من حياة العرب ، فقد كان منهم طائفة من الحنفاء الذينّ أدركوا ما كان عليه قومهم من ضلال ، فتركوا عبادة الأصنام وعادوا إلى دين ابراهيم ، ومن لم يعد إعتزل، أو تنصر .وفي ختام الحديث عن الجذور التّاريخية للوثنية العربية ، لابد أن أسجل ما يلي:

-١ أن عبادة الأصنام لم تكن عبادة لذاتها : ومعنى ذلك أنّ عبادة العرب للأصنام لم تكن لذاتها وإنما كانت في نظرهم وسيلة يتقرّبون بها إلى اللّه ، وقد سجّل القرآن الكريم مقالتهم هذه في قوله تعالى :<< وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى >> (٢) .وهذا دليل قوي على أنهّم لم ينسوا ديّن إبراهيم ، حتى حينما كانوا في ظلماتهم يعمهون ، ومما يؤكد ذلك أن آلهتهم،التّي انتشرت في الجزيرة العربية والتّي أقاموا لها البيوت،وأقدموا لها السّدنة ،لم تشغلهم عن الكعبة بيت أبيهم إبراهيم ، فظلوا يحجّون لها .

-٢ أن عبادة الأصنام لم تكن عبادة مستقرة : فالذّي يقرأ كتاب الأصنام لابن الكلبي بإمعان ، وهو بلاشك أهم مرجع في هذا الباب ، يصل إلى حقيقة مهمّة هي أن عبادة الأصنام عند العرب لم تكن عبادة مستقرة ، وأنها لم تتحقّق في قلوبهم ، وأن الثوّرة على هذه الأصنام كانت تظهر بين الحين والآخر فيطيح الثائر برأس صنمه،وينهال عليه تهشيما وسخرية ، وليس هذا فقط من العقلاء المفكرين كزيد بن عمرو وورقة بن نوفل وغيرهما ممن تحدثّنا عنهم ، بل إن الثوّرة على الأصنام كانت تحدث من عابديها

---

(١) ابن الكلبي: المصدر السابق ،ص ٩ ، ٢٩

(٢) الزمر : ٣ .

وأتباعها ، فكان العابد لها ينقلب فجأة إلى ساخط عليها لأدنى الأسباب وأوهى المبرّرات ، مما يدلّ على أن عبادتهم للأصنام كانت في كثير من الأحوال عبادة سطحية ، لا تحققّ فيها ، وأورد كمثال على ذلك،ما ذكره ابن الكلبي ، فقد كان لكنانة صنم يقال له " سعد " بساحل جدة ،فأقبل رجل من كنانة بإبل له ليقفها عليه تبرّكا وتيمّنا به . فلما دنا من الصنم ، وكان عليه أثر الدمّاء ، نفرت الإبل ، وذهبت في كل ربع ، وتفرقت فأسف صاحبها لذلك ، وسفّة سعدا وتناول حجرا ورماه به وقال :لابارك اللهّ فيك إلها ، أنفرت عليّ إبلي ثمّ خرج في طلبها حتّى جمعها (١) .

(١) ابن الكلبي :المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث :

الفرق الوثنية قبل الإسلام وموقف القرآن منها :

لقد ظهرت قبل الإسلام طوائف دينية مختلفة ، لكل منها صفاتها العقدية ونظرتها المتميّزة إلى الكون والحياة ، ولكن هذه الفرق ترتدّ إلى طائفتين متمايزتين :

-الطائفة الأولى : وهم أتباع الأنبياء والرّسل الذين كان التّوحيد سمة بارزة في عقيدتهم في عهوده الأولى ،ثم بعد بهم الزمن ، وأخذت دائرة التوحيد عندهم تضيق ،حتى قدّسوا المقرّبين وعبدوا المخلوقين ، وغيّروا الكتب السّماوية ، ويعرف هذا كل من قرأ تاريخ اليهودية والنّصرانية ، وقد صوّر القرآن الكريم معتقدهم فقال تعالى : <<وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ >>(١) .

ثم انحدروا بعد ذلك إلى عبادة الأشخاص والرؤساء والقدّيسين ، وأصحاب الكرامات ، وقد وضّح القرآن الكريم حالهم هذا فقال تعالى : << اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ، وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ>> (٢) . وهكذا إلى أن بلغ بهم الأمر إلى أن ادعوا ألوهية المسيح .

-الطائفة الثانية : وهم الذيّن لم يهتدوا بهدي سّماوي ، وجحدوا الصّانع وهم الكثرة من بني البشر،الذيّن استحوذ عليهم الشيطان ، وحجر على عقولهم فتحوّلت العبادة عندهم إلى عبادة وثنية تقدّس الطبيعة ، ومظاهرها ،وهم عبدة الأوثان على إختلاف طرقهم .

ويمكن القول أن البيئة العقدية قبل الإسلام قد اشتملت على كثير من الدّيانات الممسوخة،والمشوهة فكان فيها الوثنية على اختلاف مضاربها وألوانها ، فقد عبد الوثنيون الأصنام واستسقوا بها المطر وذبحوا لها الذبائح واستنصروا بها على الأعداء ، وامتلأت بها منازلهم وتمسّحوا بها إذا أرادوا السّفر وإذا أقدموا

---

(١) التوبة : ٣٠

(٢)التوبة :٣١

من سفر ، وملئت حياتهم بالخرافات والأوهام ؛ فإن أصيبوا بالقحط عمدوا إلى شجرتي السّلع والعِتر ، وضربوها و عقدوها في أذناب البقر ثم أشعلوا النّار فيها تفاؤلا بسني البرق ، ويعتقدون بالهامة تخرج من رأس القتيل وتنادي على قبره فإني صدّيه حتى يؤخذ ثأره .

ويفزعون إلى الكهان والعرافية في منازعاتهم وخصوماتهم ، والكهانة والعرافة لها نظام محكم في نظام حياتهم إلى آخر مفاسدهم، التيّ لا يقرّها العقل، ولا ينطق بها وحي (١).

وكذلك انتشرت في بلاد العرب قبل الإسلام بعض الديّانات القديمة والتعاليم الفردية الإباحية ، فكان فيها المزدكية ،والزردشتية ،والعيسوية ، التي تجعل من المسيح إلها أو إبنا لإله ، وكذلك اليهودية المحرّفة إلى غير ذلك من الملّل والنحّل الباطلة قبل الإسلام .

وقد سجّل القرآن الكريم ألوان العقائد الوثنية ، وفرقها التيّ كانت سائدة في تلك الفترة ونوجزها فيما يلي :

أولا- **عبدة الأصنام والأوثان :** لا يهمّنا هنا إثبات وقت محدد لظهور عبادة الأوثان في المجتمع الإنساني ، كما لايعنينا أيضا أن ندخل في جدل غير مثبت عن الشخصية التي ابتدعت مثل هاته العبادة ، وما يعنينا هو التأكّد من أن بعض الوثنيين كانوا قد ألهوّا الأصنام،والأوثان،والأنصاب وعبدوها من دون اللهّ وقد سجّل القرآن الكريم هذااللوّن من العبادة في مواطن كثيرة ، منها قوله تعالى :<< وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى >> (٢) . وقوله تعالى:<< وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ، كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا >> (٣) وقوله تعالى :<<وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ>> (٤) وقوله أيضا :<< وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ >>(٥) .

---

(١) محمد هشام سلطان : العقيدة والفكر الإسلامي ، ص ١٠ .
(٢) الزمر : ٣ .
(٣) مريم : ٨١ .
(٤) الفرقان : ٣ .
(٥) يس : ٧٤ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويؤيّد هذه النّصوص القرآنية التيّ تؤكد ظهور عبادة الأصنام في المجتمع الوثني ، ما روي عن ابن عباس أنه قال :<< دخل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم مكةّ في يوم الفتح وحول الكعبة ثلاث مائة وستّون صنمافطاف على راحلته وهو يقول :<< جاء الحقّ وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا >>(١) .

وقال ابن اسحاق :أمر الرّسول بالأصنام فجمعت وكسرت وحرقت بالنّار (٢). المهمّ أن العرب عبدوا الأصنام ، ولقد تعددت غاياتهم من عبادة الأصنام كما بين القرآن الكريم ، فهناك صنف عبد ها ليتقرب بها إلى اللّه ، وهم الذين أشار إليهم قوله تعالى :<<وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى >> (٣) .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : << ثم أخبر عز وجلّ عن عبّاد الأصنام من المشركين أنهّم يقولون : << مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى >> أي:إنّما يحملهم على عبادتهم لهم أنهّم عمدوا إلى أصنام إتّخذوها على صوّر الملائكة المقربين فعبدوا تلك الصّور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند اللّه تعالى في رزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا ، أما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به >>(٤) ، ثم يضيف ابن كثير :<< قال قتادة والسّدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد : إلا ليقربّونا إلى اللهّ زلفى أي:ليشفعوا لنا ويقربوّنا عنده منزلة ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم : لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك .

وهذه الشّبهة هي التيّ اعتمدها المشركون قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرّسل صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهّي عنها ، والدعوة إلى إفراد العبادة للّه وحده لاشريك له وإن هذا الشيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن اللّه به،ولا رضي به بل أبغضه ونهىٰ عنه (٥) .

---

(١) الأزرقي : أخبار مكة ، دار الأندلس -ج ١ ، ص ١١٧ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الزمر : ٣ .
(٤) ابن كثير : التفسير ، ج ٦ ، ص ٤٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهناك صنف آخر عبد الأصنام ليستنصر بها ، وتكون له مصدر مناعة ، تمنعه من إعتداء المعتدين ، وهم الذين أشار إليهم قوله تعالى :<< وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ >>(١) .

يقول ابن كثير :<< يقول تعالى منكرا على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقربهم إلى الله زلفى >> (٢) .

وقد ردّ القرآن الكريم هذا الزعم ، بأن هذه الآلهة لا تقدر على نصر عابديها ، بل هي أضعف من ذلك وأقلّ وأذلّ وأحقر ، بل لا تقدر على الاستنصار لأنفسها، ولا الإنتقام ممن أرادها بسوء، لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل (٣) .قال تعالى في هذا المعنى عن الأصنام :<< لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ >>(٤) .

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآيات :<< ولقد كانوا يتّخذون تلك الآلهة يبتغون أن ينالوا بها النصر، بينما كانوا هم الذين يقومون بحماية تلك الآلهة أن يعتدي عليها معتدٍ أو يمسّها بسوء ، فكانوا هم جنودها وحماتها المعدين لنصرتها :<< وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ >> : وكان هذا غاية في سخف التصور ،والتفكير >>(٥) .

ولعلّ اعتقاد المشركين بأنّ الأصنام تمنع عنهم البأس ، وتدفع عنهم السّوء ، هو الذّي جعلهم يعرضون عن القرآن الكريم ، ويصفون الرّسول - صلىّ الله عليه وسلّم - بأنه قد اعترته بعض آلهتهم بسوء لمّا عرضَ عليهم الإسلام .

---

(١) يس : ٧٤ .
(٢) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٨٠ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) يس : ٧٥ .
(٥) سيد قطب : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٩٧٦ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهناك صنف ممّن عبد الأصنام قد عدّها ديانة تقليدية وراثية ، وقالوا عنها بأنها ديانة الآباء والأجداد وهذا ما يفسره لنا لقاء أشراف قريش وعلى رأسهم أبو سفيان بن حرب بأبي طالب عمّ الرسّول وحاميه ، وقولهم له :<<يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا وعاب ديننا وسفّه أحلامنا وضلّل آباءنا فإمّا أن تكفّه وإمّا أن تخلّي بيننا وبينه >> (١) .

ولم يكن العرب المبتدعين الأوائل لهذا ، بل سبقهم إليه قوم إبراهيم كما حكا القرآن الكريم عنهم في ذكر إبراهيم :<< إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ >> (٢) .

وعن عبادة العرب للآباء والأجداد يقول تعالى :<< وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ >>(٣) .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية :<< يقول تعالى : وإذا قيل لهؤلاء الكفرة من المشركين : اتبعوا ما أنزل اللّه على الرّسول ، واتركوا ما أنتم عليه من الضّلال والجهل قالوا في جواب ذلك : بل نتبّع ما ألفينا أي : وجدنا عليه آباءنا أي :من عبادة الأصنام والأنداد ،كان اللّه تعالى منكرا عليهم :<< أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ >> أي: الذينّ يقتدون بهم ويقتفون أثرهم << لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ >> أي : ليس لهم فهم ولا دراية >> (٤) .

ويقول سيد قطب :<< وسواء كان هؤلاء الذّين تعنيهم الآية هم المشركون،الذّين تكرّر منهم هذا القول كلما دُعوا إلى الإسلام ، وإلى تلقّي شرائعهم وشعائرهم منه ، وهجر ما ألفوه في الجاهلية ممّا لا يقرّه الإسلام أو كانوا هم اليهود الذين كانوا يصرون على ما عندهم من مأثور آبائهم ، ويرفضون الإستجابة للدّين الجديد جملة وتفصيلا ، سواء كانوا هؤلاء أم هؤلاء ، فالآية تندّد بتلقّي شيء من أمر العقيدة من غير اللّه ، وتندّد بالتّقليد في هذا الشأن والنقّل بلا تعقّل ولا إدراك << أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ >> أو لو كان الأمر كذلك ، يصرون على اتبّاع ما وجدوا عليه آباءهم ، فأيّ جمود هذا وأيّ تقليد >> (٥) .

---

(١) انظر : محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ص ٨٤
(٢) الأنبياء : ٥٢ ، ٥٣ .
(٣) البقرة : ١٧٠ .
(٤) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٥ .
(٥) سيد قطب : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٥٥ .

ويمكن تحديد موقف القرآن الكريم من عبادة الأصنام ومن عابديها على النّحو التالي :

-١ لقد بيّن القرآن الكريم فساد ما اعتقده المشركون في الآلهة بأنها تشفع لهم وتنصرهم إلى غير ذلك من إفتراءاتهم ، وذلك بالإشارة الكثيرة إلى عجز هذه الآلهة وتجرّدها من الصّفات التّي تؤهلها للألوهية كالسّمع والبصر وهو ما احتجّ به القرآن الكريم على بطلان عبادة الأوثان كقول الله تعالى :<< أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ، وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ >> (١) .

فلا شك أنّ من هو ملأ السمع والبصر إذا دعاه الداعي أحق بالعبادة من تلك الآلهة، التّي لاتسمع ولا تبصر . ومن عجز الأوثان أيضا أنها لا تضرّ ،ولا تنفع ، قال اللّه تعالى :<< قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، قُلِ : اللَّهُ ، قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ، لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا >> (٢) . فهذ الأية الكريمة تبين أن اللّه هو الربّ الذي يجب أن يعبد ، لا هذه الأصنام التي لا تملك لأنفسها،أو غيرها نفعا،ولا ضرا .

قال الفخر الرّازي :<< ولما كانت عاجزة عن تحصيل المنفعة لغيرها ، ودفع المضرة عن غيرها كان ذلك أولى ، فإذا لم تك قادرة على ذلك كانت عبادتها محض العبث والسفه >> (٣) .

-٢ أن هذه الأصنام عاجزة عن خلق أي شيء ، وهو ما ينافي ألوهيتها المزعومة ، إذ أخص صفة للإله هو الخلق ، ولهذا قال تعالى :<< وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ >> (٤) . وقال في موضع آخر :<< أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لاَ يَخْلُقُ >> (٥) ،فالآية الكريمة تقيم مقابلة بين اللّه الذي خلق ما وقع تعداده بين مختلف المصنوعات العظيمة وخاصة ما له تأثير مباشر على حياة النّاس ومنافعهم ، وبين ما اعتقد المشركون أنّ له تأثيرا في إحداث أشياء،أو في دفع أشياء يتوقّع منها شرّ أوجلب ما يُرجى منه خير ، هذا زيادة على أنّ المشركين أنفسهم كما يذكر القرآن الكريم يعترفون بأ ن اللّه هو الخالق لما ذكر بمقتضى قوله تعالى :<< وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ >> (٦) .

فالإعتراف أن اللّه هو الخالق يناقض عبادتهم للأصنام وهي مخلوقة .

---

(١) النمل : ٦٢ .
(٢)الرعد : ١٦ .
(٣) الرازي : التفسير الكبير ، ج ١٩ ، ص ٣١ .
(٤) الفرقان : ٣ .
(٥) النحل : ١٧ .
(٦) لقمان : ٢٥ .

٣- أن عبادة الأصنام لم يأت بها كتاب من عند اللهّ كما يدّعون قال تعالى :<< إِأْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ >>.(١)

فكلّ الكتب المنزّلة قبل القرآن الكريم تشهد بوحدانية اللّه سبحانه وتعالى وإفراده بالخلق والإبداع والتقّدير ، وليس فيها من كتاب يقرّ تعدّد الآلهة ، أويقول بأنّ لها في الأرض خلقا،أو في السّموات شركًا ، وليس هناك من علم ثابت يؤيّد مثل هذا الزعم .

٤- ذمّ القرآن الكريم طريقة المشركين في تقليد الآباء والأجداد ،والجمود على آثارهم وذلك من ناحيتين إحداهما :الجمود على عقيدة الآباء والأجداد .

والثانية : أنهم باتبّاعهم لآبائهم قد فقدوا مزية البشر في التمّييز بين الحقّ،والباطل والخير،والشر ،والحسن والقبيح ،بطريق العقل والعلم وطريق الاهتداء في العمل، ويؤيده قوله تعالى:<<وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَاوَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ، قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ، أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَتَعْلَمُونَ>>(٢)

وهكذا فقد أبطل القرآن الكريم عبادة الأصنام من أساسها معتمدا في ذلك على الحجّة ،والبرهان والدليل المنطقي،والواقعي والكوني ،ممّا يجعل هذه العبادة ، عبادة سخيفة لاتقوم على أساس من العقل، وإنما هي اتباع مذموم وتقليد أعمى.

(١) الأحقاف : ٤ .
(٢) الأعراف : ٢٨ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا :المثنوية :

وعن هذه الفرقة يقول تعالى :<< وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ >>(١) وينضوي تحت هذا الصنف عبدة الأصنام لتعدد آلهتهم ، والمثنوية هم الذين قالوا أن للكون إلهين اثنين ، فقال اللّه تعالى عنهم :<< وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ، إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ>>(٢) .

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية :<< لقد أمر اللّه ألا يتّخذ النّاس إلهين اثنين ، إنما هو إله واحد لا ثاني له ، ويأخذ التعبير أسلوب التقرير والتكّرير فيتبع كلمة إلهين بكلمة اثنين ، ويتبع النهّي بالقصر إنّما هو إله واحد ، ويعقبّ على النّهي والقصر بقصر آخر << فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ >> دون سواي بلا شبيه ولانظير ويذكر الرّهبة زيادة في التحّذير ، ذلك أنهاّ القضية الأساسية في العقيدة كلهّا ، لاتقوم إلا بها ،ولاتوجد إلا بوجودها في النفس واضحة كاملة دقيقة لالبس فيها ولاغموض إنما هو إله واحد (٣) .

وقد قضى القرآن الكريم ببطلان هذه العقيدة،لأنها تفضي إلى الصّراع الذيّ من نتائجه فساد الكون، كما تفضي إلى النّزاع وتعدّد الإرادات ، وهو الدلّيل القرآني،الذيّ نعتمد عليه في إبطال هذه العقيدة وذلك في المبحث الخاص بالمنهج القرآني في نقد الوثنية .

وعن موقف القرآن الكريم من القائلين بتعدد الآلهةيقول تعالى :<< قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً >>(٤) .

---

(١)يس : ٧٤ .
(٢) النحل : ٥١ .
(٣) سيد قطب : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٢١٧٦ .
(٤) الإسراء : ٤٢ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية :<< يقول تعالى :قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أنّ للّه شريك من خلقه ، العابدين معه غيره ، ليقرّبهم إليه زلفى لو كان الأمر كما يقولون ، وأنّ معه آلهة تعبد لتقرب إليه وتشفع لديه ،لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقرّبون إليه ، ويبتغون إليه الوسيلة والقربى ، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه ، فإنه لا يحب ذلك ولايرضاه ، بل يكرهه ويأباه ، وقد نهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه ، ثم نزّه نفسه الكريمة وقدّسها فقال :<< سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ >> أي :هؤلاء المشركون المعتدون الظّالمون في زعمهم أن معه آلهة أخرى << عُلُوًّا كَبِيرًا >> أي : تعاليا كبيرا بل هوالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كُفُوًا أحد >> (١) .

ثالثا : المنكرون للبعث : وعن هؤلا يتحدّث القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها قوله :<<وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ >>(٢) . يقول ابن كثير :<< يقول تعالى مخبرا عن المشركين أنّهم حلفوا فأقسموا بالله جهد أيمانهم أي:اجتهدوا في الحلف وغلظوا الأيمان على أنّه لا يبعث الله من يموت و استبعدوا ذلك ، وكذّبوا الرّسل في إخبارهم لهم بذلك وحلفوا على نقيضه >> (٣) ومنها قوله تعالى : وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا >>(٤) .

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية :<< ذلك أنهم لم يكونوا يتدبّرون أنهمّ لم يكونوا أحياء أصلا ثمّ كانوا ، وأن النشأة الآخرة ليست أعسر من النشأة الأولى ، وأنه لا شيء أمام القدرة الإلهية أعسر من شيء ، وأداة الخلق واحدةفي كل شيء :<<كُن فَيَكُونُ>> فيستوي إذا أن يكون الشيء صعبا وأن يكون سهلا في نظر النّاس متى توجّهت الإرادة الإلهية إليه>>(٥) .

---

(١)تفسير ابن كثير : ج ٤ ، ص ١٠٤ .
(٢) النحل : ٣٨ .
(٣) ابن كثير : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٠ .
(٤) الإسراء : ٤٩ .
(٥) سيد قطب : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٢٣١ .

ويهمّنا في هذا المقام التنبيه إلى أنّ عقيدة إنكار البعث قد شاعت بين مشركي العرب، وغيرهم من أهل الملل الوثنية ، يقول محمد رشيد رضا :<<الإيمان باللّه واليوم الآخر ومايكون فيه البعث والجزاء على الأعمال هو الركن الثاني في الدّين الذّي بعث اللّه به الرّسل عليهم السّلام، وبه يكمل الإيمان باللّه تعالى ، ويكون باعثا على العمل الصالح ، وترك الفواحش والمنكرات والبغي والعدوان ، وكان جل مشركي العرب ينكرونه أشد الإنكار>>(١) .

وأما عن موقف القرآن الكريم من قضية البعث فيمكن تلخيصها فيما يلي:

أولا :أن إنكار البعث معناه أن الإنسان والكون وكلّ شيء في الوجود قد خلق عبثا من غير قصد ، ولهذا نجد أن القرآن الكريم ينفي وقوع هذا العبث ويبيّن أنهّ لولا الاعتقاد بالبعث أوالجزاء الأخروي لما كانت هناك حكمة من خلق السّموات والأرض وما بينهما وفي هذا المعنى يقول تعالى :<< وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ >>(٢) ، ويقول الله تعالى :<< أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ >>(٣) ويقول الله تعالى:<< أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى >>(٤) ويقول تعالى :<< وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ >>(٥) فهذه الآية الأخيرة تبيّن أنهّ لولا الجزاء الأخروي لَمَا كانت هناك مدلولات لهذه التكّاليف ، ولم تكن هناك أية دواع تدفع الإنسان إلى ممارسة الشعائر التعّبدية .

ثانيا : أن إنكار البعث يستلزم إنكار عملية الخلق ابتداء، فاللّه الذي خلق قادر على الإعادة ، وفي هذا المعنى يقول اللّه تعالى:<< وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الذِّي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ >>(٦) .

---

(١) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، ص ١٧٥ .
(٢) الأنبياء : ١٦ .
(٣) المؤمنون : ١١٥ .
(٤) القيامة : ٣٦ .
(٥) الذاريات : ٥٦ .
(٦) يس : ٧٨ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا : أن إنكار البعث إنكار لعملية الإحياء والإماتة التّي تقع على الأرض باستمرار ، وهو أمر مشهود في الكون ، لا يمكن نكرانه ، وفي إخراج النّبات منها ،نظير إخراجهم من القبور ودلّ بالنّظير على النظّير >>(١)

رابعا : أن إنكارالبعث والجزاء الأخروي يفضي إلى نكران قاعدة الثّواب والعقاب ، وإلى استواء المسلم والمجرم ، وعدم الاقتصاص للمظالم،التي تقع من النّاس بعضهم لبعض ، وحول هذا المعنى يقول اللّه تعالى :<< أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ >>(٢)

رابعا : **الدهريون** : وتسميتهم مأخوذة من قوله تعالى :<< وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ >>(٣) .

وتنضم هذه الفرقة في حقيقة الأمر إلى فرقة المنكرين للبعث ، ولا يختلفون عنهم إلا في نظرتهم إلى الحياة ، فالحياة في نظرهم هي هذا الشوط ، الذّي يرونه في الدنيا رأي العين ، جيل يموت ، وجيل يحيا ، وفي ظاهر الأمر لاتمتد إليهم يد بالموت ،إنما هي الأيام تمضي ، والدهر ينطوي ، فإذا هم أموات ، فالدهر إذن هو الذي ينهي آجالهم ، ويلحق بأجسامهم الموت فيموتون >> (٤) ويعلّق سيد قطب على هذه النّظرة الخاطئة إلى الحياة فيقول :<< وهي نظرة سطحية لا تتجاوز المظاهر ولاتبحث عمّا وراءها من أسرار ، وإلاّ فمن أين جاءت إليهم الحياة ، وإذا جاءت فمن ذا يذهب بها عنهم ؟ والموت لاينا ل الأجسام وفق نظام محددّ وعددمن الأيام معّين ، حتى يظنّوا أن مرور الأيام هو الذيّ يسلبهم الحياة ، فالأطفال يموتون كالشيوخ والأصحّاء يموتون كالمرضى ، والأقوياء يموتون كالضّعاف ، ولا يصلح الدهر إذن تفسيرا للموت عند من يقول بهذا القول >>(٥).

---

(١) ابن القيم : إعلام الموقعين عن رب العالمين ، دار الجيل -بيروت ، ١٩٧٣ ج ١ ص ١٤٤ .

(٢) القلم : ٣٥، ٣٦، ٣٧ .

(٣) الجاثية : ٢٤ .

(٤) سيد قطب : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٢٣٢ .

(٥) المصدر نفسه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وعلى هذا الأساس الذيّ فصله سيد قطب يمكن أن نحدّد مواطن الالتقاء والافتراق في نظرة المنكرين للبعث والدهريين ، فكلاهما يشترك في خاصية إنكار البعث ، ولكنّ المنكرين للبعث لا ينكرون الموت كظاهرة مشهودة ومتواترة منذ بدء الخليقة ، بدليل قولهم :<< أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ >>(١) ، أما الدهريون فلا يؤمنون بالموت المتعارف عليه والمقدر على بني البشر وإنما المسألة في نظرهم مردها إلى تقادم الدهر ، ومرور الأيام ، وهي كما ترى نظرة خاطئة تنكر ماهو معلوم بالضرورة .

خامسا : **عبدة الجن :** وقد قال القرآن الكريم عنهم :<< وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ، وَخَلَقَهُمْ ، وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ >>(٢) .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية :<< هذا رد على المشركين ، الذين عبدوا مع الله غيره ، وأشركوا به في عبادته ، أن عبدوا الجن فجعلوهم شركاء له في العبادة ، تعالى الله عن شركهم وكفرهم ، فإن قيل فكيف عبدت الجن مع أنهّم إنما كانوا يعبدون الأصنام ؟ فالجواب : إنهّم ماعبدو ها ، إلا عن طاعة الجنّ وأمرهم أياهم بذلك ، لقوله تعالى : << إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ، لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ، وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ، يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا >>(٣) .

،ويقول سيّد قطب في تفسير قوله تعالى :<< وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ >> (٤) .

<< ولقد عرفت الوثنيات المتعدّدة في الجاهليات المتنوّعة أن هناك كائنات شرّيرة تشبه فكرة الشّياطين ، وخافوا هذه الكائنات ، وقدموّا لها القرابين اتقاء لشرّها ، ثم عبدوها ! ، والوثنية العربية واحدة من هذه الوثنيات،التيّ وجدت فيها هذه التصّورات الفاسدة ، في صورة عبادة الجنّ ، واتخّاذهم شركاء للّه ، سبحانه >>(٥) .

---

(١) الصافات : ١٦ .
(٢) الأنعام : ١٠٠ .
(٣)النساء : ١١٧ ، ١٢٠ وانظر : ابن كثير : التفسير ، ج ٣ ، ص ٤٤ .
(٤) الأنعام : ١٠٠ .
(٥) سيد قطب : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٦٢ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وخلاصة القول في عبادة الجنّ أنها من العبادات التي انتشرت في المجتمع الوثني قبل الإسلام ، وقد ذكر القرآن الكريم أنّ المشركين عبدوا الجنّ ، وجعلوا بينها وبين اللهّ نسبا : << وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَبًا ،وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ >> (١) ، كما يذكر القرآن الكريم أن بعض الوثنيين قد عبدوا الجنّ لقوله تعالى : << قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ ، بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ >>(٢) . ويذكر ابن الكلبي أن (بنو مليح) من خزاعة كانوا يعبدون الجنّ (٣)

وأما عن موقف القرآن من عبادة الجّن فيمكن تلخيصه كما يلي :

أولا - أن الجنّ خلق من خلق اللّه ، وهذا يكفي لفساد تصور مشاركتهم له في الألوهية والرّبوبية .

ثانيا - أن الجنّ تجري عليهم الأحكام التيّ تجري على الخلق ، بدليل أنهّم محضرون للحساب كسائر الخلق مصداقا لقوله تعالى : << وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَبًا ، وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ أَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ >> (٤)

سادسا : عبدة الملائكة :

وعبادة الجنّ تختلف عن عبادة الملائكة ، ذلك أن بين الجن والملائكة تفاوتا واضحا ، فالجنّ أجسام نوّرانية سفلية مخلوقون من مارج من نّار، أي من أخلاط نار صافية ، والملائكة مخلوقون من نوّر ، يدل على ذلك قول النبّي صلىّ اللّه عليه وسلّم : << خُلِقَتِ المَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ >>(٥)

وكذلك الجنّ يتناسلون ولهم ذرّية وفيهم الذّكر ،والأنثى ، وهم مكلّفون كالبشر ، وفيهم المؤمن والكافر ، لقول اللهّ تعالى عن إبليس - وهو من الجّن - : << أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُوَ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً >>(٦). وقول الله تعالى كما حكا عن الجن : << قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ >>(٧) .

(١) الصافات : ١٥٨ .
(٢) سبأ : ٤١ .
(٣) ابن الكلبي : المصدر السابق ، ص ٣٤ .
(٤) الصافات : ١٥٨, .
(٥) رواه مسلم في صحيحه .
(٦) الكهف : ٥٠ .
(٧) الجن : ١ .

حركة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ »(٧) .

ويقول اللّه تعالى :« قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا »(١). فلولا أن الجن مكلفون كالبشر لما تحداهم القرآن الكريم كما تحدى الإنس بأن يأتوا بمثل هذا القرآن . وأما عن وجود المؤمن والكافر فيهم فيدل عليه قوله تعالى :« وأَنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ و مِنَّا القَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا »(٢).

أما الملائكة فلا يوصفون بذكورة أو أنوثة ، وأنهّم مجبولون على الطّاعة ،والعبادة لقوله تعالى :« لَا يَعْصُونَ اللّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ »(٣) . وقول اللّه تعالى :« وجَعَلُوا المَلَائِكَةَ الذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا »(٤).

وقد أوردت هذا التعّريف في بيان التفّاوت الواضح والتّباين الظّاهر بين الجّن والملائكة في أصل الجبلّة والخلقة ،والوظيفة ،التيّ خلقوا لها ، للتمّييز بين الوثنيين عبدة الجّن ،والوثنيين عبدة الملائكة ، وهذا التمّييز له قيمة كبيرة في تحديدموقف القرآن الكريم من كلّ فرقة منهم (٥) .

ولا يعنينا في هذا الصدد أن نعرض أصناف الجن ومراتبهم ، ولا كيف انتقلت عبادة الملائكة إلى العرب وطرائقها ، فهذا بحث لا يغنينا في شيء ، وليس هناك طائلة من ورائه ، وإنما يعنينا أن تؤكد أن هذه العبادة ظهرت في المجتمع العربي ، فقد عبد بعض العرب الملائكة ، كما يفهم من قول الله تعالى :« وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلمَلَائِكَةِ : أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا: سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ »(٦) .

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية :«فهؤلاء هم الملائكة الذين كانوا يعبدونهم من دون اللّه ، أو يتّخذونهم شفعاء عند اللّه ، هؤلاءهم يواجهون بهم ، فيسبحون اللّه تنزيها له من هذا الادّعاء ، ويتبرأون من عبادة القوم لهم،فكأنما هذه العبادة كانت باطلا أصلا ، وكأنما لم تقع ولم تكن حقيقة ، إنما هم يتولون الشيطان ،إما بعبادته والتوجه إليه ، وإما بطاعته في اتخاذ شركاء من دون الله ، وهم حين عبدوا الملائكة . إنما كانوا يعبدون الشيطان ، ذلك أن عبادة الجن عرفت بين العرب ، وكان منهم فريق يتوجه إلى الجن بالعبادة»(٧).

(١) الإسراء : ٨٨ .
(٢) الجن : ١٤ .
(٣) التحريم : ٦ .
(٤) الزخرف : ١٩ .
(٥) أنظر : الصابوني : النبوة والأنبياء ، ص ١٢٢.
(٦) سبأ : ٤٠، ٤١ (٧) سيد قطب : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٩١١ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وعلى ضوء الآيات التي مرّت بنا ، والتي تؤكد ظهور عبادة الملائكة عند بعض الطوائف العربية زعما لا حقيقة كما ذكر القرآن الكريم ، يمكننا أن نضيف أن القرآن الكريم أقرّ بأن هؤلاء العرب كانوا يصفون الملائكة بأنهمّ إناث، وفي ذلك يقول الله تعالى :<< وجَعَلُوا المَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا >>(١) . ويقول الله تعالى في نفس المعنى :<< وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ >>(٢) . والآن يمكن تحديد موقف القرآن الكريم من هذه الفرقة ومن عبادتها كما يلي :

-١ -لقد أكدّ القرآن الكريم أنّ الملائكة هم عباد الرّحمن وأنهّم مخلوقون لأن يَعبدوا اللّه لا أن يُعبدوا فقد قال اللّه سبحانه وتعالى عنهم:<< يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ >>(٣) ، كما أنهّم مجبولون على الطاعّة لقول اللّه تعالى :<< لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ >> (٤) .

-٢ -لقد أبطل القرآن الكريم هذه العبادة - عبادة الملائكة - بتبرؤ الملائكة منها ، وتبرؤ المعبود من مزاعم العابد دليل على بطلان عبادته له .

-٣- أن القرآن الكريم جعل القول بأنوثة الملائكة قول لا يتّفق مع العقل ، فكيف يعقل أن ينسب إليه المشركون الإناث بينما هم يكرهون ذلك << وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ >>(٥) .لقول اللّه تعالى عن كراهيتهم للأنثى :<< وإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٦) .

---

(١) الزخرف : ١٩ .
(٢) الأنعام : ١٠٠ .
(٣) الأنبياء : ٢٠ .
(٤)التحريم : ٦ .
(٥) لِلنحل : ٦٢ .
(٦) النحل : ٥٨ .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سابعا : عبدة الأشخاص والرؤساء والرهبان :

أما عن عبادة الأشخاص، فإنّما يجعلنا نعتقد أن الوثنيين قد قدسوا الإنسان وعظموه وعبدوه حديث عامر بن الطفيل كما أورده أبو عبيدة ،قال :<< لما مات عامر بن الطفيل ، بعد منصرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نصبت عليه بنو عامر أنصابا ميلا في ميل حمى على قبره لا ينشر فيه ماشية ، ولايرعى ولا يسلكه راكب أو ماش ، وكان رجل منهم غائبا ، فلما قدم قال : ما هذه الأنصاب ؟ قالوا : نصبناها حمى لقبر عامر بن الطفيل ! فقال : ضيقتم على أبي علي ! إن أبا علي بان من الناس بثلاث : كان لا يعطش حتّى يعطش الجمل ، وكان لا يضل حتى يضل النجم ، وكان لا يجبن حتى يجبن السيل >>(١) . ولعلّ تقديس بعض الوثنيين لابن الطفيل بعد موته مردّه إلى أن الرّجل كانت له هالة مقدّسة عند أقربائه ، وذوي عشيرته ومعارفه .

ومماّ يقوي إيماننا بتقديس الوثنيين، للإنسان هو عبادتهم لإساف ونائلة ، وقد مرّت قصّتهم كما نقلنا عن ابن الكلبي (٢) .

وأما عن تقديس الرؤساء والرّهبان، فيدلّ عليه قوله تعالى :<< اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ >> (٣) . وقول الله تعالى :<< إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ >> (٤). ويندرج تحت هذه الفرقة النّصارى، الذّين عرفوا أكثر من غيرهم بتقديس الرّهبان والرؤساء وسيأتي تفصيل هذه القضية في الفصل الخاص بالنّصرانية ، ومن كل هذا يمكن أن نحدد موقف القرآن الكريم من عبادة الأشخاص والرؤساء والرّهبان كما يلي :

-١ لقد بينّ اللّه تعالى أنّ هؤلاء الأشخاص عباد مثل عباده ، فلا يتميّزون عنهم في شيء زيادة على أنهمّ لا يستجيبون لهم إذا دعوهم ، وهذا دليل على عجزهم وعدم استحقاقهم للعبادة من دون اللّه .

-٢ أن هذه العبادة مخالفة لما أنزله اللّه في كتبه من الأمر بتوحيد اللّه وعدم اتخاذ شركاء له في الربّوبية والألوهية :<< وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا >>(٥) .

---

(١)أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ج ١٥ ، ص ١٣٩ .
(٢) ابن الكلبي : الأصنام ، ص ٩ .
(٣) التوبة : ٣١ .
(٤) الأعراف : ١٩٤
(٥) التوبة : ٣١ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثامنا : **القائلون ببنوة أخص الناس لله :**

وعن هذه الفرقةيقول تعالى :<< وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا يَكَادُ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْدًا >> (١).

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية :<< إنّ جرس الألفاظ وإيقاع العبارات ليشارك ظلال المشهد في رسم الجوّ : جو الغضب والغيرة والانتفاض ، وإنّ ضمير الكون وجوارحه لتنتفض ، وترتعش وترجف من سماع تلك القولة النابية ، والمساس بقداسة الذات العليّة ، كما ينتفض كل عضو وكل جارحة عندما يغضب الإنسان للمساس بكرامته ،أو كرامة من يحبّه ويوقّره ، هذه الانتفاضة الكونية للكلمة النابية تشترك فيها السّموات والأرض والألفاظ بايقاعها ترسم حركة الزلزلة و الارتجاف >>(٢) .

• وما يفهم من قول سيد قطب هو أن القرآن الكريم جعل الزعم ببنوّة أخص النّاس إليه ، قول جريء يمسّ الذات الإلهية القائمة على الوحدانيّة وعدم اتّخاذالشريك ، وعلى ضوء ذلك يمكن أن نحدّد موقف القرن الكريم من قول القائلين ببنوّة أخص النّاس إليه :

-١ -أنهّ سبحانه وتعالى تنزّه عن اتّخاذ الولد كما قال في سورة الإخلاص :<< قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ >> .(٣)

-٢ -أن جميع من في السّموات والأرض عباد للّه لا يستحقون الألوهية والربوبية .

-٣- أنه لو سلمّنا جدلا أن اللّه اتخّذ ولدا - تعالى عن ذلك علوا كبيرا - لأدّى هذا إلى ضرورة أن تثبت للّه صاحبة ، وهذا مما تنزّه اللهّ عنه .

---

(١) مريم : ٨٨ ، ٩٣ .
(٢) سيد قطب : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٣٢٠ .
(٣) سورة الإخلاص : ١ ، ٣

تاسعا : عبدة النجوم والكواكب وصلتهم بالصابئة والمجوس :

عبادة النجوم والكواكب فيما يرى علماء الأديان عبادة قديمة وعريقة في المجتمعات الدّينية ، وقيل إنها ترجع إلى عهدإبراهيم -عليه السلام- واستدلّوا على ذلك بما ورد في القرآن الكريم من مناظرة إبراهيم لأبيه وقومه ، كقوله تعالى :<< فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بازِغًا قالَ هَذَا رَبِّي >> (١) وقوله تعالى أيضا :<< فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قالَ هَذا رَبِّي ، هَذَا أَكبَرُ ، فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ >>(٢) .

يرى ابن كثير في تفسيرهذه الآية الكريمة أن إبراهيم عيه السلام بيّن في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل ، وهي الكواكب السّيارة السبعة المتحيزة ، وهي : القمر ،وعطارد ،والزهرة والشمّس ، والمريخ ،وزحل ،والمشتري ، وأشدّهن إضاءة ،وأشرفهن عندهم الشمّس أولا ، ثم القمر ثم الزهرة فبين أولاً عليه الصّلاة والسلام أنّ هذه الزهرة لاتصلح للألوهية ، فإنّها مسخرة مقدرة بسير معين ، لا تزيغ عنه يمينا ولا شمالا ، ولا تملك لنفسها تصرّفا ، بل هي جرم من الأجرام خلقها اللّه منيرة ، لما له من ذلك من الحكم العظيمة ، وهي تطلع من المشرق ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه ، ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال ، ومثل هذا لايصلح للألوهية ، ثم انتقل إلى القمر فبيّن فيه مثل ما بيّن في النجم ، ثم انتقل إلى الشمس كذلك >>(٣) .

فهذا النصّ لابن كثير يبيّن أن الإنسان عرف عبادة النجّوم والكواكب منذ القدم ، ولا يهّمنا كثيرا ، أن نذهب بعيدا في تفصيل هذه العبادة القديمة في قوم إبراهيم،أو في الأقوام التي جاءت بعدها ، وإنّما يهّمنا أن نبيّن أن هذه العبادة عرفت كذلك بين الوثنيين قبل الإسلام ، والدّليل على ذلك ما يفهم من قوله تعالى :<< وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ ،وَالنَّهارُ ،وَالشَّمْسُ ، وَالقَمَرُ ، لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ، ولاَ لِلقَمَرِ ، واسْجُدُوا لِلَّهِ الذِّي خَلَقَهُنَّ >>(٤) .

(١) الأنعام : ٧٧ .
(٢) الأنعام : ٧٨ .
(٣) ابن كثير : التفسير ، ج ٣ ، ص ٣٤ .
(٤) فصلت : ٣٧ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهذه الآية الكريمة نستدل بها على عبادة الشمس، والقمر ؛ وذلك لأن الشمس، والقمر ارتبطت بها حياة الإنسان منذ القدم ولهذا كانت محلّ قداسة من قبل الإنسان(١) . كما حكى القرآن الكريم، الذي أثبت أن الشّمس والقمر آيتان من آيات اللّه، وأنهّما لا تصلحان للإلهية والعبادة وإنمّا يجب أن يختصّ بذلك، الذي خلقهن وصيرّهن على هذا المنوال وهو اللّه سبحانه وتعالى.

• ويعتقد بعض العلماء أنّ عبادة النّجوم والكواكب هي مدار مذهب الصابئة، الذيّن ورد ذكرهم في القرآن الكريم، فقد كانوا يعبدون الهياكل العلوية، والأجرام السماوية، وكانوا يتقربّون بها إلى ربّ الأرباب ومسبب الأسباب (٢).

وقد ذكر الشهّرستاني أنهّ كان في بلاد العرب وفيما جاورها صابئة يعبدون الشّمس (٣).

وقد تعرض الشهّرستاني إلى عباداتهم وطقوسهم، وليس هذا مجال ذكرها، وإنّما يعنينا أن نقول: إنّ الشهّرستاني في الملل والنّحل، جعل عبادة النجوم والكواكب، هي عبادة الصابئة الذيّن تحدّث عنهم القرآن الكريم، وهو قول فيما نرى لايسنده دليل، ذلك أنّ ما ذكره لا يعدّ إلا اجتهادا لا يرقى إلى إعطاء الصّورة الحقيقية عن صلة الصابئة بعبادة النجّوم، والكواكب، ودلالة هذه العبادة عليهم، وذلك أن القرآن الكريم والتاّريخ لم يكشفا عن وجه الحقّ في مسألة الديّن الصابئي، وإنما سقنا أقوال الشهّرستاني كآراء نستأنس بها لمعرفة ما قيل عن هذه العبادة في المصادر القديمة ولاشي أكثر من ذلك.

ويذهب المسعودي إلى ما ذهب إليه الشّهرستاني من دلالة عبادة النجوم والكواكب على الصابئة، وأورد كلاما طويلا عن عبادتهم وطقوسهم ليس هذا مجال ذكره (٤).

هذا عن أقوال القدماء في مسألة عبادة النّجوم والكواكب وصلتها بالدّين الصابئي، والتي كما رأينا لم تقدم رؤية واضحة عن الصابئة، وعن وجه صلتهم بتلك العبادة.

(١) الآب جرجس داودداود : المصدر السابق، ص ٣٣٩ .
(٢) الشهرستاني : الملل والنحل، دار الكتب العلمية -بيروت - لبنان حققه وعلق عليه الأستاذ أحمد فهمي محمد -ط ٣، ١٩٩٢، ص ٧٢٢ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٧٢٣ .
(٤) المسعودي : مروج الذهب، ج ١ من ص ٢٢٢ إلى ٢٨٩

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أما العلماء المحدثون، فلهم في هذه المسألة آراء مختلفة ، فيرى سيد قطب أن الصّابئة ليسوا عبدة الكواكب والنجّوم كما ذهب إلىّ ذلك بعض المفسّرين ، وأنّ الأرجح عنده أن يكونوا طائفة موحّدة تركت الوثنية إلى التوّحيد حيث يقول في هذا الصدد :

<< والصّابئون الأرجح أنهم من مشركي العرب قبل البعثة، الذيّن ساورهم الشّك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام، فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها ، فاهتدوا إلى التوّحيد ، وقالوا إنهّم يعبّرون عن الحنيفية الأولى ، ملة إبراهيم ، واعتزلوا عبادة قومهم دون أن تكون لهم دعوة فيهم فقال عنهم المشركون : إنهم صبأوا - أي مالوا عن دين آبائهم كما يقولون عن المسلمين بعد ذلك - ومن ثم سمّوا الصابئة ، وهذا القول أرجح من القول بأنهّم عبدة النجّوم والكواكب كما جاء في بعض التّفاسير>> (١).

ويؤكد "محمد حسين هيكل " صلة الصابئة بعبادة النجوّم فيقول :<< فالصّابئون من عبّاد النجّوم كان لهم سلطان كبير في بلاد العرب ، وكانوا لا يعبدون النجوّم لذاتها ، وإنمّا كانوا في بداءة الأمر يعبدون اللّه وحده ، ويعظمّون النجّوم على أنهّا مظاهر خلقه وقدرته >>(٢).

ويلحق بالصابئة المجوس ، وقيل هم عبدة النّار ،وقد قال بذلك بعض العلماء كما ذكر محمد علي الصّابوني عند تعرضه لشرح حديث أبي هريرة :<< كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ>>(٣) . فقال : يمجسانه أي يجعلانه مجوسيا ، والمجوس هم عبّاد النار أوعبدة الشّمس ، والقمر وغيرها من المعبودات الكونية ، والمجوس موجودون في زماننا بكثرة وهم يعبدون الكون ،أويعبدون الشجر والبقروهم مشركون ليس لهم كتاب سماوي >>(٤).

---

(١) سيد قطب : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٥ .

(٢) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) محمد علي الصابوني : من كنوز السنة ، مكتبة رحاب -الجزائر -ط2 ١٩٨٦ ، ص ١٠ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولابد من الرجوع إلى القرآن الكريم في بيان دلالة عبادة النجوم على الصابئة ، كما ذهبت إلى ذلك الآراء التي أوردناها في هذا الصدد ، ومدى صحة هذا الاستدلال .

والمقطوع به كما هو معلوم ، أن القرآن الكريم تعرض لذكر الصّابئة والمجوس في سياق حديثه عن أهل الإيمان ، وأهل الكتاب ولكنه لم يقطع بانتسابهما إلى طائفة عبدة النجوم ، أو الكواكب ، أوأي طائفة أخرى ، قال اللهّ تعالى :<< إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ >>(١). وقال الله تعالى :<< إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى >>(٢) . وقال أيضا :<< إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا >> (٣).

قال محمد رشيد رضا تعليقا على هذه الآيات :<< هذا العطف في مقام تعداد أهل الملك يقتضي أن يكون كل من الصابئين والمجوس طائفتين مستقلتين ليست من الصنف ، الذي يعبر عنه الكتاب بالمشركين وبالذين أشركوا ، وذلك أن كلا من الصّابئين والمجوس عندهم كتب يعتقدون أنها إلهية ، ولكن ببعد العهد ، وطول الزمان أصبح أصلها مجهولا ، ولا يستبعد أن يكون من جاءوا بها من المرسلين >>(٤).

وبعد هذا العرض لأقوال العلماء في نسبة الصابئة والمجوس إلى عبدة النّجوم ،والكواكب ، عند فريق من العلماء ، أو نفي ذلك ونسبتهم إلى أهل الكتاب من غير كتاب سماوي عند فريق آخر ، يمكن أن نحدد موقف القرآن الكريم من عبادة النجوم والكواكب عموما ، ومن الصّابئة ، والمجوس خصوصا على النحوالتالي :

-١ لقد أشار القرآن الكريم في كثير من الآيات إلى أن النّجوم والكواكب آية من آيات اللّه في الأفق ، وأنّها لا توصف بألوهية أو عبادة ، مما يقتضي بطلان هذه العبادة أصلا.

---

(١) البقرة : ٦٢ .
(٢) المائدة : ٦٩ .
(٣) الحج : ١٧ .
(٤) محمد رشيد رضا : تفسير المنار -دار المعرفة -بيروت -لبنان - ط ٢ ،ج ٦ ،ص ١٨٧ تفسير الآية ٦٩ من سورة المائدة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-٢- أنّ القرآن الكريم لم يقطع بصلة الصابئة والمجوس إلى عبدة الكواكب والنجوم ، أوإلى أهل الكتاب فليس هناك نصّ قرآني قطعي في هذه المسألة .

-٣ - في قوله تعالى :<< إِنّ الذّينَ آمَنُوا وَالذّينَ هَادُوا والصَابِئِينَ والنّصَارَى وَالمَجُوسَ والذّينَ أَشْرَكُوا إِنّ اللّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ >>(١) .

فالفصل يقتضي المغايرة ، وأنّ لِكلٍ من هذه الطوّائف طريقته في العبادة .

-٤- في قوله تعالى :<< إِنّ الذّينَ آمَنُوا وَالذّينَ هَادُوا والنَّصَارَى والصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا >>(٢) ، يفهم منه أنّ من الصّابئة والمجوس طوائف موحّدة تؤمن بالله واليوم الآخر ، ويؤيّد هذا الرأي ما ذكره سيد قطب في تفسير هذه الآية حيث قال : << والآية تقرّر أن من آمن باللّه واليوم الآخر من هؤلاء جميعا وعمل صالحا ، فإنّ لهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فالعبرة بحقيقة العقيدة لا بعصبية جنس أو قوم >> (٣) .

-٥- في الحديث عن أبي هريرة :<< كلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ فَأَبَواهُ يُهَوّدَانِهِ أَوْيُنَصّرَانِهِ أَوْ يُمَجّسَانِه >>(٤) . دلّ على أن المجوس طائفة مخالفة لأهل التّوحيد ،لمخالفتها للفطرة ، الذّي هو الدّين الحنيف . واللّه أعلم.

---

(١) الحج : ١٧ .
(٢) البقرة : ٦٢ .
(٣) سيد قطب : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٥ .
(٤) رواه البخاري ومسلم .

المبْحث الرابع :

-خصائص المنهج القرآني في نقد الوثنية :

لقد واجه القرآن الكريم الوثنية بكل فرقها ، التي تحدثنا عنها من أجل تصحيح نظرتها الخاطئة إلى الكون والحياة ، وكان من بين الأهداف الرئيسية ، التي استهدفها القرآن في هذا المجال ، هو أن يرسم منهجا جديدا وبديلا ، سواء في طريقة التفكير ، أو في طريقة محاكمة القضايا ، التي تعن للعقل ، أو التي ترجع إلى ما يقرره النقل المتمثل في الوحي الإلهي .

وقد اعتمد القرآن الكريم في بيان المنهج ،الذي أفصحنا عنه على الطريقة العقلية التي تعتمد على محاكمة الفكرة ، أو العقيدة على ضوء المقاييس العقلية ، أو الطريقة الإستقرائية ، التي تعتمد على استقراء الواقع في جميع صوره ومظاهره ، من أجل الوصول إلى تقرير الأصول الصحيحة ، التي قام عليها الدّين السّماوي ، وقدتنوع أسلوب القرآن الكريم في مناقشة الوثنيين لتقرير منهجه وتثبيت فكرته ، بالمثل تارة وبالصورة الحسية تارة أخرى ، ليكون ذلك باعثا حثيثا لإيقاظ الإحساس الفطري من خلال إثارة المعرفة الحسية بأشكالها ؛ لأن الفطرة قد تغفو في كثير من الحالات أمام كثير من الأجواء الضبابية ، التي تحيط بالنفس ، فلا تستيقظ إلا إذا ارتبطت بالواقع المتحرّك لديها ، الذي جسد لها الفكرة في نطاق الصورة المحسوسة في أكثر من مجال .

فهذا الأسلوب القرآني المرن المتحرك في أكثر من إتجّاه ، المرتكز على العقل تارة ،وعلى الفطرة الإنسانية تارة أخرى ، وعلى الحسّ من جهة ثالثة ليجلي العقيدة في الأذهان ، ويزيل عنها اللبّس الذّي يبعدها عن طبيعتها الصحّيحة في موضوعية بعيدة عن سيطرة الأهواء . (١).

وسوف نتعرض لمنهج القرآن الكريم في نقد الوثنية على مستويات أربعة:

- المستوى الأول : نقد عقيدة الشرك : ويشمل هذا المستوى كل الوثنيين ،الذين اتّخذوا مع اللّه إلها ، سواء كانوا عبدة الأوثان ، أو المثنوية ،أوعبدة أكثر من إلهين ، أو عبدة الجنّ ، أو عبدة الملائكة ، أو عبدة الأشخاص والرؤساء والرهّبان ، والقائلين ببنوة أخص النّاس للّه ، أو عبدة النجّوم والكواكب .

---

(١) أنظر : محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن ، ج ١ ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- **المستوى الثاني** : نقد عقيدة الدهريين أو الناكرين لوجود الله .

-**المستوى الثالث** : نقد عقيدة إنكار البعث والجزاء واليوم الآخر .

- **المستوى الرابع** : نقد عقيدة إنكار النبوة .

فلقد تنوع منهج القرآن الكريم في نقد هذ العقائد الوثنية، تبعا لتّنوع الأفكار التّيّ تطرحها كل عقيدة وبناء على ذلك رأينا أنّه من الضروري مراعاة هذا التّنوع ، وتناول كل عقيدة على حدى ، وتحديد منهج القرآن الكريم في نقدها وذلك في إطار المستويات الأربع ، التي تم تحديدها كما يلي :

- **المستوى الأول : منهج القرآن الكريم في نقد عقيدة الشرك** : ولهذا المنهج خاصيتان رئيسيتان هما :

- **الخاصية الأولى : الإستدلال العقلي** : إنّ ما يمكن ملاحظته على الأسلوب العام للقرآن الكريم في إبطال عقيدة الشّرك والأسس التّي قامت عليها هو وضع العقيدة في إطارها العقلي ، لإبطالها أو إثباتها تبعا للأدلة التّي تتوافر عليها ، وهذا بخلاف عقيدة الشّرك التي تعتمدعلى أسلوب الإنفعال والعاطفة ، وتفتقر إلى أي دليل عقلي أو سند منطقي ، فنلاحظ أن أسلوب الشّرك في صراعه مع عقيدة التّوحيد يقوم على الطريقة الإنفعالية التي تعتمد على إثارة الإتّهامات الباطلة والأحكام المسبقة بدون تأمل أو معرفة لوجه الحقّ فيها ، ثم الإنتقال بعد ذلك إلى أسلوب الإستخفاف بعقيدة التوّحيد وأتباعها ، وفي ذلك يقول الله تعالى حكاية عما قاله المشركون : << أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ، وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ >> (١) .

ونلاحظ في أسلوب القرآن الكريم في مقابل ذلك التّحرك الهادئ ، الذّي يخاطب العقول والقلوب ويوجّهها إلى الإذعان بعقيدة التّوحيد تحت وقع الحجج الدّامغة ،والأدلة القاطعة ، ويفرغ أفكارهم من كل معاني الشّرك ودوافعه في خطة مدروسة و حكيمة ، تقتضي أن يكون هناك حجّة على الفكرة ، وبرهان على العقيدة .

وهذا ما يعبرّ عنه قوله تعالى:<< وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ >> (٢) .

---

(١) ص : ٥، ٦، ٧.
(٢) المؤمنون : ١١٧ .

يرى سيد قطب أنّ كل دعوى بألوهية أحد مع اللّه فهي دعوى يعوزها البرهان ، وبعيدة عن منطق الفطرة والعقل (١) .

والمنهج العقلي الذي اتبّعه القرآن الكريم في نقد عقيدة الشرك يتمثّل في سياق دليلين اثنين :

-الدليل الأول : قيامها على الظنّ المنافي للعلم : إن أكبر دليل ساقه القرآن الكريم على بطلان عقيدة الشّرك ، هو إحتكام هذه العقيدة إلى الظنّ ، الذي لا يتفق مع ما يقرّره العلم والعقل ، وفي ذلك يقول تعالى :<<وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا، إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا >> (٢) .

جاء في صفوة التّفاسير أنّ المشركين في اعتقادهم ألوهية الأصنام ما يتبّعون إلا ظنّا غير مستند لدليل أو برهان ، وهو بداهة لا يغني من اليقين شيئا ، فليس الظن كاليقين (٣) .

- الدليل الثاني :دليل التمانع : ودليله من القرآن الكريم قوله تعالى :<<أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ، لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ>>(٤) .

وقد بينّ السّيوطي في شأن هذه الآية الكريمة بأنها استدلال على أنّ صانع العالم واحد بدلالة التّمانع (٥) .

وتقرير هذا الشكل الإستدلالي هو أنه لو كان في السموات والأرض آلهة لتنازعت الإرادات بين السّلب والإيجاب ، ولنتج عن هذا التّنازع فسادهما لتخالف الإرادات ، ولكنّهما لما كانتا صالحين غير فاسدتين بطل ما يؤدي إلى الفساد وهو التعّدد ، فثبتت الوحدانية وامتنعت الوثنية لامتناع الفساد .

ومن أدلّة التّمانع أيضا قوله تعالى :<< مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ، وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ، إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ، وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ >>(٦) .

<< أي لو كان مع الله إله لكان منهما التفرق ، وأن يذهب كلّ واحد منهما بخلقه ويعلوبعضهم على بعض فتسود الفوضى ، ويختلّ النّظام ؛ لأن ذلك هو طبع الآلهة ، ومن تصوّر إلها بلا غلبة ، ولا ممانعة ،

---

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ٢٤٨٢ و ٢٤٨٣ .
(٢) يونس : ٣٦ .
(٣) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، م ١ ، ص ٥٨٣ .
(٤) الأنبياء : ٢١ و ٢٢ .
(٥) أنظر : السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، الحلبي – مصر – ط٣ ، ١٩٥١ م ،ج٢ ،ص ١٣٦
(٦) المؤمنون : ٩١ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولا إستئثار بالسّلطة فقد تصوّره بشأن غير شأنه ، وطبيعة غير طبيعته >> (١) .

وقد ذكر ابن القيم في شأن هذا الدليل أن إنتظام أمر العالمِ العلوي ، والسّفلي وارتباط بعضه ببعض ، وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد ، من أدلّ الأدلة على أن مدبّره واحد ، كما دلّ دليل التمانع على أنّ خالقه واحد لا ربّ غيره (٢) .

وينقل لنا الطبرسي في تفسير قوله تعالى :<< أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ، لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا >> (٣) .<<إنه لوكان مع الله سبحانه وتعالى إلها آخر لكانا قديمين ، والقدم من أخص الصفات ، فالإشتراك فيه يوجب التماثل ، فيجب أن يكونا قادرين عالمين حيين ، ومن حق كل قادرين أن يصح كون أحدهما مريدا للضد ما يريده الآخر من إماتة ، أو إحياء ، أو تحريك ، أو تسكين ، أو إفقار ، أو إغناء ، أونحو ذلك ، فإذا فرضنا ذلك ،فلا يخلو الأمر من فروض ثلاثة ، إما أن يحصل مرادهما معا وذلك محال ، وإما أن لايحصل مرادهما فينتقض كونهما قادرين ، وإنما أن يقع مراد أحدهما ولا يقع مراد الآخر فينتقض كون من لم يقع مراده - من غير وجه منع معقول قادرا - فإذن لا يجوز أن يكون الإله إلها واحدا ، ولو قيل أنهما لا يتمانعان ، لأن مايريده أحدهما يكون حكمة فيريده الآخر بعينه ، فالجواب عنه أن كلاّ هما في صحة التمانع ، لا في وقوع التمانع ، وصحّة التّمانع تكفي في الدّلالة لأنهّ يدلّ على أنهّ لابدّ من أن يكون أحدهما متنافي القدرة فلا يجوز أن يكون إلها >>(٤) .

وخلاصة القول في المنهج العقلي القرآني ، في نقد عقيدة الشرك ، أن تقرير عقيدة التوحيد بإزالة ما علق بها من أوشاب الشرك أمر لايتم إلا بالإعتماد على ما يقرّه العقل ، والتخلّص من الأوهام ، والملابسات، التيّ تحول دون الوصول إلى تقرير حقيقة التوّحيد ، التيّ جاءت الأديان السّماوية لتأكيدها .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(١) محمد أحمد العدوي : آيلت الله في الآفاق ، مصر - ط ١، ١٩٣٣م ، ص ٣١ .
(٢) ابن القيم الجوزية : التفسير القيّم - التراث العربي - بيروت ، ص ٣٧١ .
(٣) الأنبياء : ٢١ ،٢٢ .
(٤) الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن): مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار المعرفة - بيروت ،لبنان ط١ ، ١٩٨٦ ،ج ٧ ، ص ٧٠ .

- **الخاصية الثانية : الإستدلال بالخلق على وحدانية الخالق** : لقد أقام القرآن الكريم المقابلة بين اللّه الخالق ، الذيّ تفرد بخلق الإنسان ، والكون والحياة ، وبين الآلهة التي يدعي المشركون ألوهيتها مع عجزها عن الخلق ،ومن مقاصد هذه المقابلة بيان أن اللّه هو المستحقّ وحده للعبادة،لأنه المتفرّد وحده بعملية الخلق ، يقول اللّه تعالى موضحًا هذه الحقيقة :<< أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ >>(١) .

جاء في تفسير أبي السّعود :<< أفمن يخلق هذه المصنوعات العظيمة ، ويفعل هاتيك الأفاعيل البديعة ، أو يخلق كل شيء كمن لا يخلق شيئا أصلا - وهو تبكيت للكفرة - وإبطال لإشراكهم وعبادتهم الأصنام بإنكارها ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينهما وبينه سبحانه (٢) .

وقال الرّازي :<< والمعنى أفمن يخلق هذه الأشياء ، التي ذكرناها كمن لا يخلق ، بل لا يقدر البتة على شيء أصلا ، أفلا تذكرون ، فإن هذا القدر لا يحتاج إلى تدبّر ، وتفكر ونظر ، ويكفي فيه أن تنتهوا إلى ما في عقولكم من أن العبادة لا تليق إلا بالمنعم الأعظم ، وأنتم ترون في الشاهد إنسانا عاقلا فاهما ينعم بالنعّمة العظيمة ، ومع ذلك تعلمون أنه يقبح عبادته ، فهذه الأصنام جمادات محضة ، وليس لها فهم ولا قدرة فكيف تقدمون على عبادتها وكيف تجوزون الإشتغال بخدمتها >> (٣) .

وقال المراغي :<< بعد أن ذكر سبحانه الدلائل على وجود اللّه القادر الحكيم على أحسن ترتيب وأكمل نظام ،وساق في ذلك تعطيل وإنصاح لأنواع النهم ووجوه الإحسان وقفى على ذلك بتبكيت الكفار وإبطال شركهم وعبادتهم غير اللّه حتى الأصنام والأوثان،لما يلزم ذلك من المشابهة بينه تعالى وبينها>> (٤)

وقد صور سيد قطب هذا الإفحام في قوله :<< فهل هناك إلا جواب واحد : لا ، وكلا ، أفيجوز أن يسوي إنسان في حسه ، وتقديره بين من يخلق ذلك الخلق كله ، ومن لا يخلق لا كبيراولا صغيرا >> (٥) .

---

(١) النحل : ١٧ .
(٢) أبو السعود : إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم - محمد علي صبيح - مصر - ج ٣ ، ص ١٦٨

(٣) الرازي (محمد فخر الدين) مصر ، ط: ٢ ،ج ٢ ، ١٩٣٨، ص ١٢ .
(٤)أحمد مصطفى المراغي : التفسير ،دار الفكر - م٥، ط٣ ، ١٩٧٤م ،ج ١٤ ، ص ٦٣ ،٦٤ .
(٥) سيد قطب : المصدر السابق ،ج ٤ ، ص ٢١٦٤ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وتقتضي هذه المقابلة ، التيّ عرضتها الآية السالفة تحديد قضيتين أساسيتين :

- القضية الأولى : وهي تهدف إلى الإعتراف لزوما بأن الله منفرد بالعبادة ولا معبود سواه ، ويمكن صياغتها كما يلي :

-١ اللّه متفرّد بخلق ما ذكر ، مما لا ينكره عاقل .

-٢ كل مّن كان تلك صفته لا يُعبد إلا هو .

-٣ الإذعان لا يكون إلا لله المتفرد بالخلق والعبادة .

- القضية الثانية : وهي تهدف إلى تجريد ما سوى اللّه من كل ما وصف به اعتباطا ، وإبطال كل ما يناله بسبب الجهل وسوء التقدير من مظاهر التقّديس للآلهة المعبودة التي لا تستحق هذا الوصف ويمكن صياغتها كالتالي :

-١ الأصنام ليس لها أدنى تأثير في الإيجاد وليس بإمكانها استنقاذ ما يسلبها الذباب من شيء طبقا لقوله تعالى :<< يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ >> (١) .

-٢ كل ماكان كذلك ، لا يستحق أدنى تقدير فضلا عن استحقاقه للعبادة .

-٣ الأصنام وماشاكلها لا يمكن ترقى إلى مقام الله سبحانه وتعالى ، ولا يمكن عقلا ومنطقا وواقعا أن تكون معبودا .

وما يمكن أن نستخلصه من العرض الذيّ سقناه أن القرآن الكريم يركزّ على رفض ألوهية الأصنام وغيرها من خلال تجريدها من صفة الألوهية المتمثّلة في الخلق والقدرة المطلقة ، والأزلية وغير ذلك ، ثم يضيف إلى ذلك الإمعان في تجريدهم من كلّ الصّفات ، التيّ توحي بشيء من التّقدير مما يضعهم موضع السّخرية في إطار الكيان الذاتي فضلا عن مرتبة الألوهية ، وهو ما عبرّت عنه الآيات الكريمة ، مثل قوله تعالى :<<أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ، وَإِنْ

---

(١) الحج : ٧٣ .

تَدْعُوهُمْ إِلَى الهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَاداً أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ >> (١) .

فهذه الآيات في مجملها تنفي << الخالقية >> عن (آلهة المشركين) .وتنفي قدرتها حتى على نصر الذات ، أو دفع الضر، أو جلب النفع ، إنها الصّورة الحّية ، التي لا توحي إلا بالسّخرية والمهانة ، فكيف يمكن أن ترقى إلى مستوى اللّه المعبود ؟!

تلك هي بعض النماذج الحيّة للمنهج القرآني في حواره مع المشركين ، فلقد ناقش القرآن الكريم عقيدة الشرك نقاشا منطقيا موضوعيا ، وأبان في النهاية عن العقيدة الحقة هي عقيدة التّوحيد التّي لخصتها سورة الإخلاص قال الله تعالى : << قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ >> (٢).

وقد حكم القرآن الكريم بأن اللّه لايقبل الشّرك ولا يغفره :<< إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ >> (٣) .كما حكم بأن الشرك إثم عظيم :<< وَمَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا >>(٤).

كما حكم القرآن بأنّ المشركين نجس :<< ياأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا >> (٥) . وقضى القرآن أيضا بأن الشّرك محبط للعمل ومفضي إلى الخسران : <<وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ >> (٦) .

-المستوى الثاني : منهج القرآن الكريم في نقد عقيدة الدهريين:

الدهريون هم أصحاب الفلسفة المادية النّاكرة لوجود الله عز وجل ، ولقد دحض جمال الدّين الأفغاني هذه الفلسفة في رسالته في الرّد على الدهّريين ،وبين تهافت النزعة الإلحادية ، التّي لا تقوم على أساس سليم ، حيث بيّن أن الكفر دليل على إنحطاط الفكر البشري وفساده ، أما الإيمان باللّه ، ودينه فدليل على رقيّ الإنسان،لأن الدّين أساس المدنيّة (٧) .

(١) الأعراف : ١٩١ ، ١٩٤ .
(٢) سورة الإخلاص .
(٣) النساء : ٤٨ .
(٤) النساء : ٤٨ .
(٥) التوبة :٢٨ .
(٦) الزمر : ٦٥ .
(٧) أنظر : عبد الرحمن الرافعي : جمال الدين الأفغاني ، الدار المصرية ، القاهرة ، ص ١٤٩

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولقد كانت هذه العقيدة عرضة للنقد العنيف في القرآن الكريم ، وتركز منهج القرآن الكريم في نقد هذه العقيدة ، على إبراز دليل قوي من أدلة إثبات وجود الله سبحانه وتعالى ، وهو دليل التسخير، الذي يوجه النظر والفكر إلى الكون وآثاره من أجل البحث عن أسراره ، وعن القوانين التي تحكمه وتوجهه في حركته ، وأراد من الإنسان أن يرجع إلى صفاء فطرته ، وإلى هدوء عقله وهو يتعامل مع هذه الفكرة لأن الفطرة الصافية والعقل الهادىء ، إذا فسح لهما المجال استطاعا أن يقودا الإنسان إلى النتيجة الحاسمة وهي أنه لا بد للكون من مدبر حكيم قدير، ولهذا نجد القرآن الكريم وثيقة حية شاملة لكل ما في الكون من ظواهر، وموجودات تحكم سير الإنسان وسير الحياة لأنه مادة حية للتفكير الموصل إلى الإيمان بوجود الله ، ونسجل في هذا الجانب أن القرآن الكريم لا يقتصر على دعوة الإنسان للتفكير في ذلك كله ، بل إنه يطرح أمامه الخطوات الأولى في هذا السبيل ليدله على بدايات الطريق ، والمنهج الذي رسمه القرآن الكريم في نقد الإلحاد وإبطال مفعوله يمكن بيان ملامحه وخطوطه العريضة كما يلي :

- الخاصية الأولى :

- الإستدلال بالكون على وجود الله : فقد تحدثت آيات كثيرة في كتاب الله على الكون وما يشمل عليه من نظام محكم ، وتدبير دقيق ، ليكون دليل العقل إلى الإعتراف بوجود الله وإطراح فكرة الإلحاد وفي ذلك يقول الله تعالى :<< إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ>> (١) .ويقول تعالى : << إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ، ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ >> (٢) .

ويقول تعالى :<< اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ، ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى العَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ ، يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ >> (٣) . وهذه الآيات تفتح الكون أمام الإنسان ليجول بناظره ، ويصول بعقله في أرجائه الواسعة ليدرك حقيقة التوحيد ، وبهذا

---

(١) آل عمران : ١٩٠ .
(٢) الأنعام : ٩٥ .
(٣) الرعد : ٢ ، ٣ .

يمكننا أن نقررّ أن طريق العلم -في الإسلام -يلتقي بطريق الديّن ، على أساس الفكرة التي تطلقها هذه الآيات التي تجعل من قضية الإيمان باللهّ حافزا للإنسان على إكتشاف الخالق من خلال إكتشافه لعظمة خلقه ، كما أن العكس هو الصحيح ، وهو أن طريق الدين يمر بطريق العلم ، والإنسان كلما ازدادت معرفته باللّه ازداد تدينه وخشيته من اللّه ، وامتثاله لأوامره ، وهذا ما تعبر عنه الآية الكريمة :<< إِنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ >> (١) . ونلاحظ أن القرآن الكريم في حديثه عن الإيمان بوجود اللّه لا يتحدّث عنه بالطريقة الفلسفية التي تجعل من الفكرة شيئا مجرّدا يغلب عليه الطابع العقلي الجاف الذي لا نشعر معه بأي أثر للحياة ، بل أنه يعرض الإيمان في إطاره العقلي والواقعي ، الذي يجعل الفكرة مرتبطة بالواقع الإنساني ، وبهذا تكون قضية المعرفة بالله والإيمان بوجوده ، قضية واقعية وليست قضية عقلية بحتة ، وتواجهنا في ذلك آيات كثيرة نختار بعضا منها كمثال حي على ما ذكرته :<< وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ >> (٢) . وقال تعالى :<< أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ، وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ، وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ >> (٣) . ويقول تعالى :<< أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ، ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ، ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ، لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا ،وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا ، وَأَنَاسِيَ كَثِيرًا >> (٤) .

إننّا نشعر من خلال هذه الآيات كيف إننّا نحسّ بعمق كيف يكّون وجود اللّه في حياتنا قضية تتصل بسر الحياة،الذي لا نستطيع الإنفصال عنه ولو لحظة ، لأن ذلك يعني الإنفصال عن معنى الوجود ، الذي يتحول إلى فرضية تبحث عن أساس لها بين آلاف الفرضيّات والإحتمالات .

---

(١) فاطر : ٢٨ .
(٢) النحل : ٧٨ .
(٣) الأنبياء : ٣٠ . ٣١ . ٣٢.
(٤)الفرقان : ٤٥، ٤٦، ٤٧ .

- **الخاصية الثانية : الاستدلال العقلي** : إن أسلوب القرآن الكريم في إبطال عقيدة إنكار الخالق وتثبيت عقيدة الإيمان بالله الواحد تقوم على طرح الفكرة المضادة ، إلى جانب فكرة الإيمان بالله ، وفي نطاق الطريقة العقلية في التفكير ، التي تطرح الفروض المحتملة ثم تبدأ عملية النفي والإثبات لتكون النتيجة في مصلحة الفرض الأخير ، الذي يثبت أمام النقد ، وذلك هو ما تجسده الآية الكريمة في قوله تعالى :<< أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ >>(١) .

إن الموضوع في القضية لا يخلو من فروض ثلاثة :

-١ أن لا يكون هناك خالق .

-٢ أن يكون الخالق هو المخلوق نفسه .

-٣ أن يكون الله هو الخالق ، ونلاحظ أن الآية الكريمة تطرح الفروض الثلاثة في أسلوب الإستفهام الإنكاري الذي يعني رفض الفكرة ، التي يدور الإستفهام حولها .

فالفرض الأول مستحيل لأن فرض الحدوث ، وعدم وجود أساس لحتمية الوجود ، لتكون من قبيل واجب الوجود ، يفرض وجود القوة الخالقة التي تبرر وجوده ، ما دام فرض الوجود والعدم فيه متساويين ، مما يجعل من الضروري في عملية الوجود أن نبحث عن علة خارج الذات .

أما الفرض الثاني ، فهو مستحيل أيضا لأن التسليم بفكرة خلق الإنسان نفسه ، يفرض كونه سابقا لنفسه في الوجود ، فيلزم أن يكون الشيء موجودا في حال عدمه ، وهو فرض غير معقول ، لأن الموجود لا يمكن فرضه معدوما في حال وجوده ، وبالعكس لأنه تناقض مستحيل .

أما الفرض الثالث ، فهو وحده الذي يثبت أمام هذه المحاكمة العقلية ، وهو أن يكون الله هو خالق الإنسان ، ويتنوع الأسلوب في آيات أخرى ، فنجد القضية تتوزع بين إفتراضين إثنين لا ثالث لهما ، وهو أن يكون الخالق الله ، أو الإنسان لأن الفرض الثالث الذي ينفي عملية الخلق ليثبت الأزلية ، يكون لا لزوم له ولا معنى له في ممكن الوجود وهذا ما تصوره لنا الآية الكريمة التالية في قوله تعالى :<< نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلاَ تُصَدِّقُونَ أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ أَءَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ ، نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ ، وَنُنشِئَكُمْ فِيمَا لاَ تَعلَمُونَ ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ ، أَفَرَءَيتُم مَا تَحْرُثُونَ أَءَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ، لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ، إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ، أَفَرَءَيتُمُ المَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَءَنتُمْ

(١) الطور : ٣٥ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ أَفَرَءَيْتُمْ النَّارَ، الَّتِي تُورُونَ أَءَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ >> (١) .

ونلاحظ في هذه الآيات أن الموضوع الذي يدور حوله الحوار ليس هو الإنسان وخلقه ،بل هو الظواهر الموجودة في حياته ،ابتداء من النطفة ، التي هي المرحلة الأولى في عملية الخلق إلى الموت والحياة ، إلى الزرع الذي نزرعه إلى الماء الذي نشربه ،إلى النار التي نوقد ، ويتساءل القرآن الكريم بعد ذكر كل هذه الظواهر التي تقوم عليها حياة الإنسان على وجه الأرض عن الموجد الذي أوجدها ، والصانع الذي أتقن صنعها ، هل هو الإنسان أم ليؤكد بطبيعة الحال أنها من الله الخالق لأن الإنسان لا يستطيع أن يضطلع بهذه العملية المعقدة بحكم طبيعته البشرية التي جبل عليها ، وهنا نرى أن الآيات أن تركز على عجز الإنسان على حماية هذه الأشياء من الطوارئ، والحوادث ، أو العمل على استمرارها بينما تظل في النظام الدقيق الذي يحكمها بعيدة عن إرادة الإنسان ، وإختياره في بدء بدايتها وحركتها ونهايتها ، مما يجعلنا نخضع للفكرة التي يفرضها الإيمان من أن خالقها هو خالق الإنسان ، لأنه هو الذي يملك القدرة المطلقة في ذلك كله ، وأود في النهاية أن أقول :إنه من الممكن أن تكون هذه الآيات خاضعة للمنهج الذي يريد إرجاع الإنسان إلى فطرته ووجدانه الداخلي ، دون اللجوء إلى التحليلات الفلسفية التي أشرت إليها في مقدمة الحديث ، لأن قضية النفي والإثبات – في هذا الموضوع – قضية وجدانية فطرية كما يلاحظها كل من رجع إلى فطرته ووجدانه .

• لقد أقام الإسلام قضية وجود الله على العقل ، واعتبر القرآن الكريم أن الطبيعة هي مصدر علمنا بوجود الله ، وأخذ القرآن الكريم بتوضيح وبيان الأدلة العقلية التي ترشد العقل إلى معرفة الصانع ، ومن هذه الأدلة (٢) دليل الخلق ودليل العناية ودليل التسخيرودليل القصد ، وهذه الأدلة مستنبطة من الطبيعة وقد اعتمد ابن رشد (٣)على هذه الأدلة وعدها المنهج الصحيح للاستدلال على وجود الله ، أما دليل الخلق فقد سبقت الإشارة إليه في الآيات التي تحدثت عن عملية الخلق والتي يلخصها قوله تعالى :<< أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ >>(٤) وأما دليل العناية ، فتدل عليه الآيات مثل قوله تعالى :<< أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ

(١) الواقعة : ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ .
(٢) محمد هشام سلطان : العقيدة و الفكر الإسلامي ، ص ٥٨ ،٥٩ .
(٣) أنظر : ابن رشد : مناهج الأدلة في عقائد أهل الملة .
(٤) الطور: ٣٥ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مِهادًا وَالجِبالَ أَوْتادًا >>(١) . ومثل قوله تعالى :(تَبارَكَ الذّي جَعلَ فِي السَّماءِ بُرُوجًا وَجَعلَ فِيهِنَّ سِراجًا وَقَمرًا مُنيرًا >> (٢) . ومثل قوله تعالى :<< فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ إِلى طَعامِهِ >> (٣) . ومثل هذا كثير في القرآن الكريم ، وقد فصل ابن رشد القول فيه ، في كتابه "مناهج الأدلة في عقائد أهل المِلّة " وأما دليل التسخير فمثاله قوله تعالى :<< أفَلاَ ينظُرُونَ إِلىَ الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ >> (٤) ؛ إلى غير ذلك من الآيات التيّ تناولت قضية التسّخير، كدليل على وجود اللهّ سبحانه وتعالى ، وأما دليل القصد فيتجلّى في قصد الخالق من الخلق وأنه لم يخلق الكون عبثا من غير قصد ، بل لقصد مبني على التّقدير وهذا ردّ على القائلين بالمصادفة ، التيّ تعني إنكار وجود الله ، الذي هو قول الدهريين ، فهذه هي الأدلة التي عرضها القرآن الكريم للإستدلال على وجود الله وقد استند هذا الإستدلال على الطريقة العقلية والفطرية التي تؤكد قضية الإيمان بالله .

-**المستوى الثالث : منهج القرآن الكريم في نقد عقيدة إنكار البعث واليوم الآخر** : لقد واجه القرآن الكريم فكرة إنكار البعث واليوم الآخر ، وعدّها خرافة لا تستحق التسجيل ، لأنهّا تخالف الفطرة الإنسانية ومقرّرات العقيدة الصحيحة ، التي تقضي بحقيقة البعث والبوم الآخر ، وبدأ الأسلوب القرآني يتجه إلى عرض عدة ألوان من تقريب الفكرة إلى الأذهان ، ليرفع اللبسّ الذّي أحاط بهذه الفكرة ، وقد امتاز منهج القرآن الكريم في تقرير فكرة البعث والجزاء ببعض الخصائص ، والتي يمكن أن نوجزها في مايلي :

الخاصية الأولى : - الإستدلال بالنشأة الأولى على إمكان البعث :إن الحوار الذي أداره القرآن الكريم مع منكري البعث والجزاء ، يتمثل في قوله تعالى :<< وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيـها الذِي أنْشَأَها أوَّلَ مَرَّةٍ ، وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عليم ، الَّذِي جَعلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نارًا فَإذا أَنتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ، أَوَلَيْسَ الذّي خَلقَ السَّمواتِ وَالأَرضَ بِقادِرٍ عَلىَ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ، بَلى وَهُوَ الخَلاّقُ العَلِيمُ ، إِنَّما أَمرهُ إِذَا أَرادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ >> (٥) .

(١) النبأ : ٦
(٢) الفرقان : ٦١ .
(٣) عبس : ٢٤ .
(٤) الغاشية : ١٧ .
(٥) يس : ٧٨، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١، ٨٢

وقوله تعالى أيضا :<< وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا أَوَلَا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا >> (١) . فهذه الآيات تبيّن في حكم عقلي واضح ، أن الله الذي خلق الإنسان إبتداء ولم يك شيئا لا يعجزه أن يعيده ، وقد إستحال ترابا ، فإعادة الخلق أهون من الخلق إبتداء ، وهذا ردّ عنيف على الذينَ قالوا بإستحالة البعث من جديد إنطلاقا من التصّور السّاذج ، الذي يعجب للحياة كيف تنطلق من التّراب الذي لا يملك أي مظهر للحياة ، فضرب القرآن الكريم مثلا بالنطّفة وهي ليست شيئا بعيدا عن التّراب كيف أمكن لها -وهي التي ترجع في بدايتها إلى التّراب -أن تتحّول إلى وجود إنساني كامل ، فالقدرة الإلهية التيّ ولدت النطفة من التراب ، ثم ّولدت الإنسان من النطّفة ، هي التيّ تعطي التّراب سرّ الحياة ليتحوّل إلى إنسان كامل من جديد ، فإن القدرة على الإنتقال من العدم إلى الوجود في البداية ، تستلزم القدرة على ذلك في النّهاية ، لأن أساس الإمكان والإستحالة فيهما واحد لايختلف ولا يتعدّد .

ويرى الأستاذ محمد رشيد رضا أن عدم الإيمان بالبعث والجزاء يستلزم الكفر بحكمة اللّه ، وعدله في خلقه . يقول محمد رشيد رضا :<< قلنا : إن الإيمان بالبعث والجزاء من لوازم الركن الأول ، وهو الإيمان بالله المتصف بجميع الكمال ، المنزه عن العبث في أفعاله وأحكامه ، ولهذا كان من أظهر أدلة القرآن عليه قوله تعالى بعد ذكر البعث والجزاء والكافرين في آخر سورة المؤمنون :<< أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ >> (٢) .وقوله في آخر سورة القيامة :<<أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى >> (٣) . فكفر الإنسان بهذا الركن يستلزم كفره بحكمة ربّه ، وعدله في خلقه ، وكفره بنعمته بخلقه في أحسن تقويم ، وبتفضيله على أهل عالمه (الأرض) ، حيث سخّرها وكل مافيها لمنافعه ، وعلى كثير ممنّ خلق في عالم الغيب ، الذيّ وعد بمصيره إليه .

وإنكار البعث والجزاء يستلزم جهل الإنسان بما وهبه من المشاعر والقوى والعقل ، وجهله بحكمته في خلقه دالّ على أنّه خلقه لحياة لا حد لها ولا نهاية في الوجود >> (٤) .

---

(١) مريم : ٦٦ ، ٦٧.
(٢) المؤمنون : ١١٥ .
(٣) القيامة : ٣٦ .
(٤) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

-الخاصية الثانية :الإستدلال الحسي والواقعي : إن القرآن الكريم قد قرّب فكرة البعث والجزاء من الأذهان ومن المشاهدة الحسّية ، التيّ تجعل هاته الفكرة تقع تحت طائل الحس ، وهذا ما نلمحه في الآيات الكريمة التالية :<< يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ، ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ ، وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ، وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ، ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً ، وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ إِهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وأنه يُحْيِي المَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ >> (١) .فهذا العرض القرآني لقضية البعث والجزاء عرض حسيّ ،وواقعي ، يجعل من قضية المعاد نظاما للحياة ، يتمثّل في المراحل التي يقطعها الإنسان في بداية وجوده حيث ينتقل في كل مرحلة من العدم إلى الوجود ، ويتجسد في خلق النبّات الذّي لا يموت إلا ليعود من جديد في عملية بعث الحياة في البذور المتناثرة في الأرض كمثل التّراب .

-الخاصية الثالثة : الإستدلال بقدرة الله على إمكان البعث : يسير الأسلوب القرآني عموما في تأكيد قضية المعاد في إتجاه التأكيد على عظمة الله ، وقدرته التي لاتقف عند حد ، الأمر الذي يجعل من موضوع الاستبعاد ، والتفكير بالاستحالة شيئا لا معنى له . فما دامت قدرة الله المتمثلة في كل هذا الوجود ، فما الذي يمنع من أعمال القدرة في النهاية ، كما لم يكن هناك ما يمنع من إعمالها في البداية ، كما أن موضوع البعث ليس بأعظم من خلق السّموات والأرض وغيره من مظاهر العظمة في الخلق ، وهذا ما نجده في هذه النماّذج من الآيات القرآنية الكريمة :<< بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ ، قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ، لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ، قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ، قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ، وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ، سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ، قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ >>(٢) .

---

(١) الحج : ٥ ، ٦ ، ٧ .
(٢) المؤمنون : ٨١ ، إلى ٨٩ .

وقال تعالى أيضا :<<أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ>>. (١) وقال أيضا :<< أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ، بَلَى وَهُوَ الخَلَّاقُ العَلِيمُ ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ>>(٢) .

فقد لاحظنا في هذه الآيات أنّها لم تحاول أن تناقش تفكير المنكرين للمعاد على أساس الاستبعاد بصورة مباشرة ، بل حاولت أن تثير أمامهم علامات الاستفهام فيما يحيط بهم من السّماء والأرض ، وما فيها فلمن هذا كله ؟ ومَن الذي خلقه ؟ ومن الذي بيده ملكوت كل شيء ، لتوجّههم إلى عظمة القدرة الإلهية في ذلك كلّه ، ليقودهم بعد ذلك إلى الاعتراف باللّه الذي خلق كل هذا ، ليعترفوا بقناعة واعية ، بأنّ القادر على خلق الكون كلّه ، لا يصعب عليه أن يبعث الحياة في التّراب ليكون إنسانا من جديد .

وينطلق القرآن الكريم في إثبات المعاد من فكرة الحكمة من الوجود ، فإنكار المعاد مساوٍ لفكرة العبث في الخلق ، مما يستحيل نسبته إلى اللّه تعالى ، وذلك في قوله تعالى :<< أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ >>(٣).

يقول محمد رشيد رضا :<< ومن لوازم هذا الكفر والجهل كلّه احتقاره لنفسه باعتقاده أنّه خلق عبثا لا لحكمة بالغة ، وأن وجوده في الأرض موقوت محدود بهذا العمر القصير المنغّص بالهموم والمصائب والظلم والبغي والآثام ، وأنه يترك سُدًى لا يجزى كل ظالم من أفراده بظلمه ، وكل عادل فاضل بعدله وفضله >> (٤) .

(١) الأحقاف : ٣٣ .
(٢) يس : ٨١ .
(٣) المؤمنون : ١١٥ .
(٤) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، ص ١٧٩ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-الخاصية الرابعة : رفض عقيدة إنكار البعث لقيامها على الظن : يقـرّر القرآن الكريم أنّ فكرة إنكار البعث والجزاء ، ترجع إلى التعويل على الظنّ ، الذيّ لا يرتكز على أي دليل ؛ لأن الظن يبنى على التخرصّات والأوهام ، التيّ لا تمتّ بصلة إلى العقل ، وهذا ما تصوّره الآية الكريمة : << وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ، وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ، وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ >> (١) .

ومن ثمّ فإنه يمكن أن نقرّر أن القرآن الكريم يعيب على منكري البعث والجزاء أنهّم لا يعملون عقولهم في ذلك ، وحجّتهم البالغة هو الظن ، الذي لا يتوافق مع الأسلوب العلمي ، الذي يقرّر الأحكام بإخضاعها إلى العقل .

-المستوى الرابع : منهج القرآن الكريم في نقد عقيدة إنكار النبوة :

- أسجل بادىء ذي بدء المبرّرات ،التي دفعتني إلى تناول قضية إنكار النبوة في آخر هذا الفصل كمسألة من المسائل التي اتصّلت بالمجتمع الوثني قديما وحديثا والتي أوجزها كما يلي :

-١ أن النبوة هي المحور ، الذي كانت تدور حوله الرّسالات قديما وحديثا .

-٢ أن قضية إنكار النّبوة كانت عقيدة عامة صبغت المجتمع الوثني عموما ، فما من أهل ملّة وثنية إلا وكان إنكار النبّوة عندهم شعارا عامّا،ومذهبا ساريا .

-٣ أن الوثنيين عارضوا أولّ ما عارضوا من الرّسالات عقيدة النبّوة ، وفكرة النبّي البشر وممّا أثر عنهم في هذا المجال قولهم : << وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا >>(٢) .

---

(١) الجاثية : ٢٤ ، ٢٥.
(٢) الفرقان : ٧

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فلم يكن تصور الوثنيين يستسيغ فكرة النبي الرّسول ، ومن ثمّ كان هذا العذر الأولّ ، الذيّ اختلقوه لرفض النبوّات والرّسالات .

فهذه المبرّرات التي أراها مبررات موضوعية، هي التي جعلتني مضطرا لتناول قضية إنكار النبوة ، كعقيدة مشتركة عند كل الطوائف الوثنية منذ بدء الرسالات.

فلقد كانت النبوّات -في كل عهد انطلقت فيه -موضع جدل ونقاش في المجتمعات التي ظهرت فيها ، باعتبارها حدثا غير عادي في حياة النّاس ، فهي ليست دعوة تغييرية تتحرّك على أساس بشري ، لما يخضع له البشر عادة من امكانات وطاقات ، وقوة وضعف ، بل هي دعوة تتميز بارتباطها بماوراء هذا العالم ، من خلال الوحي الذي هو ظاهرة غير عادية لأنه يمثل الإتصال غير المنظور بالقوى غير المنظورة لأنها ليست من عالمنا هذا ، بل هي من عالم آخر يختلف عنا في شكله وطبيعته ، وهي بذلك تختلف عن الطبيعة البشرية ، وخصائص النبوات التي تتميز بها عن الدعوات الأخرى هي التي جعلت الإنكار يصبغ موقف الناس في تلك الفترة ، فقد أثير الجدل حول شخصية النبي وحول النبوة ، أما الجدل حول شخصية النبي فكان لطبيعة النبوة ،التي لا تتفق مع طبيعته البشرية ، فإذا كانت النبوة حدثا غير عادي فيجب -حسب رأي المنكرين -أن تتجسد في شخصية غير عادية ، ولهذا فإنه من الضروري أن لا يكون النبي بشرا مادامت النبوة مرتبطة بعالم غير عالم البشر ومادامت طرق الإتصال غير بشرية ، ومن هنا ولدت فكرة رفض تصديق الأنبياء ، لأنهم بشر يأكلون ويشربون فلا ينسجم ذلك مع التصوّر العامّ الذيّ هم عليه ، فالنبيّ بزعهم يجب أن يكون ملكا مرسلا من السّماء لحمل رسالة السّماء . وينطلق بعد ذلك سؤال ثان في هذا المجال فقد يتقبل الإنسان فكرة النبي البشر ،و لكن لابدّ أن يكون إنسانا غير عادي ، يتميز بقوى خارقة تحمل ظلال الألوهية في قدراتها ، وإن لم تكن لها هذه الصفة فإن النبوة تبقى أمرا فيه نظر .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفي ضوء ذلك كانت علامات الإستفهام تتكاثر، وتتنوع حول الأنبياء، الذين لا يتميّزون عن الإنسان العادي بشيء في قدرتهم، وأوضاعهم العملية في الحياة، هذا عن المواجهة، التي تعرضت لها النبّوات والرسالات عموما من دعوات الإنكار.

أما الإسلام، فقد واجه إلى جانب هذه الإعتراضات، إعتراضات أخرى كانت تمسّ شخصية النبيّ -صلى الله عليه وسلم- إذ رمته بأنّه ساحر، وأنّ ما جاء به ضرب من السّحر، وبأنّه شاعر، يجمع أساطير الأولين، التي أكتتبها، فكانت هذه الأوصاف جميعا ممّا نعت به محمّد -صلى الله عليه وسلّم- ولا ندعي إختصاص هذه الصّفات بنبي الإسلام؛ لأن القرآن الكريم قد أشار في بعض الآيات إلى أن الأنبياء بشكل عام قد نالت هذه الصفات والنّعوت، فاتهموا بالسحر، والجنون، والشاعرية كما جاء في قوله تعالى: «كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ» (١).

ولكننا نقول: إن هذه الأمور كانت بارزة في موقف أعداء الإسلام من الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- أكثر من غيره من الأنبياء، وقد واجه الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- هذه الإفتراءات، بأسلوب رسالي هادئ، ينطلق من الثقة العميقة بنفسه ورسالته، ومن الفهم الواعي لطبيعة هذه الإفتراءات والدوافع التي أسهمت في بروزها، والتي تتلخص في الإنكار المتواطئ لنبوة النبي-صلى الله عليه وسلم- وللرسالة الخاتمة التي جاء بها، وعلى ضوء ذلك بدأ الحوار القرآني مع منكري النبوة، من أجل أن يقودهم إلى تصحيح المفهوم الخاطئ الذي يحملونه عن النبوة، ودورها في الحياة، وعن شخصية النبي وطاقاته، من خلال ذلك، ثم يعمل القرآن على تصحيح أفكارهم الخاطئة عن طبيعة الرسالة الخاتمة.

---

(١) الذاريات: ٥٢.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أما الفكرة الأولى التي تتحدّث عن العلاقة بين النبوة والبشرية ، فقد أدارها القرآن الكريم في أسلوبين :

-الأسلوب الأول : عرض الفكرة ومناقشتها من خلال تاريخ النبوات : وقد بين القرآن الكريم في هذا المقام كيف كان الحوار يدور بين الأنبياء السابقين وخصوم الرسالات .

وهو مـــا أشارت إليه آيات كثيرة من القرآن الكريم ، التيّ تتحدث عن المكانة المرموقة التي حضي بها الأنبياء في المجتمعات التي ولدت فيها الرّسالات ، ولا مانع من فرضية أنهم كانوا يؤمنون بهم كأنبياء ، فقد تحدثت هذه الآيات عن رفض الأمم السابقة ، لهؤلاء الأنبياء من خلال صفة البشرية ، التي كانت لا تنسجم مع صفة النبّوة في زعمهم ، ولكن النبوة كانت تفرض نفسها في نهاية المطاف من خلال ما تعرضه من مواقف ومعجزات خارقة للعادة ، والتي أجراها الله سبحانه وتعالى على أيدي الأنبياء كعلامة على صدقهم ، وصدق نبوتهم ، ففي القرآن الكريم عن نوح- عليه السّلام - يقول تعالى : فَقَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إلاَّ بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إلاَّ الَّذِينَ هُمْ أرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ، وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ، قَالَ يَاقَوْمِ أرَءَيْتُمْ إنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ أنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ >> (١) . وفي آية أخرى يسوق القرآن الكريم أسلوب نوح في حواره مع قومه حول تجريد مفهوم النبّوة من فكرة القدرات الخارقة التيّ يتمتع بها النبّي ، أو صفة الملائكية غير البشرية ، وفي ذلك يقول اللّه تعالى :<< قل لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إنِّي مَلَكٌ >>(٢) .

---

(١) هود : ٢٧ ، ٢٨ .
(٢) الأنعام : ٥٠ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وتصرّح بعض الآيات بفكرة النبي الملك التي كان الوثنيون يتذرعّون بها لرفض الرسّالات والنبوّات ، يقول اللّه تعالى : << فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّه لأَنزَلَ مَلاَئِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ >> (١) . وهكذا يطرح القرآن الكريم قصّة نوح مع قومه ، ليؤكد في أكثر من آية من خلال الأدلّة التي انطلقت فيها رسالته ، خطأ الفكرة التيّ كان يزعمها قومه ، من التنافي بين البشرية والرسّالة . وتمتدّ القضية إلى بقية الأنبياء كما حدثّنا بذلك القرآن الكريم ، عن قصة هود فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى عن قوم هود : << وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ >> (٢) .

وقال تعالى في قصة صالح وقومه : << قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ ، مَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ >> (٣) .

وقال تعالى في قصة شعيب : << وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الكَاذِبِينَ >> (٤) .

ويلخصّ القرآن الكريم الجانب التاريخي لرفض فكرة التنافي بين البشرية والنبوة ، ليشمل تاريخ الأنبياء السابقين ، فيقرّر أنهم كانوا -بأجمعهم - بشرا لهم كلّ الصّفات الجسدية ، في كل ما يقتضيه ذلك من ضعف وقوة ، وذلك هو قوله تعالى : << وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً يُوحَى إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ، وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لاَ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ >> (٥) .

هذا عن الأسلوب الأول الذيّ اعتمده القرآن الكريم في رفض عقيدة انكار النبوة من خلال تاريخ الأنبياء .

- **الأسلوب الثاني : تصحيح فكرة النبوة القائمة على الخوارق :** فيواجهنا بالفكرة التي ترفض الرسّالة من خلال البشرية والطاقات العادية ، وهذا ما تعبّر عنه الآية التالية : << وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ ، لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ، أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ، وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا ، أُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً >> (٦) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(١) هود : ٢٧ .
(٢) المؤمنون : ٣٣ .
(٣) الشعراء : ١٥٣ ، ١٥٤ .
(٤) الشعراء : ١٨٦ .
(٥) الأنبياء : ٧ ، ٨ .
(٦) الفرقان : ٧ .

قَبْلكَ مِنَ المُرْسَلِينَ إِلاَّ أَنَّهُمْ لَيأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا >> (١) .

وتلتقي هذه الآية في هذا الإتجاه بالآيات التيّ تعرض الخطأ وتحاول أن تناقشه :<< وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيرًا ، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ، أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً ، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ ، أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَأُهُ ، قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً ، وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الهُدَى إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولاً ، قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولاً >> (٢) .

فنحن نلحظ أن المشركين واجهوا الرسّول -صلىّ اللّه عليه وسلّم- بهذه المقترحات كأساس لإنكار رسالته ، من حيث هو بشر عاجز عن تحقيق هذه المقترحات ، وكان الجواب القرآني منطلقا من تأكيد فكرة البشرية ، التي لا تلتقي مع كل هذا الحشد الهائل من الإقتراحات ، واعتبار الرسالة -بعد ذلك- هي الميزة الوحيدة ، التيّ تميزه عن الآخرين ، ثم تضيف الآية تقرير التصّور الخاطىء- في تاريخ الشعوب التي احتضنت النبوات والرسالات -الذي يرفض فكرة الرسول البشر-، مما حال دون إيمان الناس بالرّسالات السّماوية .

ويمكن أن نعطي كخلاصة لهذا المبحث النتائج التالية :

-١ إن القرآن الكريم في نقده للوثنية . قد اعتمد الأسلوب العقلي ، الذيّ يبطل العقائد والأفكار التيّ تطرحها ، وقد تنوّع هذا الأسلوب بتنوعها .

-٢ إن القرآن الكريم في نقد الوثنية ، إلى جانب اعتماده الأسلوب العقلي فقداعتمد كذلك الأسلوب الواقعي والتاّريخي والفطّري .

-٣ إن الوثنية هي تحريف صريح لأصول الديّن الصحيح ، الذي جاءت به الرّسالات السّماوية ، وفي مقدمّتها عقيدة التوحيد .

---

(١) الفرقان : ٢٠ .
(٢) الإسراء : ٩٠ إلى ٩٥ .

الفصل الثالث :

منهج القرآن الكريم في نقد اليهودية.

تمهيد :

المبحث الأول : اليهود : أصل التسمية والنشأة التاريخية.

المبحث الثاني :القرآن الكريم و التوراة .

المبحث الثالث : العقيدة و الشريعة عند اليهود و موقف القرآن الكريم منها .

المبحث الرابع :القرآن الكريم و نقد الجانب الأخلاقي في اليهودية .

المبحث الرابع :خصائص المنهج القرآني في نقد اليهودية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد :

اليهودية دين سماوي ،وكتابها هو التوراة ، وقد وردت الإشارة إليها في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، منها قوله تعالى :<< إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ >>(١) .

ويذكر القرآن الكريم أن اليهود أهل نبوة قال تعالى :<< وإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ >>(٢) . ويحدثنا التاريخ أن اليهود من سلالة «يهود» بن يعقوب - عليه السلام -،وأن يعقوب كان يطلق عليه اسم « إسرائيل» لذا يسمون «بني إسرائيل ».

ويحدثنا القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أكرمهم،وحباهم ، وخصهم بمزيد من النعم والتكريم ، وفضلهم على كثير من العالمين من أهل زمانهم ، وأرسل إليهم رسلاً عديدين ، وأنزل إليهم التوراة ، فيها هدى ونور ، كما أنزل إليهم الإنجيل على آخر رسول أرسل إليهم ، وهو عيسى - عليه السلام - .

كذلك حدثنا القرآن الكريم عنهم أنهم لم يستقيموا على الطريقة ، ولم يتبعوا النور الذي أنزل إليهم ، وأنهم حرفوا التوراة ، وبدلوا من تعاليمها ، و غالوا في عداوتهم للوحي الإلهي ، واغتالوا العديد من أنبيائهم ، ومالوا عن الحق ، فلا عجب أن كتب الله عليهم التيه والتشريد ، وضرب عليهم الذلة والمسكنة ، وباؤوا بغضب من الله .

وفي الجملة فإن اليهودية،التي أنا بصدد دراستها ، هي تلك التي تحدث عنها القرآن الكريم ، وحدد موقفها من الوحي الإلهي، ومن الرسالة الخاتمة ، كما بين عقائدها وأصدر في النهاية حكمه عليها ، بأنها دين سماوي محرف ومنسوخ - كما الإنجيل منسوخ بالإسلام - فلا يصح الاحتجاج بها بعد القرآن الكريم .

---

(١) -المائدة : ٤٤ .

(٢) - المائدة : ٢٠ .

المبحث الأول :

اليهود : أصل التسمية والنشأة التاريخية

أولا : **أصل التسمية** : يسمى اليهود بأسماء مختلفة ، فهم على سبيل المثال يسمون بالعبرانيين (١) .

وهو أقدم الأسماء لهم زمانا ، وأحبهم إليهم . وقد سماهم القرآن الكريم يهودا و<< بني إسرائيل >> ، أما عن سبب تسميتهم " ببني إسرائيل " فسببها كما يذكر الباحثون أن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم سمي "اسرائيل " وهي كلمة عبرية معناها عبد الله ، أو صفي الله ، وهي مركبة من لفظين " إسرا " بمعنى عبد و" إيل " بمعنى الله .

وقد وصفه القرآن الكريم بهذا الاسم في قوله تعالى << أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا >>(٢) وقد ذكر القرآن الكريم لفظ يعقوب بهذا الاسم في مواضع كثيرة ، منها قول الله تعالى : << أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ >>(٣) . ومعنى هذا أن يعقوب وإبراهيم وإسحاق وبني يعقوب كانوا في الأصل يعبدون إلها واحدا وكانوا مسلمين ، كما كان اليهود الذين هم من ذريتهم ممن أنعم الله عليهم واجتباهم وهداهم حينما كانوا ملتزمين بدينهم وتعاليم كتابهم ، يكثرون السجود والبكاء إذا سمعوا آيات الله تتلى عليهم ، وعلى هذا الأساس كان تفضيل الله لهم في زمانهم . أما حين انحرفوا وغيروا وبدلوا واعتدوا على الله وكتبه ورسله ، باؤوا بغضب من الله ، وضربت عليهم الذلة

---

(١) - للباحثين آراء متباينة حول أصل هذه التسمية وهي آراء تحيطها كثير من الملابسات والغموض ولهذا أعرضت عنها .

(٢) - مريم : ٥٨ .

(٣) - البقرة : ١٣٣

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والمسكنة . ومن ذلك ما تحكيه التوراة في سبب تسمية يعقوب بـ" إسرائيل " إذ ورد فيها بهذا الشأن نص غريب لا يتفق مع عقل أومنطق أو لغة ، في سفر التكوين ما نصه :<<فبقي يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب فخذه ، فأنخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه ، وقال :اطلقني لأنه قد طلع الفجر ، فقال : لا أطلقك إن لم تباركني .

فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب . فقال : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل اسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت >> .

فهل يقبل المنطق أن يصارع الله يعقوب في صورة ولا يعلم من هو ، لكن اليهود كتبوا هذا الهراء بحجة أن إلههم الخاص بهم هو الذي أمرهم بذلك .

والمتتبّع للقرآن الكريم يجد أنه يكثر من ذكر اسم اسرائيل ، عندما يريد أن يذكربني إسرائيل بنعمه عليهمْ ، وحين يدعوهم إلى الصّراط القويم و إلى الهداية ، فيذكرهم بأبيهم نبيّ اللّه يعقوب وبصفاته ، حتى يكون أسوة لهم لعلهم يستقيمون ولا ينحرفون عن منهج الله وتعاليمه .

والقرآن الكريم لم يذكر اسم العبرانيين أبدا ، ويبدو أن في ذلك إذلالا لهم ، ولكن هذا القول لا يسنده دليل عقلي ، أو نقلي .

وأما عن سبب تسميتهم باليهود ، فللباحثين آراء حول هذه التسمية .

-أما الرأي الأول فيذهب إلى أن سبب تسميتهم بهذا الإسم أنهم تابوا إلى ربهم ورجعوا إليه من هاد الرجل إذا رجع وتاب وإنما لزمهم هذا الإسم لقول موسى – عليه السلام –

: << إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ >>(١) أي رجعنا وتضرعنا ، وبهذا قال الشهرستاني (٢) وهو الرأي الذي ذهب إليه سيد قطب في « ظلال القرآن »(٣) .

وجاء في « لسان العرب »(٤) أن هاد يهود هودا بمعنى أناب ورجع إلى الحق فهو هائد ، وقالوا « اليهود » فأدخلوا الألف واللام فيها على إرادة التعريف يريدون « اليهوديين » .

---

(١)- الأعراف : ١٥٦ .

(٢)- الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ١٩٢ .

(٣)- سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ٧٥ .

(٤)- ابن منظور : لسان العرب ، مادة (هاد) وما ينبثق عنها .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

– في حين يذهب أصحاب الرأي الثاني إلى أنهم تسموا بهذا الإسم نسبة إلى «يهوذا» (١) بن يعقوب،لأن يهوذا كان من المفضّلين عند أبيه،وكان الرئيس على إخوته وكان المقدم عليهم،ولأنه كان سيد الأسباط ، لكثرة عددهم .

وكان اسم « يهوذا » هو الحد الفاصل بين المملكتين اليهوديّتين بعد إنقسام ملك سليمان ، واستمرت هذه المملكة بهذا الإسم زمنا طويلا دليلا وعلما على الأمة اليهودية بعد أن انتهت المملكة الأخرى.وبانتهاء مملكة يهوذا ظل اسمها إسما للجنس كله أي الجنس اليهودي مستقرا في وجدان اليهود ، لإعادة بناء الكيان اليهودي وبعث الأمة اليهّودية .

وإلى جانب هذه الآراء فإن التسمية ترتبط في بعض الأحيان بما تعوده اليهود من حب الإنتساب إلى أعلامهم كإنتسابهم إلى نبي الله اسرائيل الذي هو «يعقوب »وبالقياس نرى أن هذه كتلك والأولى ترجح الثانية .

ولكن القرآن الكريم لا يرجح هذه التسمية إلا إذا أراد أن يتحدث عن سلوك اليهود بعد إنحرافهم، وخروجهم على جادة الحق ، فكل كلمة «يهود » في القرآن الكريم تأتي في سياق الإشارة إلى كفرهم ، وجحودهم ، وعنادهم وإفترائهم على الله تبارك وتعالى .ومن ثم فإن هذه الآراء التي قيلت في أصل التسمية « ببني إسرائيل » أو «اليهود » ولكن نقول إن تحديد أصل التّسمية ، لا يفيد في شيء بدليل أن القرآن الكريم لم يذكر عللا لهذه التسميات لأنه يبحث في أصل العقيدة اليهودية لا في أصل تسميتهم ، نظرا لتضاربها وإختلافها ويبقى أن نؤكد أن القرآن الكريم قد تحدث عن بني اسرائيل واليهود في مواضع كثيرة ، ولكنه لم يستعمل لفظ العبرانيين للدّلالة عليهم مطلقا .

(١) – انظر : سيد قطب : المصدر السابق ، ص ٧٥ ، وأحمد شلبي : مقارنة الأديان ، اليهودية ، ط ٧ ، ١٩٨٤ ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ثانيا - النشأة التاريخية : قبل ميلاد المسيح - عليه السلام - بسنوات طويلة ، كانت هناك في شبه الجزيرة العربية بعض القبائل ، والجماعات العربية ، التي اضطرها القحط والجدب الذي أصاب منطقة شبه الجزيرة إلى الهجرة ، وتولية وجهها شطر البحر المتوسط على شاطئه القريب من مصر ، ومن جزيرة « كريت » ذات المورد الخصب وكانت قبيلة « الفنيقيين » من هاته القبائل التي استقرت على شاطىء البحر حيث « لبنان الآن » . كما استقرت هذه القبيلة العربية على ضفة البحر المتوسط ، كذلك استقرت قبيلة « كنعان » العربية على ضفة نهر الأردن الغربية ، وكانت بلاد العرب الوسطى والشمالية مهد « الساميين » وسام هو الجد الأعلى الذي تنتسب إليه هذه القبائل جميعها (١). واليهود أو بنو اسرائيل ساميون ، وهذا الإشتراك في النسب يدفع إلى التساؤل عن مبررات الخلاف بين اليهود ، والعرب ما دام أنهما من نسل واحد ، وسلالة واحدة ، وعن هذا التساؤل يقول جمال حمدان :<< قد يكون يهود التوراة والعرب أبناء عمومة ، وإنما تاريخيا وحسب حين بدأ الكل قبائل مختلفة من الساميين الشماليين ، وحين كانت العبرية تشتق من الأصول العليا ، التي تفرعت عنها العربية . وقد يكون من الصحيح ، بل إنه لصحيح بالفعل ، أن اسماعيل أبا العرب ، واسحاق أبا اليهود إخوة غير أشقاء ، وكلا ابن ابراهيم ، ولكن في البداية فقط تصدق هذه الأخوة على تسليمنا ، أما بعد ذلك فقد ذاب نسل أحدهما في دماء غريبة ، ووصل الذوبان إلى حد الإنحلال والإخلال ، حتى أصبحنا إزاء قوم غرباء لا علاقة لهم البتة باسحاق فضلا عن اسماعيل ، ولا يمكن بعد أن اختفى يهود التوراة كشبح أن يكون يهود أوروبا والعالم الجديد أقارب العرب جنسيا أكثر من قرابة الأوروبيين والأمريكيين للعرب >> (٢) . ويضيف جمال حمدان قائلا :<< إن اليهود اليوم إنما هم أقارب الأوروبيين والأمريكيين ، بل هم في الأعم الأغلب بعض وجزء منهم ، وشريحة لحما ودما ، وإن اختلف الدين ... ومن هنا فإن اليهود في أوروبا وأمريكا ليسوا كما يدعون غرباء أو أجانب دخلاء يعيشون في المنفى وتحت رحمة أصحاب البيت ، وإنما هم من صميم أصحاب البيت نسلا وسلالة ، لا يفرق بينهم

---

(١)- محمود بن شريف : الأديان في القرآن ، ص ٩٦ .

(٢) - جمال حمدان : اليهودية أنثروبولوجيا ، دار الكتاب العربي ، المكتبة الثقافيةص ٩١ .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سوى الدين >> (١) . ويعقوب الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل ، كما يذكر المؤرخون كان يقيم في أرض كنعان (الشام) وقد أنجب من الولد إثني عشر ولدا (٢) : يوسف ، بنيامين ، شمعون ، ليفي ، راوبين ، يهوذا ، يساكر ، زبولون ، دان ، نفتالي ، جاد ، أشير . هؤلاء هم أبناء يعقوب الذين سماهم القرآن الكريم «بالأسباط» ، يقول الله سبحانه وتعالى متحدثا عنهم ، وداعيا المؤمنين إلى الإيمان بهم : << قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ >> (٣) .

جاء في تفسير الجلالين في تعريف الأسباط الذين ورد ذكرهم في الآية الكريمة :<< والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب من بني اسماعيل ، فأسباط بني إسرائيل هم قبائلهم >>(٤) .

يريد بالأسباط تلك القبائل المتناسلة من هؤلاء الأبناء الإثني عشر ، ويؤيده في هذا الإتجاه ما ذكره القرآن الكريم عنهم في قوله تعالى :<< وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا >>(٥) . فالمعنى المتبادر من كلمة «قطعناهم» هو التقسيم إلى قبائل ، وأمم ، وهو حال بني إسرائيل ، وعلى هذا يكون المراد بالأسباط في الآية الأولى :« أنبياء قبائل الأسباط » (٦)

ويذهب بعض المفسرين إلى أن هؤلاء الأبناء الإثني عشر كانوا جميعا أنبياء مستدلا بقوله تعالى :<< إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ >>(٧). على أن القرآن الكريم لم يعترف صراحة إلا بنبوة واحد منهم وهو يوسف عليه السلام ، يقول القرآن الكريم مخاطبا يوسف :<< وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ ، كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ >>(٨) .

---

(١)- جمال حمدان : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(٢) – المصدر نفسه .

(٣) – البقرة : ١٣٦ .

(٤) – تفسير الجلالين ، ج١ ، ص ١١١ .

(٥) – الأعراف : ١٦٠ .

(٦) – محمود بن شريف : الأديان في القرآن ، ص ٩٨ .

(٧) – النساء : ١٦٣ .

(٨) – يوسف : ٦ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولقد صوّرت سورة يوسف -عليه السلام -حياة يوسف ومنزلته عند اللّٰه ووالده ، كما صوّرت موقف إخوته منه ، وحسدهم له ، وتآمرهم به ، كما صورت قدومه إلى مصر ، وما أصابه فيها من رخاء وبلاء ، إلى أن اجتمع بإخوته في مصر، وقد استقر بنو إسرائيل بمصر منذ ذلك العهد قرابة ثلاثة قرون إلى أن خرج بهم موسى -عليه السلام -إلى صحراء سيناء .

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن هجرة إسرائيل وأولاده إلى مصر في عهد يوسف عليه السلام تعد الهجرة الثانية بالنسبة لليهود ، بعد الهجرة الأولى ، التي قام بها ابراهيم سنة ٢٠٠٠ ق.م من بابل بالعراق إلى بلاد الشام ، ومصر معتبرين أن ابراهيم هو أب الإسرائيليين .

ويقول محمود بن الشريف معلّقا على هذه الدعوى اليهودية :<< والحق أن هذه الدعوى - دعوى أن ابراهيم أب اليهودية - ليست وليدة اليوم ، بل نادى بها الإسرائيليون من قبل وندد بها القرآن وفندها فقال :<< يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَا تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ، وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ، هَا أَنْتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَا تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ، مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ >>(١) . فابراهيم عليه السلام عاش قبل التوراة ، واليهودية إنما بدأ عهدها بعد التّوراة وأن ملّة إبراهيم - والحالة هذه - لا يمكن أن تكون اليهودية >> (٢).

لقد قضى الله على بني إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة ، مع موسى -عليه السلام -وهي أرض كنعان (فلسطين وما جاورها من بلاد الشام) ، وكان موسى- عليه السلام - طيلة الفترة التيّ مكثها مع بني إسرائيل في صحراء سيناء ، يذكّرهم دائما بآلاء اللهّ عليهم ، ويختبر مدى إيمانهم باللهّ،وحبهم له الذي يزعمون : << وَقَالَتِ اليَهُودُ وَ النَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ >> (٣).

---

(١) - آل عمران : ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ .
(٢) - محمود بن شريف : المصدر السابق ، ص ٩٩ .
(٣) المائدة : ١٨ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن دخول الأرض المقدّسة ليس بالأمر الهين بل إنه يحتاج إلى جهاد،وقتال ، ذلك أن هذه الأرض كان يقطنها العمالقة ، وأن أخذها منهم يتطلّب المواجهة ، ولهذا الغرض بعث موسى - عليه السلام - في بادىء الأمرفرقة قوامها إثنا عشر رجلا تزور أرض الشام ، وتستكشف أحوالها وأهلها ، ولما رجعت الفرقة علم منها أن أهلها قوم جبارون عمالقة ذوو منعة وقوة ، وما إن سمع الإسرائيليون هذا الخبر حتى خارت قواهم ، وارتعدت فرائسهم ، وبدوا أعجز ما يكون عن المواجهة ، خوفا من النهاية التي تنتظرهم على يد العمالقة ، فأصروا ، وأجمعوا أمرهم على عدم القتال حتى يخرج أهلها منها ، وهو أمر مستبعد ، وبذلك عصوا أمر الله ، وأمام هذا الجبن لجأ موسى -عليه السلام - إلى ربه ودعاه منتظرا قضاءه ، وحكمه عليهم .وقد صدرحكم الله أن هذه الأرض محرمة عليهم ، لن تطأها أقدامهم ، ولن تكتب لهم فيها الإستقرار أبدا ، فقد قضى الله عليهم أن يتيهوا في أرض سيناء أربعين سنة ، لا يعلمون لهم وجهة ، ولا يدركون لهم غاية ، ولا هدفا ولا مقصدا ، حتى تفنى الأجيال الجبانة ، وينبت جيل جديد ذو عزيمة في الله صلبة ، تقوى على تحمل تبعات الرسالة وتكاليف الدعوة ، ولها استعداد نفسي لتنفيذ أوامر الله . ومع نهاية الأربعين عاما هلك في الصحراء هؤلاء الإسرائيليون ، ولم يقدر الله لموسى ولا لأخيه هارون دخول الأرض المقدسة ، فمات هارون ودفن بجبل من جبال سيناء ولحقه موسى بعد عام ، بعد أن أعلن في بني إسرائيل دين الله . عن كل هذا تتحدث الآيات الآتية من سورة المائدة :<< وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَالَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ، يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ، الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ، قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ، وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ، قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ، وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَادَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ، قَالَ إِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ >>(١) .

فهذه الآيات تكشف عن طبيعة اليهود التي لا تقوى على تحمل أعباء الرسالة ، وهوجانب سيء في الشخصية اليهودية .

(١) - المائدة : الآيات من ٢٠ إلى ٢٦ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني :

القرآن الكريم والتوراة :

التوّراة هي الكتاب الذّي أوحاه الله إلى موسى ، ليكون مرشدا لبني إسرائيل ، يوجّههم ويهديهم ، ويربي ضمائرهم ، ويصلح نفوسهم ، ويوضح لهم معالم الطريق الدنيوي والأخروي . ويذكر رواة الوحي أن التوراة لم تنزل منجمة مجزأة ، كما هو الحال بالنسبة للقرآن الكريم ، بل تلقاها موسى من ربه وحيا إلهيا مباشرا ، ثم كتبها موسى -عليه السلام - ودون تعاليمها في أسفار وألواح بعد انتهائه من مناجاة ربه ، وأوبته من لقاء ه بطور سيناء .

ولابد أن نرجع إلى القرآن الكريم لنتبيّن معالم التّوراة الأصلية ، وما إشتملت عليه من وصايا وحكم ، لنكشف طبيعة التّحريف الذي إمتد إليها في عهد من العهود ، فحين نطالع القرآن الكريم نجد فيه بعض الآيات التي فيها اعتراف صريح بالتوّراة ، وذلك مثل قوله تعالى :<< وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ >> (١) .

فهذا النصّ القرآني يثبت أن التّوراة فيها حكم الله ، وفيها هداية ونور ، ولذلك يجب أن يحكم بها النبيّئون ، ومن لم يحكم بالتّوراة ، التيّ أنزلها الله فهو من الكافرين ، وهذا إعتراف وتصديق بها .

يقول محمود بن الشريف عن التوّراة الإلهية :<< هي هداية ونور لليهود الذيّن يشهدون بها ويحافظون على قداستها ، وهي المشعل الذي تلقفّه من يد موسى من جاء بعده من الأنبياء من بني إسرائيل وليس معهم كتاب ، وإنما بعثوا للعمل بالتّوراة هذه يحكمون بها فيما بينهم ويقيمون تعاليمها وينفذون أحكامها >>(٢) .

---

(١)- المائدة :٤٣ ، ٤٤ .

(٢)- محمود بن شريف : المصدر السابق ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد ذكر القرآن الكريم أن التّوراة قداشتملت على كثير من أحكام القصاص ،والتّشريع ، الذّي يحفظ للنّاس حقوقهم ويمنعهم من البغي ، والتّطاول وفي ذلك يقول الله تعالى :<< وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَ بِالسِّنِ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ>>(١) . كما اشتملت التّوراة على العظة والهداية فضلا على الشّريعة المفصلة . قال اللّه تعالى :<<وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ>>(٢) .

وقد وردت البشارة بمحمد – صلى الله عليه وسلم – في التّوراة وهو ما أشار إليه قوله تعالى :<<الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيءَ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ >>(٣) . وسوف أشير إلى البشارة بمحمد – صلى الله عليه وسلم –في الإنجيل بشيء من التفصيل .

والتّوراة بعد ذلك كله ، ككل كتاب إلهي مقدس ، تقرر وحدانية الله والإعتراف باليوم الآخر وما فيه من حساب وثواب وعقاب ، و هي معالم التوراة الأصلية ، التي أوحاها الله إلى موسى – عليه السلام – وهي مبرّأة من الغلو ، والتّشويه الذي إعترضها فيما بعد ، بدليل أن اللهّ يعبّر عند حديثه عنها ب (أنزلنا) و (كتبنا) للتفّريق بينها وبين التّوراة البشرية الموضوعة ، التيّ ما أنزل اللّه بها من سلطان ، كما يحكم القرآن الكريم بأن التّوراة المتداولة الآن قد أصابها التّحريف والتبديل ، فهي بذلك ليست التّوراة الإلهية ذات التعّاليم السماوية ، والشّريعة الرّبانية ، بل هي توّراة مزيفة فيها القليل من الحق،والكثير من الزيف،والباطل قال تعالى :<< فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ، وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ >> (٤) .

---

(١) – المائدة : ٤٥ .

(٢) الأعراف : ١٤٥ .

(٣) الأعراف : ١٥٧ .

(٤) المائدة : ١٣ .

يقول ابن كثيرفي تفسير هذه الآية :<< أي فبسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعناهم أي : أبعدناهم عن الحق ، وطردناهم عن الهدى ، <<وجعلنا قلوبهم قاسية >> أي : فلا يتعظون بموعظة لغلظها وقساوتها ، <<يحرفون الكلم عن مواضعه >> أي : فسدت فهومهم وساء تصرفهم في آيات الله ، وتأولوا كتابه على غير ما أنزله ، وحملوه على غير مراده ، وقالوا عليه مالم يقل ، عياذاً بالله من ذلك ، <<ونسوا حظا مماذكروا به >> أي :وتركوا العمل به رغبة عنه ، وقال الحسن :<< تركوا عرى دينهم ووظائف الله تعالى التي لا يقبل العمل إلا بها ، وقال غيره: وتركوا العمل فصاروا إلى حالة رديئة ، فلا قلوب سليمة ، ولافطر مستقيمة ، ولا أعمال قويمة >>(١) .

ويقول سيد قطب في تفسيره أن هذه الآية الكريمة تخبر عن اليهود أن << طابعهم الأصيل هو تحريف الكلم عن مواضعه ، تحريف كتابهم أولا عن صورته ، التي أنزلها الله على موسى - عليه السلام -،إما بإضافة الكثير إليه مما يتضمن أهدافهم الملتوية ، ويبررها بنصوص من الكتاب مزورة عن الله ! وإما بتفسير النصوص الأصلية الباقية وفق الهوى، والمصلحة والهدف الخبيث ، ونسيان وإهمال لأوامر دينهم وشريعتهم ، وعدم تنفيذها في حياتهم ، ومجتمعهم ، لأن تنفيذها يكلفهم الإستقامة على منهج الله الطاهر النظيف القويم ! (٢)

وما يفهم من تفسير ابن كثير وسيد قطب لهذه الآية الكريمة ، أن تحريف اليهود للتوراة الأصلية يرتبط إرتباطا وثيقا بنفسياتهم المريضة ، التي زاغت عن الحق ، وابتعدت عن جادة الصواب ، فكان التحريف أثرا من آثار هذا الزيغ في العقيدة ، وأن الإنحراف - كما ذكر سيد قطب - سببه طغيان الهوى ، والمصلحة وهو سبب كاف لتفسير التبديل والتغيير .

وقد ذكر سيد قطب أن المخاطبين بهذه الآية الكريمة هم اليهود ، وأن الخطاب للمشركين جاء عارضا في سياق الآية لا كونه خطابا لهم .

---

(١) - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٣٣٠ .

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن ،ج ٢ ، ص ٨٥٩ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويثبت القرآن الكريم في موضع آخر وقوع التّحريف في التّوراة،ولي الألسن بها ، والطعّن في الرّسالة الخاتمة ، وهذا ينزل من قدر التّوراة ويحط من قدسيتها ، و في هذا الصدد يقول الله تعالى :<< مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ >>(١).

يقول سيد قطب :<< لقد بلغ من التوائهم ، وسوء أدبهم مع اللّه عزّوجلّ ، أن يحرّفوا الكلام عن المقصود به ، والأرجح أن ذلك يعني تأويلهم لعبارات التّوراة بغير المقصود منها ، وذلك كي ينفوا ما فيها من دلائل على الرّسالة الأخيرة ، ومن أحكام كذلك وتشريعات ، يصدّقها الكتاب الأخير ، وتدل وحدتها في الكتابين على المصدر الواحد ، وتبعا لهذا على صحة رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم- وتحريف الكلم عن المقصود به ، ليوافق الأهواء ، ظاهرة ملحوظة في كل رجال دين ينحرفون عن دينهم ، ويتخذونه حرفة وصناعة يوافقون بها أهواء ذوي السلطان في كل زمان ، وأهواء الجماهير التي تيد التفلت من الدين ، واليهود أبرع من يصنع ذلك >>(٢).

فهذه النصوص القرآنية التي أوردتها وغيرها كثير ، تثبت مما لا يدع مجالا للشك أن التوراة التيّ أنزلها اللّه على موسى - عليه السلام - عقيدة ، وشريعة ، ومنهاجا لليهود قد حرّفت وضاع كثير من آياتها ، إما بالتناسي أو بالإخفاء ، أو بلي الألسن بالكلام ، حتى يصير المعنى محرّفا في أذن السامع .

وبناء على ذلك يمكن القول أن التحّريف في القرآن نوعان : تحريف لفظي ، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بتحريف الكلم عن مواضعه ، أي باستبدال كلمة مكان كلمة أخرى ، أو حملها على غير مرادها ، وتحريف معنوي بالإخفاء والتناسي ، والخروج عن معنى ومضامين وأحكام التوراة .

والحديث عن تحريف التوراة ، قد يوهم بعض الباحثين بأن هذا التصّريح قد يوقعنا في تناقض صريح ذلك أن القول بتحريف التوراة ينافي إعتراف القرآن الكريم بها،ووصفها بأنها هدى ونور ، وقد تصدّى محمد عزة دروزة (٣) لهذه الشبّهة (٤)

(١) - النساء : ٤٦ .

(٢) - سيد قطب : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٦٧٥ .

(٣) - محمد عزة دروزة : القرآن والمبشرون ، ط٣ ، ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م ،ص ١٦ وما بعدها

(٤) - لقد عرض محمد عزة دوزة في الكتاب المذكور أعلاه هذه الشبهة ونسبها إلى صاحبها وهو الخوري أحد النصارى اللبنانيين ورد عليها .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفصّل القول فيها ، ونختار أوجهه فيمايلي :

(١) - أن القرآن الكريم حين نص على صحة التوّراة فتلك التوّراة الصّحيحة ، التّي نزلت على موسى -عليه السلام - فلقد كانت هناك فصول باقية في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم - كما كانت هناك بعض التشريعات ،التي تتفق مع شريعة الإسلام ، وحين نص القرآن الكريم على أن بني إسرائيل حرفوا التوراة ، وأخفوا وكتموا منها ، فتلك توراة أخرى ، كتبها اليهود بأيديهم فأسقطوا ، وأخفوا وبدلوا وغيروا ، فالقرآن إذن حين اعترف بصحة التوراة لم يقصد بها التوراة المحرفة ، بدليل أنه وصفها في بعض الآيات بالتحريف ، وأن أهلها كانوا يلوون ألسنتهم في القراءة قصد التحريف ، وكانوا يخفون الآيات حينا وينسوها حينا آخر ، ولاتجتمع الصحة والتحريف على كتاب واحد في وقت واحد ، وإنما العقل والمنطق يقولان بأن الصحة صفة للكتاب ، وهذا هو الذي أنزل على موسى -عليه السلام - والتبديل والتحريف صفة لكتاب آخر هو التوراة ، التي كتبها الربّانيون ، والأحبار وشتّان بين الأمرين .

(٢) - أن القطع بصحة هذا الإدعاء يحتم على القائلين به الإتيان بالتوراة الإلهية الصحيحة التّي أنزلها اللّه سبحانه وتعالى على موسى- عليه السلام - وهو أمر متعذّر ذلك أن هذه التّوراة لا أثر لها ، وأنها تعرّضت للضياع ولم تبق منها سوى نصوص ليست ذات بال .

(٣) - أن في التّوراة بشارة بالرّسول الخاتم والرّسالة الخاتمة وهو ما لا نجد له أثرا في أسفار اليهود ، التّي يدّعون نسبتها للتوّراة ، وهذا دليل على أن التوّراة ، التّي أعترف بها القرآن الكريم هي توراة موسى -عليه السلام - المبرّأة من التحريف وليست هذه التوّراة المتداولة الآن بين اليهود، والمحرفة عن أصولها الربانية الصحيحة .

(٤) -أن القرآن الكريم كان يتلى أمام اليهود والنصارى،الذين كانوا بالمدينة وسمعوا من القرآن آيات تصف التوّراة والإنجيل بالتحّريف ، وآيات أخرى تكفّر الذينّ قالوا عزيرابن الله والمسيح ابن الله ، ولم يثبت أن اليهود والنّصارى في ذلك الوقت اعترفوا أو كذبوا القرآن الكريم في ما أدعوه ، أو على الأقل ناقشوا محمدا -صلى الله عليه وسلم - في دعوى التحّريف هذه وهم المعروفون كما حكا القرآن

الكريم عنهم ، بكثرة الجدل والنقاش، أو أتوا بما يثبت صحة هذين الكتابين أمام إدعاء المسلمين تحريفهما ، ولم يكن اليهود والنصارى من الجهل بحيث يعميهم هذا عن معرفة الآيات، التيّ أثبتت تحريف التورّاة والإنجيل ، دون معرفتهم بالآيات ، التيّ تعترف بهما .

وهكذا فقد بيّن اللهّ سبحانه وتعالى أن القرآن الكريم هو الحكم والشاهد على التوراة ، وأنه قد حكم بتحريفها ، ومن ثم فإنه لا يمكن الإستدلال باعتراف القرآن الكريم على صحة التوراة الحالية ، وأنه ليس هناك تعارضا مطلقا بين الإعتراف بصحة التوراة وبين الإخبار عن التحريف الذي وقع فيها ، ذلك أنه مما يفهم من كلام دروزة أنه يجب التفريق بين التوراة الإلهية الأصلية ، التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على موسى - عليه السلام - وبين التوراة المختلقة ، التي كتبها الأحبار، والرهبان ، فبدلوا كثيرا من نصوصها الأصلية .

وإلى جانب الشبهة التي عرضتها ، هناك شبهة أخرى من هذا القبيل ، والتيّ تقول : إذا كانت التوّراة محرفة فلم يستشهد بها المسلمون ؟ ذلك أنه لا يصح الإستشهاد بالمحرف وعن هذه الشبهة يقول : شلبي شتيوي :<< وهذه الشبهّة يثيرها فريقان متطرّفان : فريق يقول : حيث ثبت تحريف التوراة والإنجيل فلا يجوز حينئذ الإستشهاد بهما ، أو الإستناد إليهما في أمر من الأمور ، فالقرآن الكريم بين أيدينا وفيه الغناء عن أي كتاب آخر ، ويرد على هذا الفريق بما فعله علماء المسلمين في هذا الموقف ، فابن تيمية وابن القيم وابن حزم و محمد رشيد رضا ومحمد أبو زهرة و رحمة اللهّ الهنّدي وغيرهم كانوا يستشهدون بآيات، من التوراة والإنجيل وذلك من أجل إلزام الخصم بما في كتابه ويعتقد هو صحته >>(١) .

ويؤيد هذا القول حديث أبي هريرة - رضي الله عنه قال : << كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : << لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ >>(٢) . والقاعدة المستنتجة من هذا الحديث -كما قال علماء الحديث -توضح لنا أن ما تبيّن لنا صدقه أخذنا به

(١) انظر : محمد شتيوي :القرآن دراسة وتحليل ، مكتبة الفلاح الكويت ، ط١ ، ١٩٨٥ ، ص ١١٢ ، ١١٣ .
(٢) - رواه البخاري في صحيحه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وما تبين لنا كذبه أعرضنا عنه ، وما لم يتبيّن لنا وجه الحق فيه؛ فلم نعرف إن كان صادقا ،أم كاذبا قلنا فيه آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد .

وبعد أن عرض شتيوي لأراء الفريق الأول ، ساق رأي الفريق الثاني ، الذي يذهب إلى الإستدلال بالإستشهاد بالتوراة على أنه دليل على صحتها ، ويؤيدون قولهم هذا ببعض الآيات القرآنية منها قوله تعالى :<< قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَ مَا أُنْزِلَ إِلَيكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ >> (١) . وقوله تعالى :<< إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونوريحكم بها النبيئون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء >>(٢) . وقوله تعالى :<<وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ >> (٣) . ويرد محمد شلبي شتيوي (٤) على هذا الفريق بأن الإستدلال بالتوراة له ناحيتان :

-١ إن كان المقصود بالإستشهاد بها مجرد إلزام الخصم فهذا لا يلزم فيه تصديق المستشهد بصحّة ما يستشهد به ، وإنما يكفي فقط أن يكون الخصم معتقدا بصحّة هذا النّص من التّوراة من حيث هو من أصلها .

-٢ إن كان القصد إثبات وتقرير حقيقة دينية جاء بها القرآن الكريم وجاء بها الرسل . فحينئذ لا بد من تصديق الطرفين بالدليل الذي يستشهد به من التوراة ، والمسلم في هذا الجانب لا يستشهد بأي آية من التوراة إلا إذا كان ذلك متفقا مع القرآن الكريم ، ومن هذا النوع تلك الآيات ، التيّ أوردها هذا الفريق الثاني ، إذ لا بد في الإستشهاد بها من اتفاق الطرفين على المقصود منهما ، وحيث أن لأهل الكتاب مقصدا لا يتفق معهم فيه بطل الإستشهاد بها .

فالآية الأولى التي استشهد بها هذا الفريق تعني أن اليهود والنّصارى ليسوا على شيء من الدّين ، إلا إذا

---

(١) – المائدة : ٦٨ .

(٢) – المائدة : ٤٤ .

(٣) – المائدة : ٦٦ .

(٤) – محمد شلبي شتيوي : المصدر السابق ، ص١١٤ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أقاموا هذين الكتابين ، وآمنوا بما فيهما وعملوا بأحكامهما ، ومما فيهماالإيمان بمحمد-صلى الله عليه وسلم - وبرسالتـه الخاتمة ، والإقتداء بشريعته ، وكذلك يحتّم عليهم الإيمان بما أنزل إليهم وهو القرآن الكريم (١) قال محمد علي الصابوني : قال مجاهد في قوله تعالى :<< وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ >>(٢) يعني القرآن الكريم ، ونسب هذا إلى ابن عباس (٣) .

وإضافة إلى هذه الردود، التيّ أوردها محمد شتيوي على شبهة الإستشهاد بالتوراة والإستدلال بهذا الإستشهاد على صحتها ، يمكن أن نضيف ردا آخر ، وهو أن القرآن الكريم

حين حكم بتحريف التوراة فإن هذا لا يلزم أن ينطبق على كل جملة وكلمة وحرف ، فقد يكون التحريف فيهما في موضع دون موضع ، وعليه فإن اللّه تعالى حين طالب اليهود بإقامة التّوراة ، فإن هذا ينطبق على الصّحيح منها ، الذي لم يتبدّل ولم يتغيّر ، وهذا هو الذّي كان موضع الإستشهاد واللّه أعلم .

---

(١)- محمد شلبي شتيوي : المصدر السابق ، ص ١١٥ .
(٢) - المائدة : ٦٨ .
(٣) - محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، ج٣ ، ص٣٥ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث :

العقيدة والشريعة عند اليهود وموقف القرآن الكريم منها :

أولا - **مظاهر التحريف ودلائله في العقيدة اليهودية** : لقد تعددّت مظاهر التحريف في العقيدة اليهودية ، وشملت الألوهية والنبّوة واليوم الآخر ، والتيّ يمكن أن نوجزها في مايلي :

أ - **عقيدة الألوهية عند اليهود وموقف القرآن منها** : لقد صور اليهود الذات الإلهية في صورة بشرية،وافتروا من الأخبار الكاذبة،والنصوص المختلقة ما جسّمها وألحق بها الكثير من صفات الجهل والغفلة،وضحالة التفكير ، وسذاجة الرأي ، إلى غير ذلك من الصفات،التيّ لا تتناسب مع الذات الإلهية العلية << كبرت كلمة تخرج من أفواههم >>.

جاء في سفر التكوين عن قصة آدم وحواء أن الإله كان يريد بقاءهما جاهلين حتى لا يشاركانه في صفة من أخص صفاته ، وأن اللّه استجوبهما واستنتج من استجوابهما أنهّما لا بد أن يكونا قد أكلا من الشجّرة،وأن الإنسان قد أصبح أحد الآلهة،لتمييزه بين الحسن والقبيح ، وأنه لا بد من طرد الإنسان من الجنة ، حتى لا تمتد يده إلى شجرة الخلد فيكفل لنفسه البقاء وهو أرقى صفات اللّه (١) وقد ساق القرآن الكريم هذه القصة في أكثر من موضع ، وأظهر فيها كمال الله وكمال علمه وتمام قدرته وتنزيهه عن كل ما يشين ويشوب ، وجاء في سفر التكوين كذلك في قصة إهلاك قوم لوط وتدمير قريتي سدوم وعمورة ويذكر هذا السفر أن ثلاثة رجال هم: الله وملكان معه قدموا على ابراهيم و هو جالس بباب خيمته ، فأسرع ابراهيم لاستقبالهم بعد أن عرف الله من بينهم ، ورجا الله ومن معه أن يستريحوا عنده بعض الوقت وأن يتكئوا تحت شجرة قريبة من الخيمة ليزول عنهم بعض ما ألم بهم من تعب السفر ، وقدم إليهم ماء ليغسلوا منه أرجلهم وقدم إليهم كسرة خبز ليسندوا بها قلوبهم ، ثم أسرع ابراهيم إلى الخيمة وأمر زوجته سارة أن تصنع لهم خبزا طازجا وفطائر ، وجاء في هذا السفر :<< وظهر له الرب عند بلوطات ممرا ، وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار ، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض

---

(١) سفر التكوين :الإصحاح الثالث

لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض وقال ياسيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك ، ليؤخذ قليل ماء ، واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون ، لأنكم قد مررتم على عبدكم ، فقالوا هكذا نفعل كما تكلمت ، فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرعي بثلاث كيلات دقيق سميد ، واعجني واصنعي خبز ملة ، ثم ركض ابراهيم إلى البقر وأخذ عجلا رخصا وأعطاه للغلام وأسرع ليعمله ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم ،وإذ كان هو واقف لديهم تحت الشجرة أكلوا >>(١) ثم يذكر السفربعد ذلك أن الرب سأل ابراهيم عن سارة فقال إنها في الخيمة فقال له الإله : إنه سيمر عليهما في السنة القادمة فيجدهما قد رزقا غلاما على الرغم من تقدمهما في السن ، ويمضي السفر قائلا :<< ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم وكان ابراهيم ماشيا معهم ليشيعهم فقال الرب : هل أخفي عن ابراهيم ما أنا فاعله . وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم ، أما ابراهيم فكان لم يزل قائما أمام الرب >> (٢) .

ثم يذكر السفر أن إبراهيم قد اشتبك مع الربّ في جدال ومساومة حول القريتين اللتين يريد إهلاكهما لعله يثنيه عن ذلك ، وفي النهاية كما جاء في نهاية السفر :<< ذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع ابراهيم ، ورجع ابراهيم إلى مكانه >> (٣) وقد كشف القرآن الكريم زيف هذه الأخبار التي أوردها سفر التكوين عن إبراهيم عليه السلام وكشف حقيقة هذه القصة ، وحقيقة شخوصها ، وأنهم كانوا ملائكة مرسلين من عند الله بعد أن شكلوا في صورة آدمية ، فحيوا ابراهيم وحياهم وقدم إليهم طعاما وما لبث أن أنكرهم وأوجس منهم خيفة عندما رأى أيديهم لا تصل إلى الطعام . قال الله تعالى :<< وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا ، قَالَ سَلَامٌ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ >>(٤) .

ومن عقائد اليهود التي أوردتها الأسفار اليهودية ، أنهم يصورون الإله المتعب الذي هده التعب ونال منه النصب كل منال ، هذه الصورة يسجلها سفر التكوين ، الذي قرر أن اللّٰه تعالى بعد أن خلق الكون بسمائه وأرضه في ستة أيام ، استراح في اليوم السابع ، وكان يوم سبت وأن اللّٰه تعالى من أجل ذلك حرّم العمل في

(١)- سفر التكوين:الإصحاح ١٨
(٢) -المصد نفسه .
(٣) - المصدر نفسه .
(٤) - هود : ٦٩ ، ٧٠ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هذا اليوم ، يقول السفر :<< فأكملت السموات والأرض وكل جندها ، وفرغ الله في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع الذي عمل >>(١) .

ويحدد القرآن الكريم موقفه من هذه العقيدة فيقرر أن اللّه تعالى لا يصيبه تعب ولا نصب ، لأن هذا من صفات البشر ، وهو الإله القادر . قال الله تعالى :<< وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ >>(٢) . فقدرة اللّه المطلقة تقرر أن اللّه لا يصيبه الكلل والملل ، ولولا ذلك لما استحق وصف الألوهية، لأنه إذا كان الإله عاجزا، لم يكن للعبادة معنى ، ذلك أنه لا يليق الاستعانة بعاجز ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ومن عقائد اليهود كذلك في الإله أنه إله خاص بهم ، لا يشاركهم فيه أحد من العالمين ، وأنهم أبناء الله وأحباؤه ، ويفند القرآن الكريم مزاعمهم هذه ، حيث قرر أن الله إله لجميع الخلق بدليل أنه قال :<< الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ >>(٣) . فهو ليس إلها لليهود وحدهم ، بل إله كل الخلائق وموجدها .

ومن عقائد اليهود المقررة في أسفارهم أنهم اتخذوا الأحبار، والرهبان أربابا من دون اللّه .

يقول تعالى :<< اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ >> (٤) .

فقد قرر القرآن الكريم أن عقيدة اليهود كانت تدعو إلى التّوحيد وإلى عبادة اللّه وحده الفرد الصّمد ، الذيّ لم يتخذ الشّريك والوسيط ، ولقد عمل الأحبار والرهبان على تبديل هذه الحقيقة الإلهية . واتّخذت بعض طوائف اليهود أحبارهم ، ورهبانهم آلهة تعبد من دون الله .

هذه هي معالم العقيدة الإلهية عند اليهود ، وهي كما نرى بعيدة عن العقيدة الإلهية الصّحيحة التي جاءت بها الرّسالات السّماوية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(١)- سفر التكوين : الإصحاح ٢ ، باب ١ / ٣ .
(٢)- ق : ٣٨ .
(٣) - الفاتحة : ١ .
(٤) - التوبة : ٣١ .

ثانيا : عقيدة النبوة عند اليهود وموقف القرآن منها :

إن أنبياء الله ورسله هم الصفوة الممتازة ، الذيّن اصطفاهم اللّه من بين البشر واختصهم بصفات الكمال الخلقية والخلقية ، وجعلهم السفراء الأمناء في تبليغ رسالاته إلى الناس .

والمتتبّع لآيات القرآن الكريم ، التيّ تتحدث عن الأنبياء والرّسل يجدها تصفهم بأسمى الصّفات والمواهب العقلية والخلقية والعلمية ، كل ذلك يدلّ على أنهم صفوة الخلق ، والمثل الكاملة للإنسانية ، ولعظم مهامهم اقتضت حكمة اللهّ تعالى أن يريدهم ويصنعهم على عينه ، قال تعالى يكلّم موسى-عليه السلام - :<< وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي >>(١) وقال للنبيّ الخاتم - صلىّ اللهّ عليه وسلّم - :<<وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا>>(٢) وإذا كانت وظيفة الرّسل هي البلاغ ؛أي توصيل كلمة اللهّ إلى النّاس ، فمن هنا ذهبت معظم الفرق الإسلامية وأهل السنة خصوصا إلى القول بعصمة الأنبياء ، سواء في ذلك العصمة الباطنية مثل الحقد والكذب والغل والكبرياء ، أو العصمة الظّاهرية من الذنوب مثل : الشرّك والكذب ، وشرب الخمر والزنا ؛ لأن الله تعالى بما نصبه كواسطة بينه وبين الناس لأداء ما حمله من الشريعة ، ومن ثم فلا بد أن يجتنبه ما يقدح في شخصيته من الوقوع في الكبائر ، على اختلاف العلماء في الصغائر .

ورغم هذه الصورة الوضيئة والبريئة ، التيّ يقدمها القرآن الكريم عن الأنبياء والرّسل - عليهم السلام- فإن اليهود قد وقفوا منهم موقفا مشينا إذ صوّروهم في أسفارهم بصّفات تتنافى مع عصمتهم ، فوصفوهم بالزنا ، والخنا ، والبخل ، إلى غير ذلك من الأوصاف المشينة،والنعوت الممقوتة .

وسأتناول في هذا الجزء من المبحث عقيدة النبّوة عند اليهود ، وموقفهم من النبّوة والأنبياء ، ثم أقفيّ بموقف القرآن الكريم من كلّ ذلك .

أما عن موقف اليهود من النبّوة ، فهو يختلف كثيرا عن موقف النصّارى ، إذ يرون أن النبّوة هي في الغالب تعني الإخبار عن الأمور المستقبلية ، التيّ كثيرا ما ترتبط بالرؤى والأحلام .

---

(١) - طه : ٣٩ .

(٢) - الطور : ٤٨ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جاء في تفسير «نبوة » من "قاموس الكتاب المقدس " (١): أن النّبوة لفظة تفيد معنى الإخبارعن الله وهي الأمور الدينية ولا سيما عما سيحدث فيما بعد . وسمي هارون نبيّا ، لأنه كان المخبر والمتكلم عن موسى -عليه السلام- مظهرا لفصاحته (٢) ، وكان أعظم نبوات بني إسرائيل إخبارهم عن المسيح (مسيا)، ولايزال اليهود ينتظرون صدق هذه النبوة (٣) .

وينبغي التّفريق هنا بين الرؤى المنامية ، والتخيّلات المبهمة ، التيّ يبني عليها اليهود نبواتهم ، والتيّ تكون في الغالب صورا حسيّة في الخيال تذهب الآراء والأفكار في تفسيرها مذاهب شتى ، قلّما يعرف تأويل الصّادق منها غير الأنبياء ، كرؤيا ملك مصر ، التّي عبرها يوسف – عليه السلام – ، ورؤياه هو في صغره ، وبين الرؤيا الصّادقة ، التي كانت مبدأ نبوة محمد عليه الصّلاة والسّلام قبل نزول الوحي ، والتيّ كانت منها صور أعلى بكثير من تلك التي كانت عند اليهود .

أما عن موقف اليهود من الأنبياء فإن بعضهم قد صورتهم التوراة في صورة وثنية أو حيوانية ، فلقد اتهّمت التوراة سيدنا ابراهيم عليه السلام بالكذب وألصقت به عن قصد أخسّ الصفات ، وقبيح الأفعال ، من التحّايل ،و السكوت عن الفاحشة والاغتصاب ، والرّضا بالمهانة ، والخوف من السلطان ، ثم بالتفّريط في العرض بإسلام زوجته للرئيس وذلك أيام أن رحل سيدنا ابراهيم فارا بعقيدته إلى فلسطين ، ومعه زوجته" سارة " وابن أخيه "لوط" وامرأة لوط .

وجاء في سفر التكوين أن ابراهيم بعد أن طرده الملك من مصر هو وسارة ، وبعد أن سمح له فرعون بأن يحمل معه جميع ما وهب له من مال ومتاع ، هاجر إلى منطقة (جيرار) ومثل أمام حاكمها الدور الذي مثله أمام فرعون مصر ، وكاد الحاكم ويدعى "أبا مالك " يرتكب الإثم مع سارة برضا ابراهيم وتحت سمعه

(١)- انظر قاموس الكتاب المقدس ، المطبعة الأمريكية ،بيروت ١٨٩٤ م .
(٢)- خروج : ٧ : ١ ..
(٣)- محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ص ٦٥ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لولا أن الحاكم رأى رؤية منامية أطلعه الله فيها على حقيقة سارة فاستدعى إبراهيم ولامه ووبخه ،ثم منحه هبة من نعاج ،وثيران ،وعبيد على أن يحمل عصاه وامرأته ومامعه ويرحل إلى منطقة أخرى . عن كل هذا يقول سفر التكوين :<< وحدث جوع في أرض إبراهيم فانحدر إبراهيم إلى مصر ليتغرّب هناك ؛ لأن الجوع في الأرض كان شديدا وحدث لما قرب أن يدخل مصر أن قال لسارة إمرأته إني قد علمت أنك إمرأة حسنة المظهر فيكون أن رآك المصريون أنهم يقولون هذه إمرأته فيقتلونني ويستبقونك ، قولي إنك أختي ، ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك ، فحدث لما دخل ابراهيم إلى مصر أن رأى المصريون المرأة أنهاحسنة جدا ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى إبراهيم خيرا بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب سارة امرأة إبراهيم ، فدعا فرعون إبراهيم وقال : ما الذي صنعت بي لماذا لم تخبرني أنها امرأتك ، لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي والآن هي ذا امرأتك خذها واذهب ، فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامرأته وكل ماكان له >> ويمضي سفر التكوين قائلا :<< وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور ، وتغرب في جرار، وقال ابراهيم عن سارة امرأته هي أختي فأرسل أبو مالك ملك جرار وأخذ سارة فجاء الله إلى أبي مالك في حلم الليل وقال له : ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها فإنها متزوجة ببعل ، ولكن لم يكن أبو مالك قد اقترب إليها فقال : يا سيّد ، أأمة بارّة تقتل ، ألم يقل هو لي إنها أختي وهي نفسها قالت هو أخي ، بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا ،فقال له اللة في الحلم : أنا أيضا علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا ، وأنا أيضا أمسكتك عن أن تخطئ إليّ، لذلك لم أدعك تمسها ، فالآن ردّ إمرأة الرّجل فإنه نبي فيصلي لأجلك فتحيا ، وإن كنت لست تردّها فاعلم أنك موتا تموت أنت وكل من لك .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فبكا أبو مالك في الغد، ودعا جميع عبيده وتكلّم بكلّ هذا الكلام في مسامعهم، فخاف الرّجال جّدا ثم دعا أبو مالك، ابراهيم وقال له : ما ذا فعلت بنا ؟ وبماذا أخطأت إليك حتى جلبت علي وعلى مملكتي خطيئة عظيمة ، أعمالا لاتعمل عملت بي وقال أبو مالك لإبراهيم : ماذا رأيت حتى عملت هذا الشيء : فقال إبراهيم : إني قلت ليس في هذا الموضوع خوف الله البتّة فيقتلوني لأجل إمرأتي >> (١) .

وهكذا تصور التوراة المحرّفة إبراهيم على أنه يتاجر- كأي يهودي ضال تائه لا أخلاقي -بامرأته ، إذ يتنقل بها من بلد إلى آخر كاذبا مخفيا الحقائق هادفا جمع المال والهدايا والعطايا ، مستخفا بالشرف مستهينا بالعرض والطهر في سبيل أن تسلم له حياته وأن يحصل على ما يبتغيه من المال . وأما القرآن الكريم فإنه يصف ابراهيم بأنه بلغ مرتبة المثالية في الصدق ، فلم يكن صادقا وحسب بل كان صديقا :<< ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ >> (٢) . فصورة ابراهيم في القرآن الكريم كلها صدق وطهر وذلك خلاف التوراة ،التي رمته بافتراءات كثيرة لا تتوافق مع خصائص النبوة ، وعن قصة رحيل ابراهيم عليه السلام إلى مصر يقول عبد الوهاب النجار :<< وقصة ارتحال ابراهيم إلى آخرها لم تذكر في القرآن وإنما ذكرت في التوراة ، وقد أعادوا لنا بها القصة ، التي وقعت في مصر ، وأنا استبعد حصولها ، لأن سارة أيام كانت في مصر كانت بنت سبعين سنة ، وليس من المستساغ أن يطمع ملك مترف في بنت سبعين، أو تسعين >>(٣) .

وكذلك من عقيدة اليهود في الأنبياء ما جاء عن داوود عليه السلام من السّفر الثاني لصموئيل، الذّي كلّه خنا،وزنا، وفحش وإثم،وتحايل للتخلص من آثار جريمة خلقية وإعتداء على حرمات الآخرين . تقول التّوراة في هذا :<< إنّ داوود كان يمشي على سطح قصره فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة جدا فأرسل داوود وسأل عن المرأة .. فقال واحد : امرأة أوريا . فأرسل داوود رُسلا،وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهّرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها وحملت المرأة من داوود ، فكتب داوود مكتوبا يقول فيه : اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة،وارجعوا من ورائه فيضرب فيموت >>(٤) .

(١) - سفر التكوين : الإصحاح ٢٠ .
(٢) - مريم : ٤١ .
(٣) - عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ص٩٩ .
(٤) - سفر صاموئيل الثاني : الإصحاح ١١ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويضيف السِّفر قائلا : << وفي الصباح عندما علم داوود أن حيلته أخفقت أمر الجندي أن يعود سريعا إلى الجبهة حاملا رسالة إلى القائد " يوآب " أخبره فيها أن يضع الجندي أوريا في الخطوط الأمامية في أخطر منطقة حربية ، ليقتل ، ولما قتل ضمّ داوود تلك الزوجة إلى نسائه بعد أن زنى بها ، وبعد أن عمل على التخلّص من زوجها ويختم الإصحاح الحادي عشر من هذا السفر تلك القصة بقوله : << فلما سمعت امرأة أوريا أنّ أوريا قد مات ندبت بعلها ، ولما مضت المناحة أرسل داوود وضمّها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له إبنا ، وأما الأمر الذي فعله داوود فقبيح في عيني الرب >>(١) . هذا بعض ما نسبه اليهود كذبا وافتراء إلى نبي الله داوود -عليه السلام- ، أما القرآن الكريم فإنه ينسب إلى داوود كل فضل ونبل وطهارة واستقامة ، فهو نبي مختار ، آتاه الله فضلا وعلما وملكا وحكمة . قال الله تعالى : << وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ >>(٢) .

وقال تعالى : << وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ >>(٣) . وتعبير القرآن الكريم في وصفه لداوود بعبدنا دليل على تكريمه ، يضاف إلى ذلك التكريم ، تكريم آخر وهو أن الله جعل الطيرّ والجبال تسبّح معه بالعشيّ والإشراق ؛ وعلى هذا يمكن أن نقول معنى قوله تعالى : << ذا الأيدي >> أي ذا القوة الإيمانية التي من علاماتها الاستغفار والتسبيح ؛ والتيّ تدفعه إلى عبادة الله وحده والرجوع إليه ، وتحجمه في الوقت نفسه عن ارتكاب ما يخل بالمروءة ؛ وما يتنافى مع العصمة . ويمضي السفر الثاني من سفر صموئيل فيقص أن الله أرسل إلى داوود "ناثان" وقصّ عيله قصّة رجلين أحدهما موسر غني يملك قطيعا من الأبقار والنعاج ، والآخر يملك نعجة واحدة ؛ وفي يوم هبط على هذا الشخص الغني ضيف فلم يكن من الغني إلا أن عمد إلى نعجة الفقير فاغتصبها وذبحها للضيف ولما طلب ناثان من داوود الحكم على هذا الغني وفعلته قال داوود : إن هذا الرجل معتد يستحق الموت ، فقال له ناثان : إنك أنت الرجل المعتدي ولم يسع داوود إلا أن يعترف ويثوب إلى رشده ويتوب إلى ربه طالبا مغفرته ، يقول الإصحاح الثاني عشر من هذا السفر : << فقال ناثان لداوود أنت هذا الرجل ؛

---

(١)= سفر صموئيل الثاني : الإصحاح ١١ ، ١٢ .

(٢)= سبأ : ١٠ .

(٣) = ص : ١٧ .

هكذا قال الرب إله إسرائيل أنا منحتك ملكا على إسرائيل وأنقذتك من يد شاؤول ،وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك وأعطيتك بيت إسرائيل ويهودا ، وإن كان ذلك قليلا كنت أزيد لك كذا وكذا ، ولماذا احتقرت كلام الرب لتزيد الشر في عينيه ، قد قتلت أوريا الحيثي بالسّيف وأخذت إمرأتهُ لك امرأة ، والآن لا يفارق السَّيف بيتك إلى الأبد لأنك احتقرتني وأخذت امرأة أوريا الحيثي لتكون لك امرأة ، هكذا قال الربّ ها أنذا أقيم عليك الشرّ من بيتك،وآخذ نساءك أمام عينيك،وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس ، فقال داوود لناثان : قد أخطأت إلى الرّب >> (١) هذه هي حكاية التوّراة عن داوود عليه السّلام .

أما القرآن الكريم فيقول عن هذه القصة :<< وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا :لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ، إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ : أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ، قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ،وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ >> (٢) .

قال البيّضاوي في تفسيره :<< وأقصى ما في هذه القصة الإشعار بأنه - عليه السلام - ود أن يكون له ما لغيره ، وكان له أمثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر وأناب إليه >>(٣) وإلى هذا التفّسير نميل؛ لأنه لا يتنافى مع العصمة ، وجمهور المفسرين لم يستقروا على رأي في تحقيق الذنب الذي ارتكبه داوود حتى رجع واستغفر ، ولهم في هذا المجال كلام كثير وللإسرائيليات مجال أكثر ، وقد ساق الألوسي في تفسيره كثيرا من هذه الأقوال وعلق عليها بقوله :<< وللقصاص كلام مشهور لايكاد يصح لنا فيه من مزيد الإخلال بمنصبه عليه السلام . على أنه مهما قيل في هذه المسألة فإننايجب أن نقول :<< إن المقبول من هذه الآراء ما بعد عن الإخلال بمنصب النبوة إذ الأنبياء معصومون من الخطايا ، ولا يمكن وقوعهم في شيء منها

(١)-سفر صموئيل الثاني : السفر الثاني، الإصحاح الثاني عشر .

(٢)- ص : ٢١ - ٢٣.

(٣) - البيضاوي : التفسير (أنوار التنزيل وأسرار التنزيل) ، دار الفكر ، ١٩٨٢ ج٢٣ ، ص ٦٠١ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هكذا قال الرب إله إسرائيل أنا منحتك ملكا على إسرائيل وأنقذتك من يد شاؤول ،وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك وأعطيتك بيت إسرائيل ويهودا ، وإن كان ذلك قليلا كنت أزيد لك كذا وكذا ، ولماذا احتقرت كلام الرب لنزيد الشر في عينيه ، قد قتلت أوريا الحيثي بالسّيف وأخذت إمرأتهُ لك امرأة ، والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد لأنك احتقرتني وأخذت امرأة أوريا الحيثي لتكون لك امرأة ، هكذا قال الربّ ها أنذا أقيم عليك الشرّ من بيتك،وآخذ نساءك أمام عينيك،وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عينِ هذه الشمس ، فقال داوود لناثان : قد أخطأت إلى الرّب >> (١) هذه هي حكاية التوّراة عن داوود عليه السّلام .

أما القرآن الكريم فيقول عن هذه القصة :<< وَهَلْ أَتَاكَ نَبأُ الخَصْمِ إذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ إذْ دَخلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفزِعَ منْهُمْ قَالُوا :لاَتَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فاحْكُمْ بيْننا بِالحَقّ وَلاَ تُشْطِطْ واهْدِنَا إلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ، إنّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ : أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ ، قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إلَى نِعَاجِهِ وَإنَّ كَثِيرًا مِنَ الخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَقَلِيلٌ مَاهُمْ ،وَظَنَّ دَاوُودَ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ >> (٢) .

قال البيّضاوي في تفسيره :<< وأقصى ما في هذه القصة الإشعار بأنه - عليه السلام - ود أن يكون له ما لغيره ، وكان له أمثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر وأناب إليه >>(٣) وإلى هذا التفّسير نميل؛ لأنه لا يتنافى مع العصمة ، وجمهور المفسرين لم يستقروا على رأي في تحقيق الذنب الذي ارتكبه داوود حتى رجع واستغفر ، ولهم في هذا المجال كلام كثير وللإسرائيليات مجال أكثر ، وقد ساق الألوسي في تفسيره كثيرا من هذه الأقوال وعلق عليها بقوله :<< وللقصاص كلام مشهور لايكاد يصح لنا فيه من مزيد الإخلال بمنصبه عليه السلام . على أنه مهما قيل في هذه المسألة فإننايجب أن نقول :<< إن المقبول من هذه الآراء ما بعد عن الإخلال بمنصب النبوة إذ الأنبياء معصومون من الخطأيا ، ولا يمكن وقوعهم في شيء منها

---

(١)-سفر صموئيل الثاني : السفر الثاني، الإصحاح الثاني عشر .

(٢)- ص : ٢١ - ٢٣.

(٣) - البيضاوي : التفسير (أنوار التنزيل وأسرار التنزيل) ، دار الفكر ، ١٩٨٢ ج٢٣ ، ص ٦٠١ .

ضرورة أنا لو جوزنا عليهم شيئا من ذلك بطلت الشرائع ولم يوثق بشيء مما يذكرون أنه وحي من الله تعالى >>(١) . وخلاصة القول أن التوراة أوردت الكثير من الشبهات حول نبوة داوود عليه السلام ، وقد جاراها في ذلك بعض المفسرين بسبب الاعتماد على الإسرائيليات، التي أوردت قصصا لا يجوز اعتمادها لأنها تتنافى وعصمة الأنبياء.

وما ورد عن لوط عليه السلام في التوراة ما يرويه الإصحاح التاسع عشر منه :<< وصعد لوط من "صوغر" وسكن في الجبل وابنتاه معه ، لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه ، وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض ، هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه ، فنحيي من أبينا نسلا .. فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة : إني قد اضطجت البارحة مع أبي ، نسقيه خمرا الليلة أيضا ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما >> (٢). وهكذا يتهم نبي الله لوط بالزنا وشرب الخمر – وحاشاه – وهما من الكبائر .

كما اتهمت التوراة نبي الله سليمان فرمته بالكفر ، فهو كما جاء في أحد الأسفار :<< لم يكن قلبه كاملا مع الرب كقلب داوود أبيه ...فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه ألا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصاه به الرب>>(٣) .

ولا شك أن هذه الدعوى كاذبة يراد بها التهجم على أنبياء الله تعالى . ومن أباطيل اليهود ما جاء في توراتهم في شأن سليمان -عليه السلام -:<< وأحبّ الملك سليمان نساء غريبة كثيرة ...فالتصق بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري ... وكان في زمن شيخوخة سليمان أن نساء أملن قلبه وراء آلهة أخرى >>(٤) .

---

(١)- محمود بن الشريف : الأديان في القرآن ، ص١١٥ .
(٢) - سفر الملوك الأول : الإصحاح الحادي عشر .
(٣) - المصدر نفسه .
(٤)- المصدر نفسه .

ومعنى هذا الكلام أن التوراة ترمي نبي الله سليمان بالشرك ، وهو الأمر الذي فنده القرآن الكريم ، الذي شهد لسليمان بالتقوى وتوحيد الله سبحانه وتعالى.

وممّا جاء عن نوح -عليه السلام -في التوّراة - المفتراة - من قبيل ما ذكر عن الأنبياء الآخرين ، ولذلك أبى العلماء المحققوّن قبول هذه الإفتراءات وقالوا : هذه من أباطيل اليهود . وصدق الله حين قال واصفا أخلاقيات اليهود :<< فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ >>(١) . ووجود هذه الإفتراءات يقضي بتحريف النصوص الإلهية للتوراة كما أخبر القرآن الكريم ، فإنه من غيرالمقبول ،والمعقول أن يرد هذا الافتراء على أنبياء الله في كتاب إلهي ، وقد ساق رحمة الله الهندي في كتابه " إظهار الحق " هذه الحقيقة ، إذ يقول في هذا الشأن :<< إن التوراة المشهورة ليست التوراة التي صنفها موسى، ولا التي كتبها عزرا ، بل الحق أنها مجموع من الروايات والقصص المشتهرة بين اليهود، التي جمعها أحبارهم في هذا المجموع بلا "تنقيد الروايات " >>(٢) ثم ساق رحمة الله الهندي من الأدلة على تحريف التوراة وقدمّ الكثير من الشواهد، التي تدل على التبديل والتغيير في النصوص الأصلية للتوراة ، واستنكر ما وقع في الباب التاسع عشر من سفر التكوين من أن لوطا - عليه السلام - زنى بابنتيه ، وحملتا من أبيهما وتولد له منهما ابنان ، وكما وقع في الباب الحادي والعشرين من سفر صموئيل الأول (٣) من أن داوود - عليه السلام - زنى بامرأة أوريا الحيثي ، وحملت منه فقتل زوجها بالحيلة وتصرف فيها ، وما وقع في الباب الحادي عشر من سفر الملوك ، من أنّ سليمان - عليه السلام - ارتدّ في آخر عمره بترغيب أزواجه ، وعبد الأصنام وبنى لها المعابد وسقط من نظر الله .

---

(١)- المائدة : ١٣ .

(٢)- رحمة الله الهندي : إظهار الحق ، ص ٣٥ .

(٣)- لم يشر الإصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الأول إلى هذه الحادثة ولعل هذا خطأ مطبعيا ، وفي كتاب (إظهار الحق) لرحمة الله الهندي أن الذي أشار إليها هو السفر الثاني لصموئيل الإصحاح الحادي عشر كما تقدم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وعندما سجل رحمة الله الهندي شواهد عديدة للتحريف في التوراة بالزيادة والنقصان دعم شواهده بكثير من نصوص التوراة ، من هذا ما ساقه عندما قال من سفر الخليقة : وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبل أن يملك لبني إسرائيل : ملك في أدوم بالع بن بعور ، وكان اسم مدينته دنهابة ، ومات بالع فملك مكانه يوباب ومات يوباب فملك مكانه حوشاجم ومات حوشاجم فملك مكانه هداد ومات هداد فملك مكانه شملة ، ومات شملة فملك مكانه شاؤول ، ومات شاؤول فملك مكانه بعل (١) ويعلق رحمة الله الهندي على ذلك فيقول :<< ولا يمكن أن تكون هذه « الآية » من كلام موسى - عليه السلام - لأنها تدل على أن المتكلم بها بعد زمان قامت فيه سلطنة بني اسرائيل وأول ملوكهم شاؤول وكان بعد موسى - عليه السلام - بثلاثمائة وست وخمسين سنة . قال آدم كلارك في تفسيره ذيل هذه الآية :<< غالب ظني أن موسى - عليه السلام - ما كتب هذه الآية والآيات التي بعدها إلى الآية التاسعة والثلاثين ، بل هذه الآيات هي آيات الباب الأول من السفر الأول ، من كتاب أخبار الأيام ، وأظن ظنا قويا قريبا من التيقن أن هذه الايات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة من التوراة فظن القائل أنها جزء من المتن فأدخلها فيه ، فاعترف هذا المفسر بإلحاق الآيات التسعة ، وعلى اعترافه يلزم أن كتبهم كانت صالحة للتحريف ، لأن هذه الآيات التسعة مع عدم كونها من التوراة دخلت فيه.وشاعت بعد ذلك في جميع النسخ >>(٢) ويضيف رحمة الله الهندي :(بعض الجمل ،التي توجد في كتاب موسى تدل صراحة على أنها ليست من كلامه ، وكذلك بعض عبارات هذا الكتاب ليس على محاورة كلام موسى-عليه السلام- ولا نقدر أن نقول جزما أن أي شخص ألحق هذه الجمل والعبارات ولكن نقول بالظن الغالب أن « عزرا » النبي ألحقها كما ينبىء عنه الباب التاسع والعاشر من كتابه

(١)- رحمة الله الهندي : إظهار الحق ، ص ١٣٩ .
(٢) المصدر نفسه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وتروي كتب السيرة العطرة أن الرسّول - صلّى اللّه عليه وسلّم - رأى ورقة من التّوراة في يد عمر فأمره بإلقائها وألا يضيع وقته في قراءة ما بها من كذب وتحريف ثم قال :<< أَلَمْ آتِكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَاللّهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلاَّ إِتِّبَاعِي >>(١) . أي أن هذه التّوراة المزعومة مملوءة بالتّحريف والتغّيير وقد أنزل اللّه تعالى على الرّسول - صلّى اللّه عليه وسلّم - في القرآن الكريم ملخصا لما كانت تشتمل عليه من عقيدة وشريعة وقصص فأحياها في صورتها الصّحيحة نقية بيضاء وأن موسى -عليه السلام-لو بعث الآن لتبرأ من توراتهم واتبع قرآن محمد -صلى الله عليه وسلم->>(٢) . وهذا ما يوحي أن دين الله واحد ، كما قال الله تعالى :<< إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُو الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ >>(٣) .فلقد كانت الشرائع السماوية مكملة لبعضها البعض و كان الإسلام خاتم هذه الشرائع والمهيمن عليها ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن أهل الكتاب الذين عرفوا الحق من رسالات السماء يوقنون أن رسولا سيكون في الناس يعيدهم إلى نقاء العقيدة الإلهية ، وقد قال الله تعالى عنهم : << الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ >>(٤) .

(١)- رواه البخاري ومسلم .
(٢)- محمود بن شريف : الأديان في القرآن ، ص ١٢٠ نقلا عن عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام .
(٣)- آل عمران : ١٩ .
(٤) - الأعراف : ١٥٧ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا : عقيدة اليوم الآخر عند اليهود وموقف القرآن الكريم منها :

إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الدين السماوي ، لم تخل منه رسالة من الرسالات السماوية ، وفي صحف موسى كما ذكر القرآن الكريم إشارة إلى اليوم الآخر قال تعالى :<< أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (١) فمن جملة ما اشتملت عليه صحف موسى - التي هي التوراة - أن هناك يوما آخر يكون فيه الجزاء على الأعمال إما بالثواب أو بالعقاب . وهذه هي العقيدة ،التي بعث بها موسى -عليه السلام- وأمر بني إسرائيل بها غير أن أسفار اليهود خلت أوكادت من ذكر اليوم الآخر ، وقد قدم علماء مقارنة الأديان تعليلات مختلفة لهذا الأمر ، منها أن ديانة اليهود أقرب إلى المادية منها إلى الروحية ، وأن فساد الإيمان باليوم الآخر عند اليهود تابع لفساد الإيمان بالله (٢) .

فطغيان المادة على حياة اليهود - على حد قول رشيد رضا - كان سببا كافيا في غياب اليوم الآخر من أسفارهم ، كما أن فساد تصورهم في الألوهية أدى بالضرورة إلى فساد تصورهم عن اليوم الآخر . يقول محمود بن شريف :<< إن المتتبع للتوراة المتداولة والمستقرئ لآياتها والقارئ لأسفارهالا يكاد يجد فيها ذكرا للروح ولا للروحانية ولا لليوم الآخر وما يحفل به من جزاء ومثوبة فليس أدل على تحريفها من أنها خلت أوكادت من كل هذا ... وكأني بطبيعتهم المادية قد اتجهت بهم من حيث لا يشعرون إلى أن يكون التحريف ماديا دنيويا تنضح به طبيعة اليهود البعيدة عن الروحانية ، فلا عجب أن خلت توراتهم المصنوعة - أو كادت - من أية إشارةإلى الروحانية والإشراق والإيمان بالغيبيات مما يدور في الحياة الأخرى >>(٣) .

ولعل محمود بن شريف قد نقل هذا الرأي عن ابن حزم الذي يقول :<< والتوراة التي بأيدي اليهود ليس فيها ذكر مَا لِنعيم الآخِرَةِ أَصْلاً ،وَلاَ بجزاءِ بَعْدَ المَوْتِ البتة >>(٤)

(١)- النجم : ٣٦-٤١ .
(٢)- محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، ص ١٧٥ .
(٣)- محمود بن شريف : مصدر سابق ، ص ١٠٣ .
(٤)- ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق عبد الرحمن خليفة ، ١٣٤٧ هـ ، ج٢ ، ص ٨٦ .

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهو ما أثبته العقاد بقوله :<< وقد خلت الكتب الإسرائيلية من ذكر البعث واليوم الآخر >>(١) .

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم ، فإننا نجد أنه يصرح أن اليهود كان لهم شبه إيمان باليوم الآخر ، ولكن ليس على الصورة التي رسمتها التوراة ولكن على الصورة ،التيّ تتّفق مع طبيعة تصورهم الفاسد ، فلقد حكا عنهم القرآن الكريم قولهم :<< وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى >>(٢) . فهذا النص القرآني يفهم منه أن اليهود كان لهم إيمان بالجنة ، والجنة هي النعيم الأخروي ، وهو وقف على اليهود دون سواهم ، وكانت تلك نظرتهم الخاطئة إلى الجزاء الأخروي ، وتقابلها أيضا نظرة خاطئة للعقاب الأخروي ، وذلك في قولهم :<<وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً >>(٣) . فهذه النصوص القرآنية تؤكد أن الإيمان باليوم الآخر لم يكن غائبا عند اليهود ، على الأقل في الفترة ،التي بعث الله فيها موسى -عليه السلام- ، وأن غياب هذا الركن حدث في العصور اللاحقة .ومهما يكن من أمر ، فإن القرآن الكريم قد حدد موقفه من عقيدة إنكار اليوم الآخر ، أو فساد التصور عنها كمايلي :

١- لقد بيّن القرآن الكريم أن الجزاء الأخروي عقيدة ثابتة في صحف موسى ، التيّ هي التّوراة ، والتّي ورد فيها ذكر للثواب والعقاب،واليوم الآخر ،وهو ما يؤكد أن غيابها دليل على تحريف التّوراة .

٢- لقد أكدّ القرآن الكريم أن ادعاء اليهود محبة الله يخالف اعتقادهم في اليوم الآخر ، قال اللّه تعالى :<< قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ >>(٤) ، فالإيمان بالله يقابله الحرص على الجزاء الأخروي كعلامة لتجسيد هذه الولاية والمحبة وهو ما لم يكن حاضرا في أذهانهم .

(١) - العقاد : الله ، دار المعارف ، ص ١١٢ .
(٢) - البقرة : ١١١ .
(٣)- البقرة : ٨٠ .
(٤)- الجمعة : ٦ ، ٧ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا : - مظاهر التحريف في الشريعة عند اليهود وموقف القرآن الكريم منها :

كما وقع التحريف في العقيدة عند بني إسرائيل وقع التحريف كذلك في الشريعة التي بعث الله بها موسى - عليه السلام - غير أنه يلاحظ في هذه الشريعة كثير من الانحراف والتضارب ،والاختلاط في المسائل

أما انحرافها فيتمثل في قيامها على التفرقة العنصرية ، ذلك أنها تجعل اليهود شعب الله المختار، الذي اصطفاه الله وفضله على العالمين ، وتنظرإلى ماعداه من الشعوب نظرتها إلى شعوب وضيعة في سلم الإنسانية ، وتضع قوانينها ونظمها على هذا الأساس فتفرق بين هؤلاء وأولئك أمام القانون وفي كثير من شؤون الاجتماع ،فمن ذلك مثلا أن الإسرائيليين محرم عليهم أن يقتل بعضهم بعضا،وأن يخرج بعضهم بعضا من ديارهم ، في حين أنه مباح لهم بل واجب عليهم غزو الشعوب الأخرى ، وخاصة شعب كنعان ، وواجب عليهم بعد انتصارهم على بلد ما أن (يضربوا رقاب جميع رجالها البالغين بحد السيف) فلا يبقوا على أحد منهم ،ويسترقوا جميع نسائها وأطفالها ، ويستولوا على على جميع ما فيها من مال وعقار ومتاع ، وينهبوه نهبا حسب تعبير أسفارهم (١) ،ومن ذلك أن الإسرائيلي إذا باع نفسه بيعا اختياريا لأخيه في حالة عوزه وحاجته للمال فإن رقة يكون موقوتا بأجل يرجع بعده إلى حريته ، في حين أن الرق المضروب على غير الإسرائيلي يظل أبد الآبدين (٢) ومن ذلك أيضا أن الشريعة في أسفارها تبيح الربا لليهودي مع غير اليهودي وتحرمه على اليهود بعضهم مع بعض ، وقد جاء في سفر التثنية أنه ماكان يجوز للإسرائيلي أن يتعامل بالربا مع أخيه الإسرائيلي ، ولا أن يأخذ منه رهنا بدينه ، وإذا أخذ منه في الصباح رهنا من المتاع ،الذي لا يستغني عنه في حياته اليومية كالرحا وما إليها وجب أن يرده إليه في المساء . أما غير الإسرائيلي فمباح للإسرائيلي أن يمتصه ويتعامل معه بأشنع أنواع الربا الفاحش (٣) . بل أن أسفارهم تقرر أن شعب كنعان قد كتب عليه في الأزل أن يكون رقيقا لبني إسرائيل ،وأنه ينبغي أن يبعد أفراد هذا الشعب عن معترك الحياة ، وأن لا تكون له وظيفة غير خدمة شعب إسرائيل ،فإن أعلن العصيان لهذه الأوامر أو طمح إلى الحرية وجب على بني إسرائيل أن يردوهم إلى جادة الحق بحد السيف .

(١)- انظر الفقرة : ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، الإصحاح ٢٠ من سفر التثنية .
(٢)- الفقرة : ٣٩ ، الإصحاح ٢٥ من سفر اللاويين .
(٣)- سفر التثنية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هذه هي نظرة الشريعة اليهودية إلى بني إسرائيل وإلى الشعوب الأخرى وهي نظرة كمارأينا تنضح عنصرية وحقدا لبني الإنسان ،وقد فنّد القرآن الكريم زعم اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وذلك بكشف معارضتهم الصريحة للتوراة ، يقول الله تعالى :<< وَقَالَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ؟ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ >>(١) .

وعن العنصرية في طبيعة اليهود يقول السيّد رزق الطويل :<< العنصرية وهي قرينة التعصب في النظرة المحدودة ، والأفق الضيق الذي يعجز عن التنفس في أفق الإنسانية الرحب ، وهي تقوم على فكرة التميّز على " الغير " على أساس الجنس والعنصر ، وهي أبرز خلق في مجتمع اليهود ، وعلى أساسها قالوا : إننا شعب الله المختار ، وقالوا ما قالوا من دلال متبجّح على الله ، وبدافع من عنصريتهم استباحوا لأنفسهم اقتراف الجرائم في غير مجتمع اليهود << وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ، إِلَّا مَادُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ >>(٢) . ودعوى الحب التي يتبجح بها اليهود ،تتنافى مع موقفهم من الوحي الإلهي والسكوت على انتهاك محارم الله ،وهذا ما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه:<< لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ >>(٣) . والقرآن الكريم بعد أن يتحدث عن خيرية الأمة الخاتمة ،التي حملت دعوة الإسلام ، وعن العوامل التي استحقت بها الخيرية ،يعقب بأن أهل الكتاب لو أخذوا أنفسهم بهذه الأسس لاستحقوا الخيرية التي وصفت بها هذه الأمة ، يقول تعالى مبيّنا هذه الحقيقة :<< كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ المُؤْمِنُونَ ، وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ >>(٤)

(١)- المائدة : ١٨ .

(٢)- آل عمران : ٧٥ و انظر أيضا السيد رزق الطويل : بنو إسرائيل في القرآن ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١٣٢ .

(٣)- المائدة : ٧٨ ، ٧٩ .

(٤) - آل عمران : ١١٠ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويقول محمد رشيد رضا عند حديثه عن المقاصد العامّة للقرآن الكريم :<<أن الإسلام جاء لتحقيق الوحدة الإنسانية بالمساواة بين أجناس البشر ، وشعوبهم وقبائلهم ، والشاهد على ذلك قوله تعالى :<< يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ >> .(١) .

ويضيف :<< وقد بلغ النبي -صلى الله عليه وسلم - ذلك في حجة الوداع ، فتلا الآية ، وقال ما خلاصته : << أنه ليس لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود فضل -ولاالعكس - إلا بالتقوى من حديث العداء بن خالد في" المعجم الكبير "للطبراني . وهذه الوحدة الإنسانية تتضمن الدعوة إلى التآلف بالتعاون ، وإلى ترك التعادي بالتخالف (٢) . هذه هي نظرة القرآن الكريم إلى الإنسان والتي لا تعلن التمايزبين أجناسه ، بعامل الجنس أو العرق ، وإنما تخضع الناس جميعا إلى عامل التقوى الذي يستحقون به المفاضلة والخيرية فيمابينهم ، وهذا الأصل الجامع للوحدة الإنسانيةالتي قررّها القرآن الكريم يبطل زعم اليهود بأنهم شعب اللّه المختار ، وهو زعم ليس من تعاليم التوّراة الإلهية وإنما من ابتداع الكتبة الذيّن حرفوها .

ومن دلائل تحريف التوّراة أن أسفارها تفتقد إلى الوحدة فيما بينها ، ذلك أن أحكام أسفارها تتضارب بعضها مع بعض في كثير من المسائل ، فقد يقرر سفر ما حكما ويجيء سفر آخر فيقرر في الحادث نفسه حكما آخر . فمن ذلك مثلا أن سفري الخروج والتثنية يقرران أن الإسرائيلي الذي يبيع نفسه بيعا اختياريا لأخيه الإسرائيلي في حالة عوزه،وحاجته إلى المال لا يدوم رقه إلا ست سنوات ، على حين أن سفر اللاويّين يقرّر أن رقّه لا ينتهي إلا بحلول اليوبيل الإسرائيلي - وهو العيد الذي يجيء كل خمسين سنة - وهذا دليل آخر على أن أسفارهم من صنع أيديهم كما ذكر القرآن الكريم .وأن كل سفر يعكس التقاليد والنظم التي كانوا يسيرون عليها في العصر الذي ألفت فيه . فالخلاف الذي بين توراتهم والتوّراة الصّحيحة التّي أنزلها اللّه تعالى على موسى عليه السلام مسلم به عند أهل المقارنة بين الأديان ، فالكتاب الذي يكون من عند الله لا يمكن أن تتضارب آياته وأحكامه ، يقول اللّه تعالى بشأن القرآن الكريم دفعا لهذا الإضطراب والتّضارب عنه :<< أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا >> (٣) .

---

(١)- الحجرات : ١٣ وانظر أيضا محمد رشيد رضا : مصدر سابق ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .
(٢) - المصدر نفسه : ص ٢٥٩ .
(٣)- النساء : ٨٢ .

حملة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والشّريعة الرّبّانية كذلك لا تقر التفرقة العنصرية بين البشر ، وقد يقول قائل : إن التّوراة من عند اللّه فلمَ أجاز القرآن الكريم عليها التحريف والاختلاف الذي ورد في اللآية السابقة ؟ والجواب أن التوراة الأصلية لم تعرف هذا الإضطراب والإختلاف إلا بعد أن امتدّت إليها الأيادي البشرية ،التيّ بدّلت كثيرا إن لم نقل جلّ أصولها الربانية . فاللّه عهد حفظ التّوراة إلى بني إسرائيل ،الذيّن أنزلت فيهم فلم يرعوها حق رعايتها ، بعكس القرآن الكريم ،الذيّ تعهد اللّه بحفظه قال اللّه تعالى :<< إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ >>(١)

فالقارئ المتمعّن للعهد القديم لا يحتاج إلى جهد ليدرك في سهولة ويسر أن موسى - عليه السلام - لم يكتبها ، وإلا فلا يعقل أن يقول موسى عن نفسه في سفر التثّنية :<< فمات موسى عبد الربّ في أرض مؤاب ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم >>(٢) وقد ساق ابن حزم مبحثا من كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل جعل عنوانه :(فصل في متناقضات ظاهرة وأكاذيب واضحة في الكتاب ،الذي تسميه اليهود التوراة وفي سائر كتبهم) براهين عدة كانت على حد تعبيره أبين من فلق الصبح على صحة تبديل توّراتهم،وتحريفها ثم ساق بعد ذلك فصولا طوالا حول التّوراة المحرّفة ودعمها بالأدلة،والشواهد الكثيرة الدالة على التّحريف والتبديل اختتمها بقوله :<<هنا انتهى ما أخرجناه من توّراة اليهود وكتبهم من الكذب الظاهر والتناقضات اللائحة ،التي لا شك معه في أنها محرفة مبدلة مكذوبة ،وشريعة موضوعة مستعملة من أكابرهم ،ولم يبق بأيديهم شيء بعد هذا أصلا ،ولا بقي في فساد دينهم شبهة بوجه من الوجوه والحمد لله رب العالمين >>(٣).

وهناك في القرآن الكريم دليل آخر على التحريف ،الذي يشير إليه قوله تعالى :<< وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ >>(٤) . وهذا إقرار من الله -سبحانه وتعالى- بأن التّوراة ،التّي وضعهابنو إسرائيل في تابوت العهد عند حربهم مع الفلسطينيين،وهزيمتهم قرب غزة أيام نبيّهم وحاكمهم "صموئيل" ، لم تكن هذه التّوراة كاملة بشهادة القرآن الكريم فقد عبّر عنها بـ(بقية ممّا ترك آل موسى وآل هارون) إذن

(١)- الحجر : ٩ .
(٢)- سفر التثنية : الإصحاح ٣٤ ، فقرة ٥ .
(٣) - ابن حزم : الفصل في االملل والأهواء والنحل ، ط صبيح ، ج١ ، ص٩٣ .
(٤) - البقرة : ٢٤٨ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بقيةٌ منها،وليست التّوراة الكاملة خلافا لما جاء في حاشية الجمل على الجلالين عند تفسيرقوله تعالى (فيه سكينة من ربكم) قال : أي مودع فيه ما تسكنون إليه وهو التوراة وكان موسى-عليه السلام - إذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون (١) .(وتابوت العهد هو التّابوت الذّي وضع الإسرائيليون فيه تَوراتهم وأخذوه معهم في هذه الحروب ،التيّ كانت بينهم وبين الفلسطينيين- قرب غزة - وفي أواسط المائة الرابعة قبل الميلاد ، وضعوا التّوراة في التّابوت ،وأخذوا التّابوت معهم في هذه الحرب ،لتنالهم بركة التّوراة فيتحقّق لهم النصر ، وكانت هزيمة الإسرائيليين في هذه الحرب هزيمة منكرة على يد الفلسطينيين،الذّين استولوا منهم على التّابوت).(٢) .

يقول الإمام محمد عبده :<< إنهم كانوا يستنصرون بهذا التّابوت فإذاضعفوا في القتال وجيء به، وقدموه تثوب إليهم شجاعتهم وينصرهم اللّه تعالى ، أي ينصرهم بتلك الشجاعة ،التّي تتجدّد لهم بإحضار التّابوت ،لا بالتّابوت نفسه ،ولذلك غلبوا على التّابوت فأخذ منهم عندما ضعف يقينهم وفسدت أخلاقهم فلم يغن عنهم التّابوت شيئا ،وكان حاكمهم آنذاك هو "صموئيل " النبي>>(٣) .

---

(١) -حاشية الجمل على تفسير الجلالين : ج١ ، ص ٢٠٢ .
(٢) - محمود بن شريف : المصدر السابق ، ص ١٢٤ .
(٣)- تفسير المنار : ج٢ ، ص ٤٨٤ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع :

القرآن الكريم ونقد الجانب الأخلاقي في اليهودية :

لقد عرض القرآن الكريم كثيرا من أخلاقيات اليهود وأعقبها بالنّقد العنيف ، وسوف أحاول أن أعرض بعض هذه الأخلاقيات التيّ تترجم النفسّية الخبيثة لليهود ،وعنادهم للحق ومناهضتهم لتعاليم السّماء ، كما أحاول أن أحدّد الملامح الخلقية والسّلوكية لمجتمع بني إسرائيل مع اللهّ رب العالمين ، وخالق الوجود ،ومع الأنبياء حملة رسالة السّماء ،ودعاة الخير والهداية في دنيا الناس ، ومع النّاس عموما في داخل مجتمع إسرائيل أو خارجه .

-أولا : **بنو إسرائيل وعلاقتهم بالله :**

علاقة أي إنسان بربه تتضح على أساسها قضية الإيمان والعقيدة ، ومقياس هذه العلاقة هو العبادة بصورها المختلفة . والعبادة كما يقول علماء العقيدة هي مزاج الصّفات الوجدانية ،الفطرية المختلفة – وتتوقف صحة هذه العبادة على عامل الإخلاص ، فإذا توفّر الإخلاص للهّ في العبادة صحّت ، وقويت تبعا لذلك علاقة الإنسان بربه ،وإذا غاب عامل الإخلاص للهّ من العبادة وانحرفت بها الأهواء ، فسدت العلاقة ،وضلتّ بالإنسان السّبل . وقد عز بنو إسرائيل في ظلال الرابطة القوية ،والعبادة الخالصة ،وقد ذلوا باالأهواء وإيثار ما عند النّاس على ما عند اللّه . وملامح الانحراف في علاقة بني إسرائيل باللهّ ذات طابع غريب ومثير وفيها ظواهر لم تعرف إلا في مجتمع بني إسرائيل . وقد سجل القرآن الكريم ذلك تسجيلا محكما ودقيقا.

١- الغفلة عن الله : وهي آفة العقيدة عند كل أمة وفي أي ملة ،وغفلة بني إسرائيل تتبعها مظاهر صارخة هوت بعلاقتهم إلى الحضيض منها الرغبة في عبادة الأصنام ، واتخاذها شفعاء عند الله ، والعجيب أن ذلك كان منهم بعد لحظات من آية النصر والخلاص . يقول الله تعالى :<< وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ، فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا : يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، قَالَ : أَغَيْرَ اللَّهِ

أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى العَالَمِينَ >>(١) ؛ وهكذا في هذا الموقف المثير نسوا خالقهم حيث يجب أن يذكروه . ومنها عبادة العجل ، أعني السامري ، واتخاذهم إياه ملهاة غفلوا بها عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، وكانت هذه الغفلة منهم بعد آية الإنقاذ . والمشهد مفصل في الآيات من سورة طه ، فموسى -عليه السلام - وقد عجل عن قومه ، ليدرك ميقاته مع ربه يخبره ربه بضلال قومه عن الدين الحق ، وإفساد السامري لعقيدتهم . والقصد من هذه الالتفاتة القرآنية لما كانت عليه علاقة اليهود بالله سبحانه وتعالى هو تأكيد حقيقة وهي أن الذي لا يثبت على عقيدته ، وينجرمع كل هوى ، وينساق وراء كل دعوة إلى الانحراف ليس جديرا بأن ينسب نفسه إلى الله ولا أن يدعي أن الله فضله على العالمين ، فالإنسان الرباني لا يعرف الغفلة عن الله . والرسالة السماوية لا تعرف الأهواء ولا عبادة الأصنام ، وبهذه الطريقة هدم القرآن الكريم أسس الأخلاق عند بني إسرائيل بفساد علاقتهم مع الله سبحانه وتعالى .

٢- وصفهم الله بالبخل : لقد عرف اليهود كما كشف الله عن نفسيتهم في القرآن الكريم ذوي جرأة على الله سبحانه وتعالى ، ومن هذه الجرأة وصفهم الله سبحانه وتعالى بالبخل وهو ما سجله القرآن الكريم ، قال تعالى :<< وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ،وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ،بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ، يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ،وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْراً >>(٢) . يذكر القرطبي في تفسيره أن قائل هذا الكلام جماعة من اليهود المعاصرين للرسول -صلى الله عليه وسلم - ، وكانت لهم أموال كثيرة ، فلما كفروا برسالة الإسلام قل مالهم (٣) . وأيا كان القائلون فوصف الله بالبخل قضية تتنافى ووقار الإيمان وأدب العبودية ، وهذه القضية تترجم لنا نفسية بني إسرائيل ،التي تذكر النعمة وتنسى المنعم ، والحق أن بني إسرائيل لو كانوا يحترمون الوحي الإلهي ، وهو التوراة التي أنزلها الله إليهم عرفوا أن الله تعالى أغدق عليهم من النعم مالم يؤت أحدا من العالمين ، ولكن تناسي ذلك كله دفعهم إلى أن يرموا الله سبحانه وتعالى بالبخل ، وهو ما ألفتت الآية الكريمة أنظارهم إليه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(١)- يونس : ٩٠ ، ٩١ .
(٢) - المائدة : ٦٤ .
(٣)- انظر القرطبي : تفسير هذه الآية من سورة المائدة .

٣- الغلو في الدين : ومن أخلاق اليهود التي عارضها القرآن الكريم مسألة الغلو في الدين ، ولم يعرف التاريخ أهل ملة أو نحلة بلغوا من الغلو في الدين ما بلغه اليهود ، ومن مظار غلوهم قولهم ببنوة عزير لله -سبحانه وتعالى - وقد نهاهم القرآن عن الغلو ، قال تعالى :<< يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ >>(١) ومن مظاهر غلوهم كذلك اعتقادهم أن المسيح ابن الله . والغلوّ في الدّين لا يتماشى والفطرة الإنسانية وعقيدة التوّحيد ،التيّ لا تجيز لأحد من البشر حق البنوة للّه تعالى ، وهذا الغلّو في الدّين هو مظهر آخر من مظاهر التحّريف والشطط العقائدي ، إذ الدين السّماوي من خصائصه البعد عن الغلو .

٤-غرقهم في الأماني : من أخلاق اليهود ،التيّ كشف عنها القرآن الكريم غلوّهم في الأماني ،التي تعني الاستنامة والإخلاد إلى متاع الحياة ، والأمل اللاهي . وقد أوغل بنو إسرائيل في هذا الجانب أيما إيغال . يقول الله تعالى بشأنهم :<< وَمِنْهُمْ أُمِيُّونَ لاَ يَعْلَمُونُ الكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَ ،وِإنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ >>(٢) . فالكتاب السماوي عند اليهود ليس منهاجا للعمل أو السلوك ، وقيادة الحياة،وإنما هو وسيلة مظهرية لتحقيق آمال باطلة . ومن أماني اليهود الباطلة قولهم :<< لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً ، قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَه ، أَمْ تقولُونَ عَلَى اللّهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ ؟ بلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ >>(٣) ،فقد بين الله سبحانه وتعالى أن دخول الجنة مرهون بالعمل ،الذي يقدمه الإنسان ، وليس منحة إلهية ، توهب على سبيل المحاباة أو تتحقق بالأماني الباطلة . وهذا منتهى العدل الإلهي أن يأخذ كل إنسان بما قدمت يداه .

٥- المراء وكثرة السؤال : من أبرز دلائل العقيدة الصّحيحة في اللّه أن يأخذ المرء مايأتيه من ربه بقوة حازمة ، وعزيمة ماضية ، وبغير تباطؤ في التنفيذ .والإكثار من الجدل من أجل الجدل آية من آيات خفوت حرارة العقيدة ، وضعف سلطان الإيمان وهكذا كان شأن اليهود مع الرّسالات السّماوية ، حيث أكثروا الجدال والمراء فيها ، يقول اللّه تعالى :<< وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ العِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ .وِإذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وِاسْمَعُوا قَالُوا : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ،

---

(١) - النساء : ١٧١ .
(٢)- البقرة : ٧٨ .
(٣) البقرة : ٨٠ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِم ، بِئْسَ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ >>(١).فقد بينت الآية الكريمة أن كثرة السؤال والمراء انتهت ببني إسرائيل إلى العصيان والخروج على المواثيق ،التي ألزموا بها أنفسهم أمام الله سبحانه وتعالى . ويستمر الجدال عند بني إسرائيل حتى حول القضايا .التي لا تحتاج إلى كثير بيان ، ومن ذلك ما ذكره القرآن الكريم عن اختلافهم بشأن المقتول من بني إسرائيل .الذي لم يعرفوا قاتله فطلب منهم موسى أن يذبحوا بقرة إلا أن طبع المراء المتحكم في أنفسهم دفعهم إلى الإفراط في التساؤل ، فسألوا موسى -عليه السلام -عن البقرة ولونها إلى غير ذلك من الأسئلة التي لا حاجة ملحة إليها ،وقد سجل القرآن الكريم هذه الحادثة وموقف بني إسرائيل المتردد بشأنها فقال :<<وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ :إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ، قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ؟قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ ، قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ، فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ، قَالُوا : ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا ؟ قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ، قَالُوا : ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ، قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ : إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا ، قَالُوا : الآنَ جِئْتَ بِالحَقِّ ، فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ >>(٢) . وهذه المسألة التي كانت خلقا لبني إسرائيل حذر القرآن الكريم منها ، إذ يقول تعالى :<<يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ، وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ القُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ، قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ >>(٣). ويقول رشيد رضا :<< وقد امتثل سلفنا للأمر ،فلم يشددوا على أنفسهم ، فكان الدين عندهم فطريا ساذجا ، وحنيفيا سمحا ولكن من خلفنا من عمد إلى ما نهى الله عنه ، فاستخرج له أحكاما استنبطها باجتهاده ،وأكثروافيها حتى صار الدين حملا ثقيلا على الأمة فسئمته وملته ، وألقته وتخلت >>(٤)

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(١) - البقرة : ٩٢ ، ٩٣ .
(٢)- البقرة : ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ .
(٣) - المائدة : ١٠١ ، ١٠٢ .
(٤) - محمد رشيد رضا : تفسير المنار ج ١ ، ط١

ثانيا : **بنو إسرائيل مع الأنبياء ودين السماء عموما**

الخلق الإسرائيلي الذي حددت أبعاده ،وعرضت مظاهره في علاقة بني إسرئيل بالله ، يسير في نفس الخط مع انحراف أكثر ، وشطط أبعد في علاقتهم مع الأنبياء ، وموقفهم من النبوة عموما .

إذا كانت لبني إسرائيل الجرأة على اللّه ، فإن جرأتهم على أنبيائهم كانت أشد وأقوى . وقد تمثلت هذه الجرأة فى مظاهر شتى، من إيذاء الأنبياء وقتلهم أو التحريض على قتلهم ، وعن قتلهم الأنبياء تحدث القرآن الكريم عنه في أكثر من موضع من ذلك قوله تعالى :<< ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَيَقْتُلُونَ النَبِيئِينَ بِغَيْرِ الحَقِّ >>(١) . وفي موطن آخر يصفهم الله تعالى بهذه الصفة الآثمة ويضيف إليها أن بغيهم تجاوز الأنبياء إلى كل ذي صلاح أو داعي إصلاح في الناس :<< إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ، ويقتلون النَّبِيئِينَ بِغَيْرِ الحَقِّ ، وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ،فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ >>(٢) . وهكذا كل ذي عدالة في مجتمع بني إسرائيل يلقى المصير نفسه . وفي موطن رابع يذكر القرآن الكريم لهم هذه الآفة الآثمة بين عدة صفات باغية ، يقول تعالى :<< فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ، بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً >>(٣) . ومما سبق ذكره يمكننا أن نقول :إن بني إسرائيل الذين يزعمون أن الله فضلهم على العالمين ، وأنهم أصحاب كتاب سماوي ، لا يعرفون للكتاب قدسية ، ولا يفقهون للنبوة معنى ، وقد أراد القرآن الكريم من خلال التعرض لبعض صفاتهم ، التي تحدثنا عنها أن يفهمهم أن الصفات تتنافى مع أخلاق الربانيين و(أهل الكتاب) ، وهومايفهم منه أن بني إسرائيل لم يمتثلوا لتعاليم التوراة التي لا تأمر يقينا بقتل الأنبياء والإساءة إلى أهل الدعوة والصلاح .

ثالثا : **المسيح وبنو إسرائيل** : لقد أرسل الله تعالى المسيح عيسى بن مريم إلى بني إسرائيل . ليصلح ما أفسدوه من دين الأنبيا ،وليرجعهم إلى العقيدة الإلهية الصحيحة ، ويصلح أخلاقهم التي تمردت

---

(١) - البقرة : ٦١ .
(٢)- آل عمران : ٢١ .
(٣) - النساء : ١٥٥ .

على كل الأعراف ، وقوانين الفطرة ، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة : << وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ إِنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ، فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ، إِنَّ فِي هَذَا لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ، وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ >>(١). فلقد جاء المسيح رسولا إلى بني إسرائيل ومعه هذه الخوارق التي ألفها مجتمعهم أسلوبا في الإقناع . وجاءت رسالته إمتدادا لرسالات الرّسل من قبله ، والكلّ يسير على نهج التّوحيد . وكان موقف بني إسرائيل من رسالة المسيح ينحصر في أمرين اثنين على طرفي نقيض :

<u>الأمر الأول</u> : آمن بعضهم برسالته إيمانا انحرف بهم إلى الغلوّ ، وتجريد المسيح من بشريته ، يقول اللهَ تعالى في هذا الشأن : << لَقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ المَسِيحُ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ >>(٢). فهنا يتبرأ المسيح من غلو بني إسرائيل ويحذر من مغبّة الشّرك ، ويدعو إلى عبودية اللّه وحده ، وفي آية أخرى يؤكد الله تعالى بشرية المسيح وأن أمه كانت صدّيقة وأنهما كانا يأكلان الطّعام وهي خاصية من خصائص البشرية ، يقول اللّه تعالى : << مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ >>(٣) وظاهرة الغلو في عبادة المسيح عند بني إسرائيل لم تظهر من أول الأمر بهذه الصورة المنحرفة عن هدي العقيدة الصحيحة ، وإنما كانت أولا مجرّد إيمان صادق ، وانتصار له من القلّة التّي اتبّعت عيسى ، واستجابت لدعوته ، يقول الله تعالى : << فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ قَالَ : مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ الحَوَارِيُّونَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ ، وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ >>(٤)

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(١)- آل عمران : ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ .
(٢)- المائدة : ٧٢ .
(٣)- المائدة : ٧٥ .
(٤) - آل عمران : ٥٢ .

ولم يكن إيمان الحواريين بهذه الصّورة غلوًّا ، وإنما كان إعتدالا ، واستقامة على الطريقة ، ثم بدأ الغلوّ في بني إسرائيل فيما بعد ، وينسبه القرآن الكريم للنصّارى يقول اللّه تعالى : << وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ >> (١) . وهم أبناء النّاصرة الذين كانوا أول من استقبل دعوة المسيح (٢) . وهذا الغلو أيضا لم يكن في الرعيل الأول ، وإنما ظهر في الأجيال التالية . ولا تناقض بين غلو بني إسرائلي وغلو النصارى وخلاصة موقف الطائفة الأولى ، أنها آمنت بدعوة المسيح وقد شاب هذا الإيمان غلو كما أسلفت .

الأمر الثاني : وهو أمر الذين كفروا بالمسيح من بني إسرائيل حيث بدأوا بالإعراض عنه ، والشكّ والتشّكيك في رسالته ، يقول اللّه تعالى : << وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ، مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ >> (٣) .

عرض لهم أسس دعوته ، وأنها استمرار لهدى السمّاء ، ففيها تأكيد لما سبق ، وتبشير بما يلحق وكان الجواب تشكيكا واتهاما ، ووصفا لهدي السمّاء بأفك البشر . وانتهى أمر من كفر منهم إلى التدّبير لقتله ، وأبطل اللّه تدبيرهم كما أسلفنا ، فأصابوا الشّبيه ، ومن عجيب الأمر أنهم تباهوا بما صنعوا : << وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا قَتَلُوهُ ، وَمَا صَلَبُوهُ ، وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ >> (٤) .

وكان ما فعلوا من إثم عدوه مفخرة لهم ، وما فعلوا إلاخطةّ دبروها ، وأحكموا نسجها فأرادوا عيسى ، وأراد اللّه غيره ، << وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ >> (٥) .

---

(١) - التوبة : ٣٠ .
(٢) - السيد رزق الطويل : بنو إسرائيل في القرآن ، ص ١٠٧ .
(٣) الصف : ٦ .
(٤) - النساء : ١٥٧ .
(٥) - الأنفال : ٣٠ .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويحدث الله نبيه عيسى – عليه السلام – عن هذه المنة ، منة النجاة من كيد بني إسرائيل فيقول الله تعالى :<< وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ >> (١) . فالذين وصفوا رسالة عيسى بالسحر هم الذين لجوا في البغي حتى دبروا أمر القتل .

رابعا : **موقف القرآن الكريم من بني إسرائيل** : يتحدث موقف القرآن الكريم ،الذي جاء به محمد –عليه الصلاة والسلام – من بني إسرائيل في عدة نقاط نوجزها فيما يلي :

١- القرآن حجة على بني إسرائيل : لقد بين الله – سبحانه وتعالى أن القرآن،الذي أنزله الله على محمد – صلى الله عليه وسلم – هو حجة على جميع الناس بما فيهم أهل الكتاب ، وذلك لاعتبارات كثيرة .

أ- أن القرآن الكريم جاء من الله رسالة إلهية إلى الإنسانية كلها ، فقد كلف الله رسوله محمدا بتبليغ هذا الوحي ، فقال سبحانه :<< يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ >> (٢) . وهذا التبليغ يكون لكل الناس : << قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا >> (٣) . وحيث أن القرآن الكريم معجزة محمد – صلى الله عليه وسلم – ،التي هي رسالته إلى كل الناس ، كان هذا القرآن رسالة موجهة لكل الناس ملزمين به معجزة وملزمين به عملا ، أما التوراة فكانت كتابا لبني إسرائيل؛ لأن رسالة موسى – عليه السلام – كانت خاصة ببني إسرائيل ولم تكن رسالة عامة، ولا عالمية ، وهذا ما نص عليه القرآن الكريم في قوله تعالى :<< وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ >> (٤) .

والتوراة كانت كتابا خاصا ببني إسرائيل قال سبحانه تعالى :<< وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

(١) المائدة: ١١٠ .
(٢)المائدة : ٦٧ .
(٣) الأعراف : ١٥٨ .
(٤) الصف : ٥ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ >> (١) ، ولقد أفرط بنوا إسرائيل في تطبيق هذا المعنى حتى أنهم كانوا يمنعون غير اليهودي من الإنضمام إليهم والإنخراط في دينهم وعبادتهم للإله الذي يعبده بنوا إسرائيل ، وقد نصت التوراة على هذا التخصيص فقالت : << لا يدخل عموني ولا موأبي في جماعة الرّب حتى الجيل العاشر ، ولا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد >> والإنجيل أيضا كان رسالة خاصة لبني إسرائيل.

٢- اليهود بعيدون عن ملة إبراهيم : زعم بنو إسرائيل واليهود منهم بصفة خاصة أنهم أولى النّاس بإبراهيم ، وفي هذا تعبير عن النّزعة العنصرية الكامنة فيهم من ناحية ، واختلال الموازين التي يوزن بها الرّجال ، إذ زعموا أن الحسب والنسب يكفي لتحقيق النسبة لأحد ، والقرآن الكريم يوضح القضية ، ويجلي الحقيقة في أمر هذه المحاجّة : << يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ، وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ؟ هَا أَنْتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا ، وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ، وَهَذَا النَّبِيءُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ >>(٢) على هذا النحو جادل القرآن الكريم أهل الكتاب . فإبراهيم بإيمانه بالله ،وعقيدته النقيّة لا ينسب دينه إلى ذاته أو مكان ،أو معنى ، وإنما دينه الإسلام ، الذي هو الملة الحنيفية السمحة ،التي ارتضاها الله لعباده فلا حق لأهل الكتاب في المحاجة بإبراهيم ، ومحاولة نسبته لهم ،إذ التوراة والإنجيل أنزلتا بعده ، وكيف ينسب المتقدم للمتأخر ؟.

لقد قرر القرآن الكريم أن أولى الناس بإبراهيم هم الذين اتبّعوا ملّته الحنيفية ،التي هي الإسلام ، قال الله تعالى : << مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ >>(٣) .

وبهذا أوضح القرآن الكريم أن إبراهيم مبدأ وقيمة ، والمبدأ والقيمة فيه ليسا نابعين من شخصه ،وإنما من حرصه على دين ربه ، وإذا كان الانتساب لإبراهيم يهم أهل الكتاب فأولى النّاس به من استقام على نهجه

(١) الإسراء : ٢ .
(٢) آل عمران : ٦٥ ـ ٦٨ .
(٣) الحج : ٧٨ .

كالنبيّ -صلىّ اللّه عليه وسلمّ- وأصحابه . وفي سورة البقرة تقريع لهم على ذلك الفهم الخاطىء في قضية المحاجةّ ، وتصحيح لما زعموه قال تعالى :<< أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ؟ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ؟ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ >>(١) .

٣- اليهود أشد الناس عداوة للإسلام : لقد قررّ القرآن الكريم أن اليهود هم أشد الناّس عداوة للإسلام ، فلقد عارضوا القرآ ن الكريم منذ نزوله ، وبادروا إلى تكذيب الرسّول -صلىّ اللّه عليه وسلمّ- يقول تعالى :<< لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا >>(٢) . وكما عاندوا الإسلام فلقد تعاونوا مع المشركين والمنافقين إلى أبعد الحدود ، إ ذ جمعهم الهدف الواحد ، وهو الكيد للإسلام ، يقول تعالى :<< أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ، وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ، وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ >>(٣) ونتأمل كلمة "إخوانهم" في الآية فندرك مدى الترابط الوثيق بين عناصر الفساد في مجتمع المدينة ، ومن أجل تلاقيهما على سيء الأهداف يجمعهما القرآن الكريم في سياق واحد .

٤- تلبيس الحقائق أخص صفات اليهود : لقد حكم القرآن الكريم بكفر أهل الكتاب ، وذلك لإدعاءاتهم الباطلة التيّ جعلت من اللهّ عاجزا ولاهيا إلى غير ذلك من الأوصاف التيّ ألصقوها بالذات الإلهية والتي رمت الأنبياء بأخس الصفات ، والكفر هو حجب الحقائق ، وسترها بالجحود و الإنكار ولقد كانت هذه الصفّة شائعة عند بني إسرائيل ، فلقد كانوا يعلمون الحقّ ، وحقيقة دين اللهّ القائم على التوّحيد ولكنهم أصروّا على الكفر ، يقول اللهّ تعالى :<< يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ >> (٤) وقال تعالى :<< يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ >>(٥) وتشويه الحقّ وكتمانه ممن يعلم أبعاده فرية أخرى :<< قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ >>(٦) فهذا تذكير لهم بمراقبة اللهّ ، لتستيقظ ضمائرهم الغافلة .<< قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ

---

(١) البقرة : ١٤٠ .
(٢) المائدة : ٨٢ .
(٣) الحشر : ١١ .
(٤) آل عمران : ٧٠ .
(٥) آل عمران : ٧١ .
(٦) آل عمران : ٩٨ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ >>(١) فهم يصدّون النّاس عن الحقائق ، ويتعمّدون تشويهها ، مع أنهمّ يشهدونها . هذا هو موقف الإسلام من بني إسرائيل ، ومع كلّ الكيد، والكفر، و العناد، الذيّ سجّله عليهم فقد أنصفهم في مواطن كثيرة ، ولم يمنع المسلمين من البرّ بهم إذا كانوا مسالمين غير محاربين ، وهذا يدلّ على سماحة الإسلام مع أهل الكتاب ، ومع المخالفين في العقيدة ، وهو ما يمثل الجانب الإنساني في الإسلام ؛ فالإسلام لا يجعل اختلاف العقيدة،أو اختلاف الجنس مبرّرا لعداء الناس كما هو الشأن في اليهّودية ، بل إنه يقيم علاقته مع أهل الأديان الأخرى على أساس قاعدة حسن الجوار والإحسان ، ودعوتهم إلى الرجّوع إلى جادة الحقّ ، يقول اللّه تعالى :<< قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ >>(٢) .

أما علاقة اليهود بالنّاس من غير جنسهم فقد تعرّضت لها في سياق الحديث عن الشّريعة في أسفار اليهود ، وبينّت أن العنصرية هي مفتاح علاقتهم الإجتماعية ، وإلى جانب العنصرية هناك الحقد، والحسد والظلم ، التيّ تمثل عنوان الخلق الاجتماعي عند اليهود .

(١) آل عمران : ٩٩ .
(٢) آل عمران ٦٤ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الخامس :

خصائص المنهج القرآني في نقد اليهودية

هاجر النبيّ - صلّى اللّه عليه وسلّم - إلى المدينة ،ليبني قواعد المجتمع الإسلامي الجديد فواجه اليهود من أهل الكتاب هناك ، ولم يحاول في البداية أن يصطدم بهم ، لأنه لم يرد إثارة صراع معهم هو في غنى عنه في تلك الفترة ، ففتح منافذ التّعايش السّلمي بين اليهود والمسلمين ، وبدأ باتّخاذ موقف منهم ، في غاية الحكمة ، بأن عقد معهم معاهدة حسن الجوار ، تنبني على قاعدة متينة من مواطن اللقاءات الكثيرة ، ومد جسور الحوار في القضايا الخلافية بعيدا عن العصبية والسلبية التي لا توصل إلى الحقيقة ، وقد يكون من المهم أن نشير إلى أن قيمة هذه المعاهدة ، التيّ تعد من أعظم الوثائق الإسلامية للعلاقات بين الأديان ، لندرك أن الإسلام إتخذ من الحوار الهادئ أسلوبا لمناقشة أهل الأديان الأخرى ، وقبل أن أستعرض هذه الوثيقة ، كمدخل لفهم طبيعة علاقات الصراع الواقعية بين الإسلام وبين أهل الكتاب من اليهود ، لابد من التأكيد على قضية مهمة ، وهي أن هذه المعاهدة لم تكن معاهدة مستقلة بين النبي وبين أهل الكتاب ، بل كانت منسجمة مع الأجواء العامة التي تحكم علاقة المؤمنين مع بعضهم البعض ، فهي جزء من هذه العلاقة ، مما يوحي بأن النبي أراد أن يجعل من المجتمع المدني وحدة قائمة بين جميع فئاته ، سواء في ذلك المهاجرين والأنصار من المؤمنين ، وأهل الكتاب من اليهود على اختلاف قبائلهم وطوائفهم على التقارب العقائدي القائم بينهم .

ومن ثم فإننا نستطيع تقرير فكرة أن الإسلام لم يكن ليخطط لأية مشاريع حربية أو عدائية ضد أهل الكتاب من اليهود ، بل كانت القضية على العكس من ذلك - توحي بمشاريع سلمية طويلة الأمد في إطار التّعايش السّلمي بين الأديان الذي يبدو أن الإسلام كان يعمل له ، والآن نحن مع هذه المعاهدة - الوثيقة ، كما وردت في رواية ابن هشام ، في كتاب السيرة النبّوية .

" قال ابن اسحاق " : وكتب رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلمّ - كتابا بين المهاجرين الأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم ، واشترط عليهم .

حجمة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم ، (١) يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم (٢) ، بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم (٣) ، الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النبيت على ربعتهم يتعالقون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .ثم تمضي المعاهدة في بيان علاقة المؤمنين من المجاهدين والأنصار في المجتمع المدني باليهود ، قال ابن اسحاق :<<وإنه من تبعنا من موالي يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوبخ إلا نفسه وأهل بيته ، وأن ليهود بني النجّار مثل ما ليهود بني عوف ، وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف ، وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف (٤) .وكان من الممكن لهذه المعاهدة أن تدوم وتوفر الجو اللائق للتّعايش الديني السّلمي ، لكن اليهود خرجوا على هذه المعاهدة ، ومضوا يعدون العدة لمناهضة الرسالة الخاتمة ، ومن ثم بدأ الصّراع بين المسلمين واليهود ، من خلال محاولة اليهود إثارة القضايا التي توجد جوا من التساؤلات المغرضة ، عن الرّسالة والرّسول ، وقد سجّل القرآن الكريم هذه القضايا التي أثارها اليهود وتنوّعت مع ذلك أساليبه في إبطال الدعاوى المغرضة، والظّنون الواهية ، ويمكن من خلال طبيعة الصراع الذي فتحه القرآن الكريم مع اليهود بشأن العقيدة الإلهية والنبوة أن نستنبط خصائص المنهج القرآني في نقد اليهودية ، والتي نوجزها فيما يلي :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(١) << على ربعتهم>> قال ابن هشام في السيرة النبوية ج ٢ ،ص ١١٩ : على ربعتهم : قال أبوذر : الربعة و الرباعة : الحال التي جاء الإسلام وهم عليها ، و يقال : فلان يقوم برباعة أهله إذا كان يقوم بأمرهم و شأنهم ، و قال السهيلي : قال أبو عبيد : يقال فلان على رباعة قومه إذا كان نقيبهم ووافدهم قلت : وكسر الراء في هو القياس على هذا المعنى ، لأنها ولاية و إن جعل الرباعة مصدرا فالقياس فتح الراء أي : عاى شأنهم و عادتهم من أحكام الديات والدماء .

(٢) العاني : الأسير .

(٣) معاقلهم : جمع معقلة ،من العقل وهو الدية .

(٤) سيرة ابن هشام تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع ج ٢ ص ١١٩ الى ١٢٢ .

المنهج القرآني في نقد اليهودية ، والتي نوجزها فيما يلي :

- **الخاصية الأولى : الإستدلال بوحدة الدين السّماوي** : لقد أبان القرآن الكريم في معرض نقده لعقائد أهل الكتاب ومنهم اليهود أن الدّين السّماوي واحد في طبيعته ، وخصائصه وأن هذا الدّين الذي تنتمي إليه التّوراة والإنجيل ينطلق من فكرة وعقيدة واحدة هي عقيدة التّوحيد ، المبرّأة من التّثليث والتّجسيد ، والتي تؤمن بالله الواحد ، ومن هذه العقيدة ينطلق القرآن الكريم في نقد اليهودية وإبطال العقائد اليهودية ، يقول الله تعالى مبيّنا الخطوط العريضة لهذه القاعدة :<< وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إلاّ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاّ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ >>(١) . ويقول الله تعالى :<< قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيئُونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ >>(٢) .وإنطلاقا من هذه الآية يمكن أن نقول : إنّ القرآن الكريم بالإشارة إلى وحدة الدين السّماوي والعقيدة الإلهية قد أبطل زعم اليهود بأن عزير ابن الله ، فهذه العقيدة اليهودية تتعارض مع دعوة التّوحيد التي بعث بها موسى – عليه السّلام – كسائر أنبياء اللّه ، ولهذا يدعو القرآن الكريم أهل الكتاب إلى الرجوع إلى مواطن اللقاء بين الرسالات السماوية ليحكموا بأنفسهم على فساد عقيدتهم ، يقول الله تعالى في هذا الشأن :<<قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ >> (٣) . ولكن التنبيه إلى وحدة العقيدة الإلهية ، ومجادلة أهل الكتاب في ذلك لا يكون إلاّ بالتي هي أحسن ، والجدال بالتي هي أحسن يعني الحوار الهادىء البعيد عن الإثارة العاطفية التيّ لا تغني من الحق شيئا ، كما أنها تعني الإقرار بالحق ، ولهذا استثنى القرآن الكريم بعض طوائف أهل الكتاب لأنهّم ينطلقون في الحوار من خلفية عدوانية لا من خلال الرغبة في المعرفة والوصول إلى الحق ، بل يحاولون أن يحيطوا فكرتهم بالشّغب والبلبلة التي لا تغني من الحق شيئا ولا نوصل إلى نتيجة في الحوار يقول اللّه تعالى :<< وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إلاّ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاّ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ

---

(١) العنكبوت : ٤٦ .
(٢) البقرة : ١٣٦ .
(٣)آل عمران : ٦٣

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الخاصية الثانية : الإستدلال النقلي أو الإستدلال بالتوراة :

من الأساليب العملية التي لجأ إليها القرآن الكريم في إبطال العقائد الإلهية هو الإستدلال بالتوّراة ، ذلك أن التوّراة الإلهية قد سجلت الأصول الصحيحة للعقيدة اليهودية ، والتيّ تتنافى مع ما ذكره اليهود في أسفارهم ، وهكذا يواجه القرآن الكريم اليهود فيما يثيرونه من القضايا،و بموقف في غاية اليسر وهو أن يأتوا بالتوراة ويقدموها للناس ، لتكون التوّراة هي الحكم باعتبارها الحجّة المشتركة على الطرفيّن المسلمين واليهود يقول اللهّ تعالى :<< كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةَ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ >> (١) فهذه الآية مثلا تعرض فرية من إفتراءات اليهود والتي تتلخّص في تحريم بعض الأطعمة بغير نص للتّحريم في التوراة .

ومواجهة المجادل بنصوص الكتاب الذي يؤمن به ، يكون ذلك دافعا له إلى معرفة الحقيقة ، ومن القضايا التي أنكرها اليهود وهي منصوص عليها في التوراة قضة نبوة - محمد صلى اللهّ عليه وسلمّ - قال اللّه تعالى :<< الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ >>(٢) . وفي ضوء ذلك دعا القرآن الكريم أهل الكتاب إلى الإيمان بالنبّي لشهادة التّوراة والإنجيل له بذلك وطلب منهم الإقرار بذلك بأن يعرضوا التّوراة أمام أعين النّاس ، ليطلّعوا على ما فيها من دلائل وبينات على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وأكد القرآن الكريم في مواطن أخرى مغبة كتمان ما يعرفونه من التوراة والإنجيل ، فتوعدهم باللعنة والعذاب وهو ما حدثتنا عنه الآيات التالية :

---

(١) آل عمران : ٩٣ .
(٢) الأعراف : ١٥٧ .

<< وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الذِّينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ ، وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ >>(١) . وقال تعالى << الذِّينَ آتَيْنَاهُمْ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ >>(٢) . وقال تعالى :<< إِنَّ الذِّينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللاَّعِنُونَ >>(٣) .

- الخاصية الثالثة : مواجهة اليهود بالأساليب الوعظية العاطفية :

لقد وقف القرآن الكريم من قضية إيمان اليهود،وكفرهم موقفا حاسما بأسلوب هادىء ، يتسم بالهدوء، الذي يجري مجرى العتاب ، ويجسد خيبة الأمل فيهم ، لأن المفروض فيهم أن يكونوا في طليعة المؤمنين بالنبي بدلا من أن يكونوا في طليعة الكافرين به ، فقد جاء مصدّقا لما معهم من الكتاب بأدلّة لا تقبل الشك في رسالته ، مما يجعل قضية إتباعه وطاعته مرتبطة بطاعة اللّه وعبادته ، وبشكر المنعم الذّي أنعم عليهم . وهذا أسلوب يجمع بين العتاب ، والتّبكيت ، ومرارة الموقف ، والوعظ والنّصيحة والتّوجيه ، مما يوحي بأن الهدف الكبيرهو حشد أكبر عدد ممكن من عناصر الإثارة العاطفية،والعقلية كطريقة لتحريك الجمود النّفسي الذّي أوحى إليهم بالجمود العقائدي ، فيلتقي لديهم الحاضر بالماضي امتدادا إلى المستقبل،الذي يواجههم في الدنّيا بالإنسجام بين ما يبشرون به من تعاليم وما يمارسونه من أعمال ، وفي الآخرة بالمسؤولية الكبرى، التّي يواجهونها أمام اللّه ، عندما يستغلون الدّين في عملية بيع وشراء ومساومة ويتركون كتاب الله وراء ظهورهم . ولنقف أمام هذه الآيات،التّي تحمل من الإثارة العاطفية والوعظية ما تحمل كأسلوب لحمل اليهود على الإعتراف ببطلان عقيدتهم ، يقول اللّه تعالى :<< يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي التِّي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِي بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ، وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ، وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ، وَلاَ تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ، أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ

---

(١) آل عمران : ١٨٧ .
(٢)البقرة : ١٤٦ .
(٣) االبقرة : ١٥٩ .

أَفَلاَ تَعْقِلُونْ ، واسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الخَاشِعِينَ ، الذِّينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، يَا بنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعِمْتِي التِّي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّيَ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العَالَمِينَ ، واتَّقُوا يَوْمًا لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ >>(١) . إنّه الأسلوب الذيّ يجمع بين اللّينّ والشّدة ، والموعظة والتّذكير ، من أجل تطويق كل حالة نفسية معقدة ، تقف حائلا بين الإنسان وبين الهدى ، لو كان هناك مجال للهداية ، وقد أراد القرآن الكريم من هذه الآية أن تكون بداية لإيجاد جو هادىء يسمح للحوار الهادىء بأن يتّخذ سبيله إلى حياة النّاس عندما يرجع المعاندون إلى أنفسهم ويشعرون بالحاجة إلى التّفكير،الذي يربط الإنسان بالواقع بعد أن تزول عنه عوامل الشّك والتّشويه ، ليقف وجها لوجه أمام الحقيقة ، فيفكر من أجل الوصول إلى الحقيقة . وإذا لاحظنا -بدقة - مفردات هذا الأسلوب ، نجد أنه توجّه إليهم - في البداية -بالتّذكير بالنعَم المتوالية،التيّ أنعمها اللّه عليهم دون سائر النّاس ، ثم طالبهم بالعهد الذيّ قطعوه على أنفسهم أمام اللّه سبحانه وتعالى ليفي لهم بعهده، في الدّنيا والآخرة ، خاتما الآية بالإنذار الرّهيب،الذي يدعوهم إلى الخوف من اللّه ، عند ميلهم إلى الإنحراف وفي مثل هذا الجوّ يضعهم وجها لوجه أمام دعوة الإيمان ، لأن ذلك هو النّتيجة الطبيعية لشكر النعم،وللوفاء بالعهد وللخوف من اللّه ، ثمّ ينعطف القرآن الكريم إلى واقعهم المنحرف ، الذيّ يتمثّل في لبس الحقّ بالباطل ، وعدم إقامة الصلاة،وإيتاء الزّكاة ، من دون جهل بحرمة ذلك كله ، ويخاطبهم على هذا الأساس بعتاب شديد على واقعهم المتناقض الذي يظهرون فيه دعاة للبرّ ، وهم لا يمارسون ما يدعون إليه وهو مايحتاج إلى إصلاح عميق في النفّس ، حتىّ تستشعر حرمة الدين ، ولعل الأسلوب الوعظي والعاطفي،الذيّ عالج به القرآن الكريم إنحراف العقيدة عند اليهود هو أسلوب لا يتماشى،والنفسية اليهودية التيّ لا تعرف إلى إستقامة النفّس سبيلا .

(١) البقرة : ٤٠ الى ٤٨ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاصية الرابعة : الإستدلال العقلي والواقعي :

لقد بيّن القرآن الكريم أن اليهود يفتقرون إلى الدليل الواقعي والعقلي على ما يعتقدون بل إنّ الواقع والعقل يقضي بما لا يدع مجالا للشك بفساد عقيدتهم ، فاليهود الذين يدعون أنهم أبناء اللّه وأحباؤه لا يترجمون هذا الحبّ والقرب من اللّه إلى حقيقة واقعية ، وقد واجههم القرآن الكريم في هذا الشأن بقضية تعكس التناّقض الصّريح بين الدعوى، وبين الواقع الذّي هم عليه ، وهي مطالبتهم بتمنّي الموت كدليل على صحة ما يزعمون ، فيقول تعالى :<< قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ، قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ >>(١) . وقال تعالى:<< قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ، وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ >> (٢) إنهّم أي اليهود يزعمون أنهم أولياء اللهّ وأحباؤه ، وأنهّم شعب اللّه المختار ، وأن الآخرة خالصة لهم من دون النّاس ، ويقف القرآن الكريم ليفند دعواهم ؛ لأن ولي اللهّ لا يحبّ الحياة إلا ليستفيد منها ما يقربّه إلى اللّه ، بأن يستزيد من العمل الذيّ قصر فيه ، أما إذا كان واثقا بالمصير وبالنجّاة في الآخرة ، فإنه من باب أولى أن يتمنّى الموت ليلقى النعيّم الذيّ ينتظره ، ولكن الواقع يشهد أن اليهود هم أحرص الناس على الحياة ، وأنهم لا يتمنّون الموت بسبب الجرائم الكثيرة، التيّ اقترفوها في جنب اللهّ ، وفي جنب الأنبياء والنّاس عموما . وبهذه المقابلة الواقعية أبطل القرآن الكريم دعوى البنوة ،والحب التي شاعت عند اليهود، وارتبطت بالفكر العقائدي اليهودي هذا من الناحية الواقعية ، أما من الناحية العقلية فقد طالب القرآن الكريم اليهود بالبرهان على هذه الدعوة بالتأكيد على المقياس، الذي جعله اللهّ تعالى أساسا للقرب والبعد منه ، وبالتّالي لغضبه ورضاه من جهة أخرى ، وهو العمل بما يأمر اللهّ به، وترك ما ينهى عنه من دون فرق بين اليهود والنصارى وغيرهم ، فليس للهّ علاقة خاصّة بأي أحد من خلقه، بل النّاس كلهم سواسية أمامه في العبودية ، ولا تفاضل بينهم إلا بالتقّوى

---

(١) الجمعة : ٦ ، ٨ .

(٢) البقرة : ٩٤ ـ ٩٦.

والعمل الصالح ، مهما كانت منزلته ، ومهما كان نسبه وهذا هو ما صرّحت به الآيتان الكريمتان في قوله تعالى :<< وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ >>(١) . وقال تعالى :<< وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ >> (٢) . إن القرآن الكريم يعلق على أقوالهم ، بأنها مجرّد أمانيّ ، لكنّها لا تتحوّل إلى حقائق لها وجود في الواقع ، لأن الحقيقة في أي شيء تستند إلى البرهان الذي لا يملكونه من الأساس ، وبالتّالي فإنهم كاذبون في دعواهم هذه ، أما الآية الثانية فتبطل الدعوى بالتّساؤل في البداية عن السّبب في عذاب الله لهم بما اقترفوه من ذنوب ، ومع أن الله لا يعذّب أحباؤه وأولياؤه ، ثم يطرح الفكرة الحاسمة،التي تجعل النّاس سواسية أمام الله في الطاعة والمعصية ، في العقاب والثّواب ، فلله السلطة المطلقة في المغفرة لمن يشاء ، والعذاب لمن يريد ، من دون أن يعطي إمتيازا لأيّ إنسان ، خارج نطاق إرادته وحكمته ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم ، كمبدأ عام . قال تعالى :<< لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا >>(٣) . فالجزاء في الآخرة يخضع للعمل فهو الذي يقرّب المحسن من الله ، أو يبعد المسيء عن الله ، فلا ولاية،ولا نصرة ولا محاباة ، خارج إطار العمل ، تلك هي الحقيقة ، وما عداها فأحلام وأماني لا صلة لها بالواقع ، ولا سند لها من العقل .

وفي ختام حديثي عن اليهودية ، لا بد أن أقدم خلاصة وخاتمة لهذا الفصل كمايلي :

١- أن اليهود لم يكن لهم تصور صحيح للألوهية القائمة على التوحيد الخالص ، والقدرة المطلقة ، وأن أسفار اليهود صورت الإله تصويرا يهدم مفهوم الألوهية الصحيحة الذي جاءت به التوراة الإلهية من أساسها .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(١)البقرة : ١١١ .
(٢)المائدة : ١٨ .
(٣) النساء : ١٢٣ .

٢- أن القرآن الكريم سجّل على اليهود موقفا للعنصرية ، والإعتداد بالذات فمن ذلك زعمهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن الإله إلههم وحدهم دون غيرهم ، وهو ما فندّه القرآن الكريم بتقرير إستواء الخلق أمام اللهّ ، وأنه إله جميع الخلق بدون إستثناء .

٣- أن اليهود أفسدوا مفهوم النبوّة ، وهدموا خصائصها ، فقد صوّروا الأنبياء في صور لا تتوافق مع هذه الخصائص ، ومع خصائص العصمة .

٤- أن عقيدة الجزاء الأخروي لا وجود لها في أسفار اليهود وهو دليل قاطع على طغيان المادة على اليهود،وعلى رقة الدين والعقيدة عندهم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع:

منهج القرآن الكريم في نقد النصرانية.

تمهيد :

المبحث الأول : المسيح بين القرآن و الإنجيل.

المبحث الثاني : الإنجيل في ميزان القرآن الكريم .

المبحث الثالث :القرآن الكريم و عقيدة التثليث.

المبحث الرابع :القرآن الكريم و عقيدة الصلب و الفداء و سلطة الرؤساء

المبحث الخامس : خصائص المنهج القرآني في نقد النصرانية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد :

النصّرانيـة من حيث أصلهُا السمّاوي ، ديانة كتـابيـة توحيدية ،و قد سجّل القرآن الكريم هذه الحقيقة ، التيّ إختلفت واضطربت بشأنها المصادر الدّينية الأخرى ، ففي المصادر المسيحية على سبيل المثال لانجد لها أثرا ولانقف لها على رسم ؛ والعلة في ذلك كما يرى علماء المقارنة بين الأديان ترجع على الخصوص إلى طول الأمد بسبب الأحداث ،التي نزلت بالمسيحيين ، والتيّ ترتب عنها اضطراب في الرّوايات (ويجوز أن تكون قد عملت يد المحوُ والإثبات عملها ، حتى اختلط الحابل بالنابل ، وصار من العسير أن نتميّز الخبيث من الطيبّ ، والحقّ من الباطل والصّحيح من غير الصّحيح ،وإنا لا نعرف مصدرا صحيحا جديرا بالاعتماد والثقةّ من المسلم غير القرآن الكريم ، والحديث النبوّي الشريف ، فهما المصدران المعتمدان للمسلم في هذا) (١).

وتفصيلا لما سبق، وتبيانا للأصل الكتابي التوحيدي للنصّرانية يقول الله تعالى :<<قُلْ يَاأَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ >>(٢) .

ويقول الله تعالى في السّياق نفسه :<<يَاأَهْلَ الكِتَابِ لاَتَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَتَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الحَقَّ إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَتَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ، إنما اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً لَّن يَسْتَنكِفَ المَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلاَ المَلاَئِكَةُ المُقَرَّبُونَ ، وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ، وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا >> (٣) .

---

(١) – محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، شركة الشهاب – الجزائر

(بدون تاريخ) ، ص ٨٣ وما بعدها .

(٢) – آل عمران : ٦٣ .

(٣) –النساء : ١٧١ إلى ١٧٣ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من الآيات السّالفة وغيرها ، يتبيّن لنا أن الصّورة، التيّ رسمها القرآن الكريم عن النصّرانية صورة توحّيدية في مظهرها وجوهرها ، وأنهّا قامت على التوّحيد الخالص ، والإعتقاد الصّحيح ؛ سواء في ذلك ما يتصّل بشخص المسيح - عيله السّلام - ، الذيّ هو محور العقيدة النصّرانية ، أو ما يتصّل منها بالأصول العامةّ التيّ قامت عليها ، وعلى ضوء ما ذكره القرآن الكريم عن النصّرانية نجد أن كثيرا من قضايا الفكر المسيحي عموما لا صلة لها بالفكر العقدي النصّراني الصّحيح ، وأنهّا قد شاعت في الأوساط المسيحية بعد عصر المسيح بتوافر ظروف معيّنة ، وعوامل مخصوصة أهمها عامل الاحتكاك، لتفتّح النّصارى على عقائد الأمم الأخرى وخاصة العقيدة الوثنية .

ولقد عرض القرآن الكريم العقيدة النصّرانية وعالج كثيرا من أغراضها وأصولها ، وردّ ما يتعارض منها مع قواعد الفطرة السليمة وأصول الديّن الصّحيح ، وإن ما يسترعي انتباه الباحث في الأديان أن هذه المناقشة القرآنية للنصّرانية لم تخرج عن قواعد الموضوعية والإنصاف بدليل أن القرآن الكريم قد ذكر محاسن النصّرانية ، وميزّ بين فرقها وطوائفها ، فقد إستثنى القرآن الكريم طائفة من النصّارى لم تخض فيما خاض فيه النصّارى من مسائل باطلة قال الله تعالى : << ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ >> (١) .

فالنصّارى بصريح الآية الكريمة ليسوا كلهّم نسيجا واحدا فإن منهم من هم على الجادة وصحيح العبادة . والآيات القرآنية ،التيّ تناولت النصّرانية تناولا مباشرا لا تتجاوز بضعا وعشرين آية ، ولقد حاول بعض الباحثين (٢) تتبّع الآيات المتعلقّة بالعقيدة النصّرانية باعتبار الترّتيب التاّريخي للسّور ، الذيّ يأخذ مكي القرآن ومدنيّه في الحسبان على النحّو التاّلي :

---

(١)- المائدة : ٨٢ .
(٢)- عبد المجيد الشرفي : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى - الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٦ ، ص ١١٦ وما بعدها .

-١ الفترة المكية الأولى (٦١٢-٦١٥) : وممّا يمكن استخلاصه من هذه الفترة أن القرآن الكريم لم يتعرّض للعقائد النصّرانية تعرّضا مباشرا وإنما اكتفى بمجرد الإشارة إليها من خلال وصفه للنصّارى بأوصاف ونعوت معيّنة ، تنبىء كلهّا عن وجهتهم العقدية ، ومن ذلك ما وصف به القرآن الكريم النّصارى بأنهم ضالّون في آخر سورة الفاتحة قال اللهّ تعالى :<<اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الذِّينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِينَ >> (١)

فالضّلال في الآية الكريمة دلالة على الإنحراف العقائدي والشطط الفكري، الذيّ كان عليه النّصارى. كما وردت الإشارة إلى النّصارى في سورة البروج كما يرى بعض المفسرين كابن كثير وقد ذكر أن أصحاب الأخدود المذكورين في الآية الكريمة هم نصارى نجران الذين قتلوا عام ٥٥٣ ، وقد نقل عنه هذا الرأي بعض المفكرين (٢) ، الذي أثبت حدوث الضّلال في تاريخ النّصرانية على يد الطائفة المذكورة .

وخلاصة القول أن الفترة المكية الأولى لم يسجل فيها أي جدال عقائدي كما لم يتناول القرآن الكريم فيها العقائد النصّرانية لا سلبا ولا إيجابا .

- ٢الفترة المكية الثانية (٦١٦-٦١٩) : وفيها تحدّدت معالم النظّرة القرآنية إلى المعتقدات النصّرانية ، وذلك على ثلاث مستويات :

- المستوى الأول : وتعرّض فيه القرآن الكريم بشيء من التفصّيل لأشخاص زكريا ويحي ومريم وعيسى-عليهم السلام- ، وقدم صورة عن حياتهم وميلادهم لا تختلف في جوهرها كما أسلفنا عن الصّورة ، التي رسّمتها الأناجيل المسيحية مع ضرورة التحفظ والتحرز من بعضها كما ذكرنا .

• - المستوى الثاني : وفيه اتضحت معالم النقّد القرآني للمعتقدات النصّرانية حيث أبعد القرآن الكريم دعوى بنوّة المسيح - عليه السّلام للهّ - ، وأكد عبودية عيسى ونبوّته بعيدا عن الإفتراء الظاهر ،والغلوّ الباطل ، ولقد تناولت سورة مريم هذه القضية بكل حيثياتها .

---

(١) -الفاتحة : ٥ ، ٦ .
(٢) - عبد المجيد الشرفي : المصدر السابق ، ص ١١٧ .

- المستوى الثالث : وميّز فيه القرآن الكريم صنفين من النّصارى ، صنف موحد بقي على التّوحيد الخالص ، كأصحاب الكهف الذين ذبوا عن التّوحيد وضربوا مثلا لإمكانية الموت والبعث والجزاء ، وهي المسائل الغيبية ، التي أنكرها اليهود ومارت فيها بعض الفرق النّصرانية مراء كبيرا ، وإلى الجهة المضادة ، هناك صنف آخر خرج عن الأصل ، الذي هو التّوحيد الخالص ، وخاض في مسائل اعتقادية باطلة مجاراة للوثنيين ، الذيّن خرجوا عن أصل الفطرة وقواعد الدّين ، ومن اعتقادات هذا الصنف الأخير من النّصارى زعمهم بنوة المسيح لله وقد سجّل القرآن الكريم زعمهم هذا وقال في معرض الردّ عليهم :<< وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌ لَهُ قَانِتُونَ >> (١) .

ولقد تناولت سورة مريم ، والزخّرف ، والكهف وغيرها من الآيات الجدل العقائدي بين القرآن الكريم من جهةاوبين أولئك المبطلين من جهة أخرى حول مسألة البنوّة ومسائل أخرى .

فالمستوى الثالث - كما بيّنا - عرف نقدا عنيفا من القرآن الكريم للمعتقدات النّصرانية .

-٣ الفترة المكية الثالثة (٦٢٢-٦١٩): وفي هذه الفترة المتأخرة لم يهتم القرآن الكريم فيها كثيرا بالأغراض النصّرانية ، ولكن اهتمامه انصرف إلى إبراز محاسن النصّرانية ، حيث أشاد بالذيّن اعتنقوا الدّين الإسلامي من النّصارى بعدما تبيّن لهم الحقّ ، وفي هذه الفترة المتأخرّة برزت دعوة القرآن الكريم الصّريحة إلى مجادلة أهل الكتاب في مسائل الألوهية ، والنبوّة وغيرها من المسائل العقدية المشتركة بين الأديان ، وذلك وفق قاعدة الجدال بالتّي هي أحسن طلبا للحقيقة قال الله تعالى :<< وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ >> (٢) . فهذا الجدال كما دلتّ عليه الآية الكريمة ليس عديم المقصد ، وإنما القصد منه إبراز وحدة الدين السمّاوي أي أن دين الله واحد على ألسنة جميع الرسّل قال الله تعالى ملفتا الأنظار إلى هذه الحقيقة الخالدة :<< شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدّيِنِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالذّيِ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وُمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدّيِنَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ >> (٣) .

---

(١)- البقرة : ١١٦ .
(٢) - العنكبوت : ٤٦ .
(٣) - الشورى : ١٣ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أما الفترة المدنية (٦٣٢-٦٢٢) : فقد وردت فيها جل الآيات المتعلّقة بالنصّرانية وشملت عددا أوفى من أغراضها وقضاياها مما أثير منها في الفترة المكية ، أو ما تعرّض له القرآن ابتداء من غير سابقة في العهد المكي ، ويزعم بعض المستشرقين « أن موقف القرآن الكريم من النصّارى واليهود قد مرّ بثلاث مراحل مرحلة أولى كان فيها محمدّ يتوددّ فيها إليهم ويعتبر أنه يتفقّ معهم في الانتساب إلى نفس الدّيانة ومرحلة ثانية ترتّبت عن إنكارهم لدعوته فكان النزّاع الذي أدى إلى مرحلة القطيعة » (١) .

ويعللّ عبد المجيد الشرفي (٢) تغيّر موقف القرآن الكريم إزاء النصّرانية بتغير سلوكات أهل الكتاب أنفسهم وهذا الموقف المتردّد والمتغير من جانبهم يعلّله كذلك الظرف الاجتماعي وحركة المدّ والجزر فيه ، فالموقف الثابت للقرآن الكريم من العقائد لا يؤخذ إ لامن نصوص القرآن الكريم ، ولا يفهم إلا على ضوء ما قرّره .

لقد توالت الآيات القرآنية ،التيّ تعكس طبيعة الديّانة النصّرانية القائمة على الوحدانيّة المطلقة، التيّ تنفي نفيا قاطعا أن يكون اللّه ثالث ثلاثة كما ادعّى النصّارى أو أن يكون له ولد ، أو أ ن يكون هو المسيح ، أوأن يكون المسيح ابنه ، ونفى القرآن الكريم أيضا في معرض الردّ على النصّارى أن يكون عيسى قد دعا الناّس،أو أمرهم،أو أوصاهم باتّخاذه وأمهّ إلهين من دون اللهّ ، وإلى عبادته ، فما المسيح في نظر القرآن الكريم إلا رسول قد خلت من قبله الرّسل وأمهّ صدّيقة كانا يأكلان الطعام . قال اللّه تعالى :<< وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ، وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ >> (٣).

.(١)- انظر عبد المجيد الشرفي : المصدر السابق ، ص ١١٧ وما بعدها .
(٢) - المصدر نفسه .
(٣) - المائدة : ١١٦ ، ١١٧ .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهكذا تتبّع القرآن الكريم عقائد النصّارى عقيدة تلو الأخرى ، وعرّى صفحتها ، وأظهر زيفها وبطلانها سواء ما تعلّق منها بموقفهم من المسيح و أمّه مريم -عليهم السّلام -أو ما تعلّق بموقفهم من الألوهية والذّات الإلهية وأتبع القرآن الكريم ذلك بالرّد العنيف والنّقدالموضوعي.

و النصّرانية في عقيدة بعض المفكرين علاوة على كونها ديانة كتابية توّحيدية ، فهي كذلك دعوة روّحانية ، جاءت لإنقاذ بني إسرائيل من أسر المادة ، بوقوعهم تحت طائلة الغلوّ في طلبها (فاليهود قوم عكفوا على المادّة واستغرقتهم واستولت على أهوائهم ومشاعرهم حتى لقد كان نساكهم وسدنة الهياكل عندهم، وقد فاتهم العمل على كسب المال من أبوابه الدنّيوية ، يجمعون المال من نذور الهياكل والقرابين ،التّي يتقربّ بها النّاس ويحرصون على ذلك أ شدّ الحرص فكانوا يأخذون القرابين من أشدّ النّاس حاجة وأفقرهم فجاء المسيح وندّد بهذا) (١) .

وقد أورد العقاد (٢) رأي القائلين بأن دعوة المسيح كانت دعوة روّحانية محضة لا صلة لها بشؤون الدنيا، ولا بالمطالب العملية ،التّي تقتضي وضع النظّم وفرض الشرائع ، ويعللّون ذلك أن هذه الرّوحانية في المسيّحية تشبه إلى حد كبير ما وجد في العقائد الآرية ،التّي جعلت الروّح جوهر الدّين ومدار العقيدة ، إذ جعلت الديّن مطلبا روحيا ، وليس مطلبا جسديا أو مطلبا إجتماعيا أو نظاما سياسيا ويعقبّ العقّاد في النهّاية على آراء أولئك الباحثين ، ويقرّر أن قضية الروّحانية في المسيحية كانت عرضة لخلاف كبير ، وجدل عريض ، وأنه ينبغي التسّليم بكل هذه الآراء ، ويعللّ العقّاد شيوع الإهتمام بالجانب الرّوحي في المسيحية بجملة أمور أولها أن بني إسرائيل كانوا أصحاب شريعة دينية مفصلة استغرقت الحقوق والمعاملات قبل أن تتجّه إليهم دعوة المسيح عليه السّلام .

---

(١) - محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، ص ٩٥ .

(٢) - العقاد : ما يقال عن الإسلام (الإسلام والحضارة الإنسانية) ، ص ٣٢٩ .

فاتجهت دعوة المسيح إلى الجانب الروحي ، الذيّ كان موضوع الحاجة إلى الإصلاح ، وقد كان من قول السيّد المسيح أنه جاء ليكمل النّاموس لا لينقضه .

وثانيها أن الشريعة الروحانية إصطبغت بالصبغة العملية المجرّدة من المسحة الروحية، واتسمت بكونها قامت على مبدأ الصراع الطبقي لانتزاع سلطان الحكم ، وإقامة القانون فكانت المسيحية دعوة لإصلاح الأخلاق دعوة إلى الإقناع ، ونبذ الصّراع ، الذيّ من شأنه أن يشيع العداوة بين بني البشر فهذه العلل في نظر العقّاد كافية لتعليل الصبغة الروحانية ، التيّ غلبت على النصرانية .

ونقول: إن اهتمام المسيح بالجانب الروحي من الديّن لم يكن ليصرفه عن الجوانب الأخرى كما أنّ مسألة الاستغراق الروحي في النّصرانية شيء مؤكد أشار إليه القرآن الكريم من خلال خطابه لأهل الكتاب عموما قال تعالى :<< قُلْ يَاأَهْلَ الكِتَابِ لَاتَغْلُوا فِي دِينِكُمْ >> (١) ، فالغلو هنا معناه الزيادة والإفراط ، وتجاوز الحدّ المطلوب في الجانب الروحي كمانهاهم الله تعالى عن الرهبنة ، التيّ تكبت حظوظ الجسد بدعوى تغذية الروح قال تعالى :<< وَرَهْبَانِيةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إلاَّ ابْتِغَاءِ رِضْوَانِ اللّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الذّينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أُجُورَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ >> (٢)

فالقرآن الكريم يسجّل إفراط النصّارى في الجانب الروحي ، الذيّ وإن كان أمرا مرغوبا فيه إلا أن الإفراط فيه لا يتوافق مع نظرته القائمة على التوفيق بين مطالب الروح، ومطالب الجسد والدعوة إلى الاعتدال ونبذ الغلوّ والإفراط وفق القاعدة الشرعية (لا إفراط ولا تفريط) .

(١) - المائدة : ٧٧ .
(٢) - الحديد : ٢٧ .

المبحث الأول :

المسيح بين القرآن والإنجيل

أولا - **المسيح في القرآن** : لم يختلف النّاس في شيء كاختلافهم في شأن المسيح عليه السّلام، وهذه حقيقة أكدها القرآن الكريم . يقول الله تعالى :<< وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا >>(١) .فقد دلّ منطوق الآية الكريمة أن اختلافا كبيرا وقع بين النّصارى حول طبيعة المسيح ، وكذلك حول رسالته ، يقول أحمد سليمان الجبهان :(لو توجّهت إلى نصّراني على وجه الأرض ، وطلبت منه أن يصوّر حقيقة دينه ، وما يعتقده في طبيعة المسيح تصويرا دقيقا لما استطاع ذلك . ولو توجّهت بهذا السؤال إلى أيّ نصراني على وجه الأرض ، لوجدت عند كل واحد منهم تصوّرا يختلف عن تصوّر الباقين) (٢) . ثم يمضي أحمد سليمان الجبهان في ذكر إعتقادات النّصارى وتصوّراتهم بشأن طبيعة المسيح فيقول : (لقد كان منهم من يقول إن المسيح وأمه إلهان من دون الله ، وكان منهم من يقول إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة من نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية ، وكان منهم من يقول أن مريم لم تحبل به تسعة أشهر ، وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب لأن كلمة الله دخلت من أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها ، وكان منهم من يقول بأن المسيح إنسان مخلوق من اللاهوت كواحد منا في جوهره ، وأن ابتداء الإبن من مريم ، وأنه اصطفي ليكون مخلصا للجوهر الأسمى - صحبته النعمة وحلت فيه المحبة ، والمشيئة ، ولذلك سمي ابن الله) (٣) .هذا غيض من فيض من تخرّصات النّصارى وأوهامهم حول المسيح ، هذا إلى جانب القائلين بالتّثليث وألوهية المسيح وحده والقائلين بأن للمسيح طبيعتين في طبيعة واحدة ، اجتمع فيها النّاسوت واللاهّوت وأنهّ وجه واحد وأقنوم واحد (٤) .

---

(١)- النساء : ١٥٧ .
(٢)- أحمد سليمان الجبهان : معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير- عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الرياض ط٤ ، ١٩٨١ ، ص ١٥ .
(٣) - المصدر نفسه .
(٤) - المصدر نفسه ، ص ١٦ .

ومن النصّارى أيضا من ينكر ألوهية المسيح وينفي عن النصّرانية الأشكال الوثنية ، يقول **أحمد** سليمان الجبهان :<< وكان منهم من يحرّم اتّخاذ التّماثيل والصّور في العبادة ، ويبيحون طلب الشّفاعة من مريم >> (١) .

فكل هذا الخبط والخلط ، وهو قليل من كثير ، والذّي لم يستند فيه النّصارى على أي أساس علمي أو برهان عقلي ، أو حتى نص من كتبهم يوحي إلى كل باحث منصف أن النصارى لم يعطوا صورة صحيحة ولا صريحة عن طبيعةالمسيح – عليه السلام- ، وإذا نحن تركنا المسيحية إلى الإسلام فإننا نجد القرآن الكريم قد رسم صورة صادقة بيّنة المعالم للمسيح عليه السلام ، سواء فيما يتّصل بذاته ، أو ما يتّصل بولادته ورسالته ورفعه مبعدا عنه) وعن أمه كل الشبهات ،التيّ أثارتها الفرق النصّرانية حولهما ،والتيّتتنافي وخصائص النبوّة وعصمة الأنبياء . إذ يقول القرآن الكريم عن ولادة المسيح عليه السلام :<< وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ، قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا >> (٢) .

فالقرآن الكريم كما يفهم من منطوق الآية الكريمة يصرح بأن المسيح ولد ولادة بشرية ولكن بطريقة غير مألوفة ،ولكنه لم يترك هذا الأمر تتخرّص فيه ألسنة المتخرّصين ، أو تخوض فيه بما يتنافى مع مقام عيسى وأمه ، فصرف الأذهان إلى القدرة الإلهية وإلى ضرب المثل بآدم – عليه السّلام – الذيّ خلقه من غير أب ممّا لا يوافق السنّن الطبيعية . يقول محمود بن الشريف :(والقرآن يسوق مثلا لهؤلاء المنكرين ، الذين أنكروا عيسى ورسالته متعلّلين بأن خلقه لم يكن وفق السنّن الطبيّعية ، فقد خلق من غير أب ، ويردّ اللّه سبحانه عليهم في هذا المثل بأنه لاغرابة في ذلك ، فإن كان عيسى قد خلق من غير أب فإن آدم قد خلق من غير أب << إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ >>)(٣) .

---

(١) – **أحمد** سليمان الجبهان : المصدر السابق ، ص ١٧ .
(٢) – مريم : ١٦ ، ٢١ .
(٣) – آل عمران : ٥٩ وانظر أيضا محمود بن شريف : الأديان في القرآن ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقول ابن تيمية :(إن قوله تعالى :<< إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ كَمَثَلِ آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون >> (١) كلام حق فإنه سبحانه خلق هذا النوع البشري على الأقسام الممكنة ليبين عموم قدرته ، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى كما قال :<< وخلق منها زوجها>> ، وخلق المسيح من أنثى بلا ذكر ، وخلق سائر الخلق من ذكروأنثى ، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح ، فإن حواء خلقت من ضلع آدم وهذا أعجب من خلق المسيح في بطن مريم ، وخلق آدم أعجب من هذا وذاك، وهو أصل خلق حواء ، فلهذا شبهه الله بخلق آدم ،الذي هو أعجب من خلق المسيح . فإن كان سبحانه قادرا على أن يخلق من تراب ، والتراب ليس من جنس بدن الإنسان أفلا يقدر على أن يخلق من امرأة هي من جنس بدن الإنسان) (٢).

ويقول الطبري :<< إن الله عز وجل أنزل هذه الآية احتجاجا لنبيه - صلى الله عليه وسلم - على الوفد من نصارى نجران ، الذين حاجوه في عيسى ، وذلك أن رهطا من نجران قدموا على النبي فقالوا له :ما شأنك تذكر صاحبنا ؟ فقال :من هو ؟ فقالوا : عيسى بن مريم تزعم أنه عبد الله!! فقال : هو عبد الله وكلمته وروحه . فقالوا : لا ولكنه هو الله ، نزل من ملكه ودخل في جوف مريم ثم خرج منها فأرانا قدرته وأمره ،فهل رأيت إنسانا قط خلق من غير آب ؟ فأنزل الله عز وجل :<< إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم >>) . (٣)

و يرى أبو زهرة شرحا للآيات٢٧ إلى ٣٣ من سورة مريم بأن الله سبحانه وتعالى أوردفي هذه الآيات ما يدل على براءتها وهو ما عرفوه من نسكها وعبادتها ، وهو شيء لم يستطيعوا إنكاره وقد سجل الله سبحانه وتعالى شهادتهم هذه فقال :<< فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا >> (٤) .

---

(١) - آل عمران : ٥٩ .
(٢) - ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - مطبعة المدني ج٢ ، ص ٣٠٤ .
(٣) - آل عمران : ٥٩، وانظر الطبري : التفسير ج١ ، ص ٤٦٨ .
(٤) - مريم : ٢٧ ، ٢٨.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وأما البراءة الثانية فقد جاءت على لسان المسيح عليه السّلام ، الذي نطق وهو في المهد ببراءة أمه وأنه لم يكن إلا عبدا للّه ولد من غير أب . يقول أبو زهرة :<< ولما ولدته وخرجت به على القوم كان ذلك مفاجأة لهم ، سواء في ذلك من يعرف نسكها وعبادتها ومن لا يعرف ؛ لأنها فاجأتهم بأمر غريب وهي المعروفة بينهم بأنها عذراء ليس لها بعل ، فكانت المفاجأة داعية الإتهام ، لأنه عند المفاجأة تذهب الروية ، ولايستطيع المرء أن يقابل بين الماضي والحاضر وخصوصا أن دليل الاتّهام قائم ، وقرينته أمر مادي لا مجال للريّب فيه ، ولكن سبحانه وتعالى رحمها في هذه المفاجأة فجعل دليل البراءة من دليل الاتهام لينقض الاتهام من أصله ، ويأتي على قواعده ويفجؤهم بالبراءة وبرهانها ،الذّي لا يأتيه الريب ليعيد إلى ذاكرتهم ما عرفوه عن نسكها وعبادتها ، ولذلك نطق الغلام وهو قريب العهد بالولادة ، نطق السّيد المسيح في المهد ليكون كلامه إعلانا صريحا ببراءة أمه >> (١) . والذي يرجع إلى الأناجيل المسيحية ،التي تتحدث عن ولادة المسيح يجدها تكاد تخلو من مثل هذه الصور القرآنية التفصيلية ، التي سجلها القرآن لهذا الميلاد الفريد في تاريخ النوع البشري وبالكرامات الإلهية والنفحات القدسية التي أحاطت به ، والتي أجملها سبحانه وتعالى في قوله :<< فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنسِيًّا فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقَطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا >> (٢) .

ونلاحظ في ردود القرآن الكريم على إفتراءات النصارى على المسيح وأمه ، بأن القرآن لفت الأنظار إلى المَلَك ، الذي أرسله إلى مريم حين جاءها في صورته البشرية ليخفف من روعها لما ظهر عليها من جزع ، وليظهر للنّاس أن اختلاف المسيّح عن البشر في طريقة ولادته لا يخرجه عن دائرة النوع البشري ، وهو ما تؤكده الآيات ، التي تتحدّث عن المسيح -عليه السّلام- .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(١) -محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ،ص ١٠ .
(٢) - مريم : ٢٢ ، ٢٦ .

لقد بيّن القرآن الكريم في حكم واضح صريح أسس النّصرانية الحقّة ، التّي نادى بها المسيح والمبرأة من التحّريف والتزّييف ، النّصرانية الأصلية لا النصرانية الموضوعة فأثبت في هذا الصدد أن عيسى بشر وليس بإله ، كما يزعم النصّارى ، وأنه رسول اللّه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، يقول محمد عبده : (أما رأيي ورأي أهل العقيدة الصّحيحة من المسلمين في المسيح عليه السلام ودينه ، فهو على غير ما رآه القارئ ، إنا نعتقد أن المسيّح روح اللّه وكلمته ، قال الله في المسيح :<< إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ >>) (١) . ويرى محمد عبده كما يفهم من نصه أن معنى المسيح روح اللّه أي من روح اللهّ فالإضافة بمعنى من ، أو روح من اللهّ لا من الشيطان ، وكلمته أي كلمته التكّوينية أي إرادته المعبر عنها بقوله للشيء (كن فيكون) ، ولعل محمد عبده في هذا الرأي يتشبثّ بظاهر القرآن الكريم ، الذّي أوضح أن إرادة اللهّ هي السرّ في خلق عيسى من غير أب خلافا للمعهود عند البشر، وهذه الإرادة هي جزء من أسراره التكوينية، التي لا توافق السننّ الطبيعية المألوفة ، والمسيح هو رسول اللهّ إلى بني إسرائيل مصدّقا لما بين يديه من التوّراة، ومبشرا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، لبيان وحدة الرسّالات السمّاوية في العقيدة الإلهية القائمة على التوّحيد الخالص فالمسيح كما يقرّ القرآن الكريم بشر وليس بإله ولا هو ثالث ثلاثة كما يزعم النصارى، وأنهّ نظرا لهذه الاعتبارات تجري عليه أحكام الخلق سواء بسواء فهو مخلوق وليس بخالق، وهو ابن مريم لا ابن الله. والمسيح عليه السلام كما يقرّ القرآن الكريم رسول مؤيد بكتاب إلهي وهذا تفصيل طبيعة المسيح عليه السّلام كما بينّها القرآن الكريم أنه بشر وكلمة من اللّه وروح منه وفيما يلي بيان ذلك :

(١) - النساء : ١٧١ . وانظر أيضا محمد عبده : الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - ١٩٨٨ ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ١ المسيح - عليه السلام - بشر ورسول : تتحدّث آيات كثيرة في القرآن الكريم عن بشرية المسيح قال الله تعالى :<< إنمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ>> (١) . فهذه الآية الكريمة تقرّر في عبارة صريحة أن المسيح بشر بدليل نسبته إلى مريم ، وهذه الآية تبطل زعم النصارى القائلين بألوهية المسيح عليه السلام وبعد أن أثبت القرآن بنوة عيسى لمريم أثبت له بعد ذلك بعض الصفات ،التي تؤكد بشريته ومنها أنه رسول ، والرّسول من جنس البشر ، فهل يعقل أن يكون المسيح عليه السّلام إلها ورسولا في وقت واحد ، فإن الطّبيعة الإلهية تختلف في جوهرها عن الطّبيعة البشريّة .

وعن رسالة المسيح تحدثت آيات كثيرة ، قال اللّه تعالى :<<وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ >> (٢) ، وقال تعالى :<< ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل>>(٣)، وقال تعالى :<< تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّهَ وَرفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَدْنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ >>(٤) . وقال الله تعالى :<< ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاه الإنْجِيلَ >>(٥) .وقال تعالى :<< وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ >> (٦) وفي هذه الآيات دعوة صريحة إلى وحدة الدين السّماوي من خلال إقرار القرآن الكريم بانتماء المسيح عليه السّلام إلى دعوة ورسالة الأنبياء -عليهم السلام - ، فعيسى بن مريم كما دلّ على ذلك منطوق الآيات الكريمة لا يختلف لا في طبيعته ولا في مصدررسالته ، فالطبيعة واحدة هي الطبيعة البشرية والمصدر الرّسالي واحد هو الوحي الإلهي ،الذي هوقدر مشترك بين جميع الرّسالات السّماوية . والرسالات السّماوية كلها قامت على التّوحيد الخالص ومن بينها رسالة المسيح عليه السلام فلقد ذكر القرآن الكريم أن المسيح علية السلام نادى بعقيدة التوحيد ، فدعا إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد ، يقول محمود بن الشريف :<< حَرَّفَ اليَهُودُ شريعة موسى وحرّفوا التوراة ، وعبدوا يَهُوَذَا ، لذا بعث اللّهُ فيهم عيسى لردّهم للتّوحيد ولعبادة اللّه الواحد>>(٧) .

---

(١) - النساء : ١٧٢ .
(٢) - آل عمران : ٤٤ .
(٣) - المائدة : ٧٥ .
(٤) - البقرة : ٢٥٣ .
(٥) - الحديد : ٢٧ .
(٦) - المائدة : ٤٦ .
(٧) - محمود بن الشريف : المصدر السابق ،ص ١٥٩ .

وكذلك تحدد هذه الآية الكريمة رسالة عيسى ومنهجه في الدعوة وأهداف رسالته ، ومعجزاته ، وتعاليمه ووصاياه : << وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، إِنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ ، وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ، وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ، إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ، فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ >> (١) ، فهذه الآيات قررت ثلاث قضايا ظلّ الاختلاف والجدال قائما حولها بين النصارى ، وهي أن المسيح رسول من عند الله ، مؤيد بالدلائل والآيات ، وهذا ينقض فكرة النصارى القائمة على إنكار النبوّة والوحي الإلهي على النحو الصحيح ، الذي قررته الشرائع السماوية ، وأما القضية الثانية التي قررتها الآيات فتتلخص في أن المسيح هادٍ إلى الله ، يهدي بني إسرائيل إلى ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم ، وداعية يدعوهم إلى تقوى الله وعبادته ، وأما القضية الثالثة التي قررتها الآيات فهي أن دعوة المسيح لم تكن بدعا من الدعوات والنبوّات السابقة ، بل هي تخرج من المشكاة نفسها . فالإنجيل مصدّق للتوراة ومعنى التصديق أنه يكمل عقيدتها ويفصّل شريعتها ، فقد قرّر المسيح أنه جاء ليحلّ لبني إسرائيل بعض ما حرمته عليهم التوراة ، تلك التوراة التي يؤمن بما فيها من دعوة للتوحيد وإلى الألوهية الحقّة .

٢ - <u>المسيح كلمة الله</u> : ومن طبيعة المسيح التي ذكرها القرآن الكريم ، أنه كلمة الله كما أسلفنا ، جاء في حاشية الجمل على تفسير الجلالين في معنى وصف عيسى بالكلمة << أَنَّهُ الْمُكَوَّنُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ غَيْرِ أَبٍ >> (٢) . أي أنه تكوّن بكلمة الله وأمره ، الذي هو <<كن>> من غير واسطة أب ولا نطفة . قال الله لعيسى كن فكان ، كان عيسى بكن ، وليس عيسى هو الكن ولكن بالكن كان عيسى فعيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة .

---

(١) - آل عمران : ٤٩ إلى ٥١ .
(٢) - حاشية الجمل على تفسير الجلالين ، ج١ ، ص ٤٥١ .

حركة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أي أنه كُوِّن بالكلمة (١) . وقال ابنُ تيمية :<< وقوله تعالى : <<وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ>> قال معمر عن قتادة : وكلمته ألقاها إلى مريم وهو قوله : كن فكان وكذلك قال قتادة : ليس الكلمة صار عيسى ، ولكن بالكلمة صار عيسى >>(٢) .

٣- المسيح روح من الله : جاء في تفسير الجلالين في تفسير قوله تعالى :<<وروح منه >>: أي ذو روح منه ، أضيف إليه قوله تعالى تشريفا له كما يقال << بيت اللّه>> و<< ناقة اللّه >> (٣) . وجاء في تفسير أبي السّعود :<< أن طبيبا نصرانيا جاء للرّشيد فناظر علي بن الحسين الواقدي ذات يوم فقال له : إنّ في كتابكم ما يدلّ على أن عيسى جزء من اللّه وتلا قوله تعالى :<< وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ>> فقرأ له الواقدي :<< وسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ>> وقال : إذن يلزم أن تكون جميع تلك الأشياء جزءا منه سبحانه فانقطع النّصراني وأسلم >> (٤) .

(١)- محمود بن الشريف : المصدر السابق ، ص ١٦٠ .
(٢) - انظر :ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ص ١٧٧ .
(٣) - تفسير الجلالين - ج١ ، ص ١٣٣ .
(٤) - أبو السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم ، ج١ ، ص ٤٠١

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقول محمود بن الشريف :<<على أن الروح ليست خصيصة قرآنية اختص بها عيسى بل وردت لفظة (الروح) في القرآن لمعاني عدة ، فأطلقت على آدم ، وعلى القرآن ، وعلى الوحي بمعناه العام وعلى مّن نزل بالوحي وعلى النصر ، وعلى نوع ممتازمن مخلوقات الله أعظم من الملائكة >> (١) ونورد الآيات التي تقابل ما ذكره محمود بن الشريف فإطلاق الروح على آدم عليه السلام يؤيده قوله تعالى :<<فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين >>(٢) .

وإطلاق الروح على القرآن يؤيده قوله تعالى :<< وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان >> (٣) وإطلاق الروح على مطلق الوحي يؤيده قوله تعالى :<< ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده >>(٤) .

كما فسرت الروح بجبريل في قوله تعالى :<< تنزل الملائكة والروح فيها >>(٥) قال صاحب تفسير المنار (وذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بروح القدس الملك المسمى جبريل الذي ينزل على الأنبياء ، ومنه يستمدون الشرائع عن الله تعالى وذكر بعضهم وجها آخر وهو أنها روح عيسى نفسه ووصفها بالقداسة والطهارة بمعنى إعاذته من الشيطان أن يكون لا حظ له فيه ، أو لأنه أنزل عليه الإنجيل بالتعاليم التي تقدس النفوس ، بل قال بعضهم أن روح القدس هو الإنجيل) (٦) ، ويمكن أن نقول إن تأويل بعضهم الروح بأنها روح عيسى أو أنها الإنجيل شيء لا يصدقه منقول ولا تسعف الأدلة القرآنية القائلين به .

---

(١)- محمود بن الشريف : المصدر السابق ، ص ١٦١ .
(٢) - الحجر : ٢٩ .
(٣) - الشورى : ٥٢ .
(٤) - النحل : ٢ .
(٥) - القدر : ٤ .
(٦) - محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج١ ، ص ٣٧٧ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقول محمدعزة دروزة :<< إذا جاء في القرآن أن عيسى كلمة اللهّ وروح منه فإنما أريد بذلك التّقريب والتمثيل بالمعجزة الرّبانية ، التيّ تمت بولادته بلا أب >>(١) .

وإطلاق الروّح على النصرّ يؤيده قوله تعالى : << أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ >> (٢) وإطلاق الروّح على النوّع المختار من الملائكة يؤيده قوله تعالى :<< يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا >> (٣) وقوله تعالى :<< تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ >> (٤) وقوله أيضا :<< تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا >>(٥) . ويعقبّ محمود بن الشريف بعد إيراد المعاني المختلفة لكلمة الروّح كما وردت في تعريفات المفسرين والمفكرين فيقول :<< أما حقيقة الروّح وماهيتّها ومفهومها فهو بهذه المعاني كلهّا من أمر اللهّ لا يعلم حقيقتها إلا اللهّ >>(٦) ، مصداقا لقول اللهّ تعالى :<<وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا >> (٧) . وخلاصة القول أن مسألة الروّح ليست خاصة بالمسيح -عليه السّلام - وإنما هي دلالة على المعجزة الرّبانية،والقدرةالإلهية .

---

(١)- محمد عزة دروزة : سيرة الرسول (ص) ج٢ ، ص ١٥٢ .

(٢) -المجادلة : ٢٢ .

(٣) - النبأ : ٣٨ .

(٤) - المعارج : ٤ .

(٥) - القدر : ٤ .

(٦) - محمود بن الشريف : المصدر السابق ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٧) - الإسراء : ٨٥ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا -المسيح في الإنجيل :

• أما عن المسيح في الإنجيل فلقد حكم الإنجيل ببشرية المسيّح عليه السّلام كما قررّها القرآن الكريم ، ففي الآية الثامنة والعشرين من الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام : (إن أبي أعظم مني) ، ففي هذا النّص الإنجيلي نفي قاطع لألوهية المسيح عليه السّلام، لأن اللّه ليس كمثله شيء فضلا عن أن يكون أعظم منه .

يقول إنجيل يوحنا :(قال المسيح في خطاب مريم المجدلية (لا تلمني لأني لم أصعد بعد إلى أبي ، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)(١) . فقد حكم هذا النص الإنجيلي ببشرية المسيّح عندما قال (أبي وأبيكم) ، (وإلهي وإلهكم) ، وهذا قول يضع حدا لمزاعم النصارى وأباطيلهم ، فما لا يتفّق مع العقل أنه مادام حواريو عيسى وتلامذه عبادا للّه فكذلك هو عبد لله ، وهذا النصّ الإنجيلي يطابق ما حكاه القرآن الكريم عن بشرية المسيّح ، وكذا عن عبوديته للّه قال تعالى :<< وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ >> (٢) . وفي حزن عيسى عليه السّلام كما أثبتت الأناجيل نفي آخر لألوهيته ، ففي الباب السادس والعشرين من إنجيل متى ، هكذا :(حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جشيماني فقال للتلاميذ اجلسوا معنا حتى أمضي وأصلي هناك) (٣) .(ثم أخذ معه بطرس وابن زيري وابتدأ يحزن ويكتئب) (٤) فأقواله وأحواله المندرجة في هذه العبارات تدل على عبوديته وتنفي ألوهيته ، فالمعروف أن الحزن والاكتئاب صفتان بشريتان ، ويستند رحمة اللّه الهندي على عبارة لوقا (ونادى

(١)-انظر : إنجيل يوحنا : (الآية ١٧) ، الإصحاح ٢٠ .
(٢)- المائدة : ١١٦ ، ١١٧ .
(٣) - متى الباب ٢٦ .
(٤) - متى الباب ٣٧ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فيقول :(لو كان المسيح إلها كما يعتقد النّصارى لما استغاث بإله آخر بأن قال إلهي إلهي لما ذا تركتني ، ولما قال يا أبتاه في يدك استودع روحي) (١) ، ويمضي رحمة الله الهندي في كشف تناقضات النّصارى في قولهم بألوهية المسيح خلافا لما قرّره الإنجيل و(لو كان المسيح إلها لامتنع الموت والعجز عليه ؟!ففي الآية العشرين من الباب الأربعين من كتاب أشعيا هكذا " أما عرفت أو ما سمعت إله سرمدي الرب الذي خلق أطراف الأرض لن يضعف ولن يتعب ") ، فكيف يعقل أن الإله السّرمدي تجري عليه صفات الخلق كالتّعب والضّعف والموت ، فإذا مات الإله فلمن يترك تدبير العالم وتصريف شؤون الخلق (٢) . جاء في إنجيل يوحنا قول المسيح : (الكلام الذّي تسمعونه مني ليس لي بل للأب الذي أرسلني) (٣) . ففي هذا النّص الإنجيلي اعتراف برسالته وبأنّ دعوته وحي من عند الله ، وإلى جانب هذه الشّهادة من الإنجيل على رسالة المسيح هناك شهادة على وحدانية اللّه بصريح الإنجيل ففي إنجيل متى :(لا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذيّ في السّموات) (٤) فهذا اعتراف صّريح بوحدانية اللهّ سبحانه وتعالى ، وفي الإنجيل نفسه :<< ومن حلف بالسّماء فقد حلف بعرش اللّه وبالجالس عليه >> (٥) وهذا إقرار بالألوهية المطلقة البعيدة عن الشّرك والتثّليث يقول محمد أبو زهرة :<<ينصّ القرآن الكريم على أن عقيدة المسيح عليه السّلام هي التوّحيد الكامل ، التوّحيد بكل شعبه ، التوّحيد في العبادة ، فلا يعبد إلا اللّه ، والتوّحيد في التكوّين فخالق السمّوات والأرض وما بينهما هو اللهّ وحده لا شريك له ، والتوّحيد في الذاتّ والصّفات ، فليست ذاته مركّبة ، وهي منزهّة عن مشابهة الحوادث >>(٦)

---

(١) - انظر الكتاب المقدس (انجيل لوقا) .
(٢) - رحمة الله الهندي : المصدر السابق ،ج٢ ، ص ١٣١٥ .
(٣) - إنجيل يوحنا : الإصحاح ٢٤ ، باب ١٤ .
(٤)- متى : ٩ / ٢٣ .
(٥)- متى : ٢٢ / ٢٣ .
(٦) - محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، ص ٨٤ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد وردت عبارة صريحة في الإنجيل أن المسيح عليه السلام هو ابن الإنسان وليس ابن الله ففي إنجيل متى : (أقول لكم من الآن لا تبصرون ابن الإنسان) (١) ويقول محمو د بن الشريف : (وكذلك وردت لفظة ابن الإنسان في الإصحاح التاسع آية ٦ من هذا الإنجيل السابق وفي الإصحاح ١٣ آية ٣٧ على أن متى قال أول كلمة في إنجيله في الإصحاح الأول " كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم " فذكر نسبه الصحيح ولم يقل أنه الله ولا أنه ابن الله ولا أنه إله من إله) (٢) .

ويقول أحمد سليمان الجبهان : (إن تأليه المسيح كانت نكسة قاتلة ، أصابت النصّرانية في صميمها ، ونقلتها برمتها من ديْن سماوي إلى وثنية خالصة ، ولم يكن هذا مستغربا من أهل كتاب عبثت به الأهواء ، ولعبت به الدّسائس ، وتناولته الأيدي الخفية بالتحّريف والتزّوير ، بل المستغرب أن لا يقع ذلك الإنحراف، لأن من القواعد العلمية المسلّمة أن ما بني على الفاسد فهو فاسد مثله وحجة هؤلاء في تأليه المسيح ، إحياء الموتى ، وولادته من غير أب ، وورود نصوص من الأناجيل تشعر بألوهيته أو بنوته لله) (٣). وبعد أن عرض أحمد سليمان الجبهان حجج النصّارى في تأليه المسيح تتبّعها بالحجة والدلّيل، وأدحضها من عدة وجوه نوجزها فيما يلي : ١- إن الإحياء والإماتة بيد اللّه عز وجل ، وأن عيسى -عليه السلاّم -سبب من الأسباب كما يتسبّب الدواء في الشفاء ويؤيد الجبّهان قوله بأن الأناجيل المسيحية ورد فيها وعد إلهي بأن من استقام على شريعة عيسى - عليه السلام - واتبّع وصاياه ، وتعاليمه، التّي أوصى بها فإنه يكون مستحقّا لكرامة اللّه ، التيّ تتجلّى في إحياء الموتى على يديه ، وقد حدث أن هذه المعجزة ظهرت على يد بعض رجالات المسيحية وهم أقل شأنا من المسيّح عليه السّلام ، وأوفرهم حظا في ذلك حزقيال، الذي أحيا اللّه على يديه خلقا كثيرا ، فاق في عدده عددً من أحيا الله على يد المسيح ، وهذا حسب رواية الإنجيل .

---

(١)- متى : الإصحاح ٢٦ (الآية ٦٤) .
(٢)- محمود بن الشريف : المصدر السابق ، ص ١١٤ .
(٣)- أحمد سليمان الجبهان : المصدر السابق ، ص ٨٠ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ٢ويناقش الجبهان القائلين بأن المسيح ما استحقّ وصف الألوهية إلا، لأنه خلق من غير أب ، ويجيب على ذلك بأنه لو اعتمدنا على هذه الحادثة ، وجعلناها مستحقّا من مستحقّات الألوهية ، لكان آدم- عليه السلام -أولى بها لأنهّ خلق من غير أب ومن غير أم ،

وأسجد اللّه له ملائكته ، ولم يسجدها لعيسى- عليه السلام - والحق أن الحسم في هذه المسألة يكمن في الرجّوع إلى القرآن الكريم ، الذيّ ردّ على الذينّ ارتابوا في طريقة خلق عيسى عليه السّلام - فقال :<<إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون >> (١) . ولعل الجبهان في معرض ردهّ على فرية التأليه ، كانَ يلوحّ إلى هذا الدليّل القرآني .

- ٣ إن جمع النصّارى بين القول ببنوة المسيح للهّ وبين القول بألوهيته يوقعهم في تناقض صرّيح ، لأنهّ لا يعقل أن يكون أبا لنفسه وابنا لها فهذا عين الحق إن أنكروه ، واستساغت عقولهم الجمع بين الصّفتين كان لزاما عليهم أن يبحثوا عن ثالث حتى تكتمل عقيدةالتثليث ، التيّ هي جوهر العقيدة النصّرانية .

- ٤ ما ورد في الأناجيل مما يوهم بألوهية المسيح أو بنوته للهّ مرفوض أصلا لأنه لا يقوم عليها دليل يثبت صحّتها ، أو أنها من وحي عيسى وإلهامه ، هذا علاوة على أن هذه الأناجيل لا تحوي في طياتها أية إشارة إلى ألوهية عيسى -عليه السّلام - .

-٥ إن ماعرف عن السيّد المسيح من عبادته ونسكه واحتياجه للهّ تعالى كافٍ لإبعاد شبهة التأليه عنه من كافة الوجوه (فعيسى بشر ويخضع للسنّن الكونية ، وتحكمه النواميّس التيّ تحكم البشر ولا يوجد دليل واحد على أنه يستحقّ التأّليه)(٢) .

---

(١) - آل عمران : ٥٩ .

(٢) - أحمد سليمان الجبهان : المصدر السابق ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ونرى أن القرآن الكريم يقرن لفظ المسيح أو عيسى بكلمة ابن مريم، ليبطل زعم النصّارى بأنه إله أو جزء من الإله يقول عبد الحليم محمود :(كما ينبّه القرآن المسيحيين إلى أن المسيح وأمّه كانا يأكلان الطعام ، ومن البيّن أن الذي يأكل الطعام فيتحوّل في جسمه دما،ولحما،وعظاما وينضح عرقا،ويخرج فضلة لو بقيت في الجسم لأضرّته ، ومن الواضح أن كائنا من هذا النّمط لا يمكن أن يكون إلا بشرا ، خاضعا لكلّ القوانين البشريّة التيّ لا تؤدي إلى نقص في مرتبته كرسول) (١) .

فالنصّ القرآني يقرّ أن المسيح - عليه السلام- بشر وأنه قد تبرّأ من دعوى الألوهية (وينفي ما ألصقه به المحرّفون والمخرّفون من أتباعه وأشياعه ، ويعترف بأن علمه محدود وأجله محدود ، وأنّه عبد خاضع ورسول أمين لا يبلغ إلا ما أمره مولاه أن يبلّغه ، فهذه هي طبيعة المسيح الحقّة كما أثبتها القرآن الكريم والإنجيل الإلهي) (٢) .

---

(١) - عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفي في الإسلام ، مكتبة الأنجلو ، سنة ١٩٢٤ ، ص ٧٤ .

(٢) - محمود بن الشريف : المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني :

الإنجيل في ميزان القرآن الكريم :

لقد ورد ذكر الإنجيل في القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : << وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور، ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين >> (١) . وقوله :<< نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس >> (٢) . وفي السورة نفسها :<< ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل >>(٣) و قوله تعالى:<< الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل >> (٤) .

و قوله تعالى:<< إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن >> (٥) .و قوله تعالى: << ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل >> (٦) . و قوله تعالى :<< ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل >> (٧) .

فقد ذكر الإنجيل في هذه المواطن كلها بصريح لفظ << الإنجيل >> وهناك إشارات تلميحية أخرى في آيات أخرى كما في سورة مريم :<< وآتاني الكتاب >> و قوله تعالى :<< وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيئون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون >> (٨) .

---

(١)- المائدة : ٤٦ .
(٢)- آل عمران : ٣ .
(٣) - آل عمران : ٤٨ .
(٤) - الأعراف : ١٥٧ .
(٥) - االتوبة : ١١١ .
(٦) - الفتح : ٢٩ .
(٧) - الحديد : ٢٧ .
(٨) - البقرة : ١٣٦ .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والإنجيل كما ذكر القرآن الكريم ، وكما أشارت إليه الآيات السالفة هو كتاب إلهي أنزل على عيسى هداية ونورا لبني إسرائيل :<< دعاهم فيه إلى عبادة الله الواحد وبشرهم فيه بالرسول النبي الأمي وباقتراب زمن بعثه بشريعة جديدة تحمل الخير والسماحة والمعروف وتحل الطيبات وتحرم الخبائث وتضع عن الأناسي إصرهم وأغلالهم وفي البشارة بهذا النبي إشارة إلى أصحابه ومثل لهم >> (١) . كما أقر القرآن الكريم أن الإنجيل قد تناوله التحريف والتبديل ، فهذه هي معالم الإنجيل الإلهي كما صورها القرآن الكريم ، ولهذه الإعتبارات أمر الله سبحانه وتعالى النصارى إلى العمل به والإحتكام إليه ودعا إلى ذلك في صراحة قال تعالى :<< وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ >> (٢) .دون زيادة ودون خروج عن هدي شريعته ولكن الذي حصل وسجله القرآن الكريم أن النصارى حرفوا الإنجيل الإلهي وحرفوا فيه الكلمة عن موضعه، فكان ذلك داعية لنسخه بالجملة .

وإن أكبر شطط وقع فيه النصارى هو الكفر بمحمد -صلى الله عليه وسلم - الذي أمروا بالإعتراف الصريح برسالته ومبعثه ، كما ورد ذلك في الإنجيل الذي أنزل إليهم ،فإن الإنجيل الحقيقي بشر بمحمد وبرسالته كما وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم بقوله تعالى :<< الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ (٣) . ونفهم من هذه الآية الكريمة أن الإشارة إلى الرسول الخاتم وإلى رسالته الخاتمة لم تكن إشارة بعيدة ولكنها تدوين وكتابة لصفات ذلك الرسول وخصائص تلك الرسالة ، وقد دل منطوق الآية الكريمة على أن الأمر بالإيمان بمحمد يتطلب بالضرورة اتباع شريعته وانتهاج سبيله ، يقول ابن حزم : (وأما قول الله عزوجل :<< يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ >> (٤) .فحق لا مرية فيه ، وهكذا نقول ، ولا لهم إلى إقامتها أبدا لرفع ما أسقطوا منهما ، فليسوا على شيء إلا الإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم- فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والإنجيل وكلهم يؤمنون حينئذ بما أنزل الله فيهما ، ويكذبون بما بدل فيهما ما لم ينزل الله تعالى فيهما ، وهذه هي إقامتها حقاً >>) (٥) .

---

(١)-محمود بن الشريف : المصدر السابق ، ص ١٦٧ .
(٢)- المائدة : ٤٧ .
(٣) - الأعراف : ١٥٧ .
(٤) - المائدة : ٦٨ .
(٥) - انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ،تحقيق عبد الرحمن خليفة ١٣٤٧ هـ، ج١ ، ص١٥٨ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثم قال : (وأما قوله تعالى : << وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ >> (١) . فحقّ على ظاهره ، لأنّ اللّه تعالى أنزل فيه الإيمان بمحمّد - صلّى اللّه عليه وسلّم - واتبّاع دينه ولا يكونون حاكمين بما أنزل اللّه فيه إلا باتبّاعهم دين محمّد -صلّى اللّه عليه وسلّم- فإنّما أمرهم اللّه تعالى بالحكم بما أنزل في الإنجيل، الذّي ينتمون إليه فهم أهله ، ولم يأمرهم قط بما يسمى إنجيلا وليس بإنجيل ولا أنزله اللّه) (٢) .

و أما قوله تعالى : << وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ >> (٣) . كما بينّها ابن حزم ، ولا يصح إلا بالإيمان بنبوة محمّد -صلّى اللّه عليه وسلّم- في إنجيل مرقص : << جاء يسوع إلى الجليل يبشر ببشارة ملكوت الله ، ويقول : قد كمل الزمان ، واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل >> (٤) .

هناك إذن إنجيل أصيل أنزله اللهّ على عيسى، إنجيل إلهي مقدسّ ، ولكن أين ذلك الإنجيل ؟ وما مصيره ؟ . من المقطوع به عند المحققّين أن الإنجيل الربّاني الذيّ أنزله اللّه على عيسى هو بيقين ليس هذه الأناجيل الموجودة لدى النصّارى اليوم ، فهذه الأناجيل من صنعهم وابتداعهم ولا أثر فيها للإنجيل الذي أنزله اللّه و المبرّأ من التّحريف والتّبديل كما نصّ القرآن الكريم علاوة على اختلافها وتعدّدها . فإن اللّه عزوجل أنزل إنجيلا واحدا فكيف أصبحت أربعة أناجيل ؟

وإن كل باحث منصف ليتساءل : أين يوجد اليوم إنجيل المسيح الذي ذكره القرآن الكريم ؟ إن الإنجيل الذي أتى به المسيح وبشر به لا يوجد الآن ، وإنما توجد قصص ألفها التلاميذ وغير التلاميذ ولم تسلم من المسخ والتحرّيف بالزيادة والحذف ، فالمسيح ابن مريم جاء إلى أصحابه بكتاب هو الإنجيل ، ولكن النّاس على مرّ الزّمان تركوا ذلك الإنجيل ، وترتبّ على ذلك ضياعه واستمساكهم بكتب ألف بعضها تلاميذ المسيح وبعضها ألفها تلاميذ تلاميذه أو من بعدهم ، وقد كثرت الأناجيل كثرة فاحشة حتى أربت على المائة >> (٥) .

---

(١)- المائدة : ٤٧ .

(٢) - ابن حزم : المصدر السابق .

(٣) - المائدة : ٤٧ .

(٤)- إنجيل : مرقص ، الإصحاح الأول .

(٥) - عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ص ٣٩١، ٣٩٢ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والكنيسة المسيحية قد تصرّفت مع هذا العدد الهائل من الأناجيل تصرّفا عجيبا إذ رفضت الكثير منها وبخاصة ما يخالف رغبتها وأقرت الأناجيل الأربعة التي يتداولها النصّارى اليوم ، والتي تتسّم بانقطاع السند وكثرة الروّايات وعدم العلم التاّم بالمؤلف الحقيقي ، أو المترجم ومبلغ أمانته على الدّين وحرصه على الصدّق ، وعلى ما بينّها من الإختلاف الحقيقي المفضي إلى أن أحد الأقوال صادق وما عداه كاذب . وقد ذكر النجّار صورا عن تناقض هذه الأناجيل الحالية وعن اضطرابها واختلافها بشكل يلمس فيه الإنسان عدم الوثوق بما كتب فيها (١) . ويقول رحمة اللّه الهندي :<< إن التوّراة الأصلية وكذا الإنجيل الأصلي فقدا قبل بعثة محمدّ -صلىّ اللّه عليه وسلّم - والموجود الآن بمنزلة كتابين من السيروممجموعتين من الروّايات الصحّيحة والكاذبة ، ولا نقول إنهما كانا موجودين على أصالتهما إلى عهد النبي - صلىّ اللّه عليه وسلّم - ثم وقع فيهما التحّريف حَاشًا وكَلاَّ >> (٢) .

ويعللّ رحمة اللّه الهندي وقوع هذا التحّريف إلى ارتفاع الأمانة عن أقوال كاتبي هذه الأناجيل ، وفقدان السّند المتصّل وعدم فهمهم مراد المسيح من أقواله . ويقول : (قال صاحب (تخجيل من حرّف الإنجيل) في الباب الثاني من كتابه في حق هذه الأناجيل المشهورة هكذا :(إنها ليست هي الأناجيل الحقّ المبعوث بها الرسّول المنزلةّ من عند اللّه)) (٣). ثم يقول (وقال الإمام القرطبي في كتابه المسمّى << الإعلام بما وقع في دين النصّارى من الفساد والأوهام >> في الباب الثالث هكذا :<< إن الكتاب الذي بيد النصّارى الذيّ يسمونه الإنجيل ليس هو الإنجيل الذيّ أنزله اللّه على عيسى- عليه السّلام -) (٤).

(١)-عبد الوهاب النجار : المصدر السابق .
(٢)- رحمة الله الهندي : المصدر السابق ، ص ١١٣ .
(٣) - المصدر نفسه ، ص ١١٥ .
(٤) - المصدر نفسه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كما قال : (: وقال صاحب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون في بيان الإنجيل : كتاب أنزله الله سبحانه وتعالى على عيسى بن مريم – عليهما السّلام – ثم ردّد كون هذه الأناجيل الأربعة هي الإنجيل الأصلي بعبارة طويلة فقال : « وأما الذي جاء به عيسى فهو إنجيل واحد لا تدافع فيه ولا اختلاف ، وهؤلاء كذبوا على الله سبحانه وتعالى وعلى نبيه عيسى –عليه السلام – » (١) وقال صاحب (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) : « إن هذه التوراة التّي بأيدي اليهود فيها من الزيادة والتحريف والنقصان ما لا يخفى على الراسخين في العلم ، وهم يعلمون قطعا أن ذلك ليس في التوراة التي أنزلها الله على موسى ولا في الإنجيل الذي أنزله الله على المسيح ، وكيف يكون في الإنجيل الذي أنزله على المسيح قصة صلبه وما جرى له ، وأنه أصابه كذا وكذا ، وأنه قام من القبر بعد ثلاث ، وغير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى » (٢) .

إن الأناجيل التيّ يتشبث بها النّصارى اليوم هي بيقين ليست من إملاء المسيح ولا من وحيه وأنها كتبت من بعده على أرجح الروايات ، وأن الذين كتبوها أفدوها قداسة الكتاب الإلهي وجعلوها سّجلات، تواريخ وكتبا في السيرة فحسب ، وفقدت مع ذلك سندها إلى الحواريين وحتى إلى الكتاب الذيّن كتبوها ، يقول رحمة اللهّ الهنّدي :« إن أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متّصل لكتاب من كتب العهد العتيق والجديد ، وأعلم أرشدك اللهّ تعالى أنه لابدّ لكون الكتاب سماويا واجب التسّليم أن يثبت أولا بدليل تام أن هذا الكتاب بواسطة النبي الفلاني ووصل بعد ذلك إلينا بالسّند المتصّل بلا تغيير ولا تبديل ، والاستناد إلى شخص في الأوهام بمجرد الظنّ والوهم لا يكفي في إثبات أنهّ من تصنيف ذلك الشّخص ، وكذلك مجّرد ادعاء فرقة أو لا يكفي فيه »(٣) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(١)– رحمة الله الهندي : إظهار الحق ، ص ١١٧ .
(٢) – المصدر نفسه : ص ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ .
(٣) – المصدر نفسه .

٤- أن تكون نسبة الكتاب إلى الرّسول الذيّ نسب إليه ثابتة بالطريق العلمي ، بأن تثبت نسبة الكتاب إلى الرّسول ، بحيث يتلقآه الخلف عن السلف من غير أي مظنّة للانتحال .

وبعد أن أورد محمد أبو زهرة خصائص الكتاب السماوي والتي لا تتوافر بيقين في الأناجيل المسيحية التيّ يدعي النصّارى إلهيتها ونسبتها إلى المسيح فيقول :<<إن الكتب في الدين هي أساسه ، فإن لم تكن مستوفية للشروط السابقة لم يكن الاطمئنان إلى صحتها كاملا ، وتطرق إليها الريب والظن من كل جانب ، وبذلك يتهدم الدين من أساسه ، ويؤتى من قواعده ، ولا يكون شيئا مذكورا في الأديان ، بل يكون طائفة من أساطير الأولين اكتتبها طائفة من الناس ، وإدعوا بأنها دين ، ونسبوها لشخص في نفوسهم وقلوبهم >> (١)

ويذكر محمد أبو زهرة أن الكتب المقدّسة عند النصّارى لا تتوافر فيها الشرّوط السّابقة التي تجعل منها دينا سماويا بمعنى الكلمة فيقول :<<وهل الكتب المقدسة عند النصّارى سواء أكانت من كتب العهد القديم أم الجديد ، مستوفية هذه الشروط فتكون ملزمة للكافة لا يزعم النصارى أن هذه الكتب كتبها المسيح نفسه ، حتى في قوة نسبتها إليه ، ولكن يزعمون أن الذين كتبوها رسل من بعده مبعوثون بها يبشرون الناس بما فيها >> (٢) . وفي الخاتمة يتضح لنا أن الأناجيل الموجودة الآن محرفة وأنها غير الإنجيل الذي أنزله الله ، وأنها منقطعة الإسناد ومضطربة المتن ، ويكفي هذا لعدم الاطمئنان والوثوق بما فيها من أخبار وأحكام .

---

(١)- محمد أبو زهرة : المصدر السابق ،ص ١٥١ .

(٢)-المصدر نفسه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

٤- أن تكون نسبة الكتاب إلى الرّسول الذيّ نسب إليه ثابتة بالطريق العلمي ، بأن تثبت نسبة الكتاب إلى الرّسول ، بحيث يتلقاّه الخلف عن السلف من غير أي مظنّة للانتحال .

وبعد أن أورد محمد أبو زهرة خصائص الكتاب السماوي والتي لا تتوافر بيقين في الأناجيل المسيحية التيّ يدعي النصّارى إلهيتها ونسبتها إلى المسيح فيقول : <<إن الكتب في الدين هي أساسه ، فإن لم تكن مستوفية للشروط السابقة لم يكن الاطمئنان إلى صحتها كاملا ، وتطرق إليها الريب والظن من كل جانب ، وبذلك يتهدم الدين من أساسه ، ويؤتى من قواعده ، ولا يكون شيئا مذكورا في الأديان ، بل يكون طائفة من أساطير الأولين اكتتبها طائفة من الناس ، وإدعوا بأنها دين ، ونسبوها لشخص في نفوسهم وقلوبهم >> (١)

ويذكر محمد أبو زهرة أن الكتب المقدّسة عند النصّارى لا تتوافر فيها الشرّوط السّابقة التي تجعل منها دينا سماويا بمعنى الكلمة فيقول : <<وهل الكتب المقدسة عند النصّارى سواء أكانت من كتب العهد القديم أم الجديد ، مستوفية هذه الشروط فتكون ملزمة للكافة لا يزعم النصارى أن هذه الكتب كتبها المسيح نفسه ، حتى في قوة نسبتها إليه ، ولكن يزعمون أن الذين كتبوها رسل من بعده مبعوثون بها يبشرون الناس بما فيها >> (٢) . وفي الخاتمة يتضح لنا أن الأناجيل الموجودة الآن محرفة وأنها غير الإنجيل الذي أنزله الله ، وأنها منقطعة الإسناد ومضطربة المتن ، ويكفي هذا لعدم الاطمئنان والوثوق بما فيها من أخبار وأحكام .

---

(١)- محمد أبو زهرة : المصدر السابق ،ص ١٥١ .
(٢)-المصدر نفسه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث

- إنجيل برنابا وعقيدة القرآن الكريم في المسيح :

يعد إنجيل برنابا من أنصف الأناجيل وأصدقها على الإطلاق ، وأقربها إلى العقيدة الإلهية الصحيحة فلقد خالف أناجيل المسيحيين ورسائلهم في مسائل جوهرية في العقيدة فكان بذلك أقرب إلى مسيحية المسيح وإلى نظرة القرآن الكريم إلى المسيح والمسيحية ، وكانت هذه الإمتيازات التي أمتاز بها هذا الإنجيل داعية وذريعة للكنيسة لإنكاره ، يقول محمد أبو زهرة :<< وإنجيل برنابا هذا يمتاز بقوة التصوير وسمو التفكير والحكمة الواسعة ، والدقة البارعة ، والعبارة المحكمة والمعنى المنسجم ، حتى أنه لو لم يكن كتاب دين لكان في الأدب والحكمة من الدرجة الأولى لسمو وبراعة التصوير ، ولماذا أنكره المسيحيون ؟ على أن قوة النسبة فيه لا تقل عن قوة النسبة في كتبهم الأربعة ؟ والجواب عن ذلك : أن المسيحيين رفضوه لأنه خالف أناجيلهم ورسائلهم في مسائل جوهرية في العقيدة >> (١) .

والأمور التي خالف فيها إنجيل برنابا الأناجيل المسيحية تتلخص في أربعة أمور :

- **أولا** - لقد أبعد إنجيل برنابا عقيدة بنوة المسيح لله ، وكذلك إلهيته فقد جاء في مقدمة هذا الإنجيل :<< يا أيها الأعزاء : إن الله العظيم قد اختصنا بنبيه يسوع المسيح رحمة عظيمة للعالمين ، وخصه بمعجزات اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين فأخذوا يبشرون بتعاليم ممعنة في الكفر داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذي أمر به الله ، ومجوزين كل نجس . وقد ضل مع هؤلاء بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسف والأسى . وهذا ما دعاني لأن أسطر ذلك الحق الذي رأيته >> (٢) . من هذا النص الإنجيلي نفهم أن برنابا نفى الإلهية عن المسيح ووصفه بالنبي وهذا ما يوافق ما ذكره الله عن المسيح :<< لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلُ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ >>(٣) .

---

(١)- محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٢)- انظر إنجيل برنابا : المقدمة ، تحقيق سيف الله أحمد فاضل - دار القلم الكويت ، ط٢ ١٩٨٣ ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٣)- المائدة : ٧٢ .

حركة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولقد حكم برنابا بكفر من يعتقد أن المسيح ابن اللّه تماما كما حكا القرآن الكريم ، ويقول في أواخر الفصل الثالث والتسعين : <<أنه قدم على المسيح كبير الكهنة مع الوالي الروماني والملك هيرودوس ملك اليهود فذكر له كبير الكهنة أن فريقا من الناس يقولون إنه إله وأن فريقا آخر يقولون إنه ابن اللّه ، وطلب إليه أن يعمل على إزالة هذه الفتنة التي ثارت من أجله ، فقال له يسوع : وأنت يارئيس الكهنة لماذا لم تخمد الفتنة ؟ وهل جننت أنت أيضا ؟ وهل أمست النبوات وشريعة الله نسيا منسيا ؟ ثم قال : إني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أني بريء من كل ما قاله الناس عني من أنني أعظم من بشر . لأني مولود من إمرأة وعرضة لحكم الله أعيش كسائر البشر >> (١) . وهذه شهادة أخرى على بشرية المسيح ، التي نطق بها القرآن الكريم فلقد تبرأ المسيح من مؤلهيه كما قال تعالى : <<وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ >>(٢) .ويقول برنابا في آخر الفصل السبعين :<< إن يسوع قد نظر إلى الحواريين عندما بلغه إفتتان الناس به وادعاؤهم أنه إله أو أنه ابن الله ، وطلب إليهم أن يبدوا رأيهم في ذلك ، فأجاب بطرس < إنك المسيح ابن الله ، فغضب حينئذ يسوع وانتهره قائلا : اذهب وانصرف عني لأنك أنت الشيطان >>(٣) .

---

(١) - إنجيل برنابا : الفصل ٩٣ ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .
(٢) -المائدة : ١١٦ .
(٣)- إنجيل برنابا : الفصل ٧٠ ، ص ١٢٨ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ثانيا - لقد وافق برنابا القرآن الكريم في مسألة الذّبيح ، الذي تقدم به إبراهيم الخليل للفداء ، والذي هو اسماعيل -عليه السلام -وليس باسحاق كما هو مذكور في التّوراة وكما يعتقد المسيحيون ، وهذا هو نص ما جاء في إنجيل برنابا على لسان المسيح - عليه السلام - :(الحق أقول لكم أنكم إذا أمعنتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبنا وفقهائنا ، لأن الملاك قال : ياابراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله ؟ حقا يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله ، فأجاب ابراهيم : ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله فكلم الله حينئذ ابراهيم قائلا : خذ ابنك بكرك واصعد إلى الجبل لتقدمه ذبيحة ، فكيف يكون إسحاق البكر وهو لما ولد كان اسماعيل ابن سبع سنين ؟ !))(١) .

ثالثا - هو أن المسيح المنتظر ليس يسوع ، بل محمد ، وقد ذكر محمد - صلى الله عليه وسلم - باللفظ الصريح في هذا الإنجيل وقال عنه أنه رسول اللهّ ، وأن آدم لما طرد من الجنّة رأى سطورا فوق بابها بأحرف من نور «لا إله إلا الله محمد رسول الله » ولقد قال المسيح كما جاء في إنجيل برنابا « إن الآيات التيّ يظهرها الله على يدي تظهر أني أتكلم بما يريد اللّه ، ولست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه ،لأني لست أهلا لأن أحل رباطات أو سيور حذاء رسول اللّه الذي تسمونه «مسيا » الذي خلق قبلي ، وسيأتي بعدي بكلام الحق ولا يكون لدينه نهاية » . فهذا النّص الإنجيلي يوافق ما جاء في القرآن الكريم عن بشارة عيسى -عليه السلام - بمحمد - صلّى اللّه عليه وسلمّ - ليكون خاتما للأنبياء والرّسل وبرسالته لتكون خاتمة للرسّالات والنبوءات ، يقول الله تعالى :<< وإذْ قَالَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي اسرَائِيلَ إنيّ رَسُولَ اللّهِ إلَيْكُمْ مُصَدِّقَاً لِمَا بيْنَ يَدَيّ مِنَ التَوْرَاةِ وَمُبَشِّرَاً بِرَسُولٍ يأتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَد>> (٢) .

---

(١)- انظر: إنجيل برنابا .
(٢)- الصف : ٦ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا - لقد قرّر إنجيل برنابا أن المسيح -عليه السّلام - لم يصلب كما زعم النصّارى ولكن شبّه لهم تماما كما حكى القرآن الكريم الذي يقول عن المسيح - عليه السلام -: << وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ >> (١) ، وجاء في إنجيل برنابا :((الحق أقول أن صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشّبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه «يسوع» كذلك خرج بعضهم عن تعاليم المسيح يسوع معتقدين أنه كان نبيًّا كاذبا ؟، وأن الخوارق التي ظهرت على يديه إنما ظهرت بصناعة السّحر >> ثم يذكر أن يسوع طلب إلى اللّه أن ينزل إلى الأرض بعد رفعه ليرى أمه وتلاميذه وليزيل ما علق بنفوس النّاس من شك في أمره ومن اعتقاد بأنه صلب ، وأنه نزل ثلاثة أيام)) (٢) ثم يقول :((ووبخ كثيرين ممن اعتقدوا أنه مات وقال لهم : إن الله قد وهبني أن أعيش أتحسبونني أنا والله كاذبين ، الحقّ أقول لكم : إنني لم أمت ، بل الذّي صلب هو يهوذا الخائن أحذروا ، لأن الشّيطان سيحاول جهده أن يخدعكم ، وكونوا شهودي في كل اسرائيل وفي العالم أجمع على جميع الأشياء التي رأيتموها وسمعتموها))(٣) . فإنجيل برنابا كما رأينا قد أبطل زعم القائلين بصلب المسيح وحصر القضية في إلقاء الشّبه كما حكا القرآن الكريم ، وهذه هي بعض الموافقات القائمة بين إنجيل برنابا، و القرآن الكريم في المسائل، التّي عرضناها والتي تمثّل حقيقة العقيدة المسيحية ، ولكن مع هذا يجب أن نسجّل حقيقة ملحّة إلى أن الإسلام ليس في حاجة إلى شهادة هذا الإنجيل وإنما جئنابه لتأكيد نظرة القرآن الكريم إلى المسيح وإلى الإنجيل .

يقول عبدالواحد وافي :(إن الإسلام ليس في حاجة إلى كتاب كهذا تحوم حوله شكوك كثيرة لتأييد ما يذكره القرآن عن المسيح وحقيقة ديانته وتبشيره بالرّسول ، فالقرآن وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو الذي نتّخذه دليلا في الحكم على أناجيلهم المزعومة ومبلغ تحريفها للإنجيل ، الذي أنزله الله على عيسى ، ولا ينبغي أن نتخذ سفرا (٤) مشكوكا في صحة نسبته إلى صاحبه دليلا على ذلك ، ولا أن نعتمد عليه لإقناع المسيحيّين ببطلان ما أقرّوه من أناجيل)(٥) .

---

(١)-النساء : ١٥٧ .
(٢)- إنجيل برنابا .
(٣)- المصدر نفسه .
(٤) - سفرا : أي : كتابا كما في قوله تعالى :<< كمثل الحمار يحمل أسفار >> أي كتبا .
(٥) - علي عبد الواحد : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام
- مكتبة نهضة مصر - ١٩٦٤ م ، ص ٩٥ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فالقرآن الكريم إذن غني بأدلته على بطلان العقيدة النّصرانية ، التيّ خرجت عن أصولها السّماوية الصحيحة ومعرفة هذا الإنحراف العقائدي في النّصرانية لا يتمّ ولا تؤخذ حقيقته الباهرة إلا بالرجوع إلى نصوص القرآن الكريم ، الذيّ هو الكتاب الوحيد على وجه الأرض الموثوق بصحة روايته .

- المبحث الرابع :

القرآن الكريم وعقيدة التثليث :

من المعروف عند علماء الأديان أن العقيدة النّصرانية تقوم في جوهرها على ركنين مهمّين هما : التّثليث والصلب والفداء ، وما يتبعها من معتقدات أخرى تتّصل بالمسيح كالقيامة والدينونة ، وأحاول في هذا المبحث أن أسلطّ الضوء على عقيدة التثلّيث مستعرضا ردود القرآن الكريم عليها ومستأنسا بأقوال المفكرين المسلمين ، وكذا أقوال المفكرين المنصفين من غير المسلمين ، لأن الهدف من هذه الدراسة هوكشف الحقيقة بغضّ النظر عن مصدرها .

لقد عرض القرآن الكريم هذه العقيدة عرضا منطقيا،وعرض حيثياتها دون حكم مسبق ثم دعا أهلها دعوة منطقية بأن يلتزموا جادة الحق وأن يحكمّوا عقولهم ، ويحكمُوا بما أنزل اللهّ إليهم في الإنجيل الذيّ وردت فيه الدعوة الإلهية الصريحة لعبادة اللهّ الواحد الأحد والإيمان برسوله عيسى ، وبمحمد - عليه السّلام - الذي يجدونه مكتوبا عندهم في الإنجيل ، وعقيدة التّثليث كما عرضها القرآن الكريم تزخر بمزاعم ما أنزل اللهّ بها من سلطان ، و هي من نتاج التّحريف الّذي أوقعه النصّارى على الإنجيل الإلهي ، وخلاصة هذه العقيدة هي الزعم بأن اللهّ ثالث ثلاثة ، وأنه ثالث أقانيم متساوية ، الأب ، الإبن ،والروح القدس . ووفق هذه النظرة النّصرانية يكون المسيح إلها ، وهو ابن الله وفي الوقت نفسه هو بشر وإله ، وهو لا هوت وناسوت . يقول عبد الوهاب النجار :<< أما جماعة النّصارى فقد خلقوا لهم عقيدة هي أن اللهّ مركب من ثلاثة أقانيم : الأب والإبن والروح القدس ، وهذه كلهّا واحد فانحذر الله الذي هو الأب والإبن - على إختلاف أقوالهم - وحل في مريم وتجسّد إنسانا وولد منها وهو «يسوع » إلى آخر ما يقولون >>(١) . ثم يعلّق بعد عرضه

(١)- عبد الوهاب النجار : المصدر السابق ، ص ١١٧ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لعقيدة التثليث عند النصارى أن هذا الكلام الذي يزعمه النصارى هو بدع من القول ، ولم يقل به المسيح ولم يدع إليه ، ولكنه من إبتداع المسيحيين بعد إختلاطهم بالوثنيين الذين كانوا يدينون بالأقانيم وتجسّد الآلهة والصّلب والفداء ، ودخلوا في المسيحية حاملين لتلك العقيدة احبوا أن يوفقّوا بين ما ألفوه من عقيدة وبين هذا الدّين الجديد وأخذوا يؤلهون المسيح ويقولون : (ان اللّه انحدر منه (اقنوم الإبن) المتّحد مع الأب و (الرّوح القدس) وتجسّد في رحم مريم ثم خرج انسانا إلها) (١) .

هذه هي معالم عقيدة التثليث عند النصارى،وأوجه التّشابه بينها وبين التّثليث الذي ظهر في الدّيانات الوثنية ويصدر القرآن الكريم حكمه على هذه العقيدة الوثنية ويحكم بكفر من اعتنقها بقول الله تعالى :<< لَقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ >>(٢) . ويقول الله تعالى أيضا في موضع آخر :<< لَقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ، وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ >> (٣).

ففي هذه الآيات القرآنية يبطل اللّه سبحانه وتعالى في حكم صريح عقيدة التثليث والأوهام التيّ نتجت عنها ، ويؤكد القرآن الكريم حقيقة التوحيد الذي،قامت عليه دعوة المسيح ودعوات إخوانه من الرّسل ، ولهذا نجد أن القرآن الكريم كثيرا ما يقرن لفظ المسيح أو عيسى بكلمة ابن مريم ليقرع آذان النصارى بأنه ابن مريم وليس ابن الله كما زعموا . يقول رحمة الله الهندي :(إن أول الوصايا،التيّ هي مصرّح بها في التّوراة وفي جميع كتب الأنبياء وهو الحقّ وهو سبب قرب الملكوت أن يعتقد أن اللّه واحد ولا إله غيره ولوكان اعتقاد التثليث مدار النجاة لكان مبيّنا في التّوراة ،وفي جميع كتب الأنبياء،لأنهّ أول الوصايا)(٤) .

ونفهم من قول رحمة اللّه الهندي أن مدار كل الرّسالات السّماوية هو التّوحيد الخالص ، فالتّثليث عقيدة دخيلة

---

(١)- عبد الوهاب النجار : المصدر السابق ، ص ١٢٣ .
(٢)- المائدة : ١٧ .
(٣) - المائدة : ٧٣ ، ٧٤ .
(٤) -رحمة الله الهندي : المصدر السابق ، ص ١١٨ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

على العقيدة الإلهية ودعوة المسيح كما يفهم من هذا النصّ دعوة توّحيدية ، قد نطقت أقوال المسيح في الأناجيل بذلك كما بيّناه في المبحث الخاص بالمسيح في الإنجيل . ولقد اهتم أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ بالعقيدة المسيحية ويرجع ذلك إلى الجدل الإسلامي المسيحي الّذي احتدم في عصره ، ورسالة الجاحظ في الردّ على النصارى هي أبرز أعماله في ميدان المقارنة بين الأديان ولقد بيّن الجاحظ في رسالته هذه أن القرآن الكريم أبطل عقيدة التّثليث ، التي اشتهرت بها النصرانية في عصرما بعد المسيح . وعن عقيدة التّثليث عند النّصارى ، يقول الجاحظ :(القاعدة الثانية وهي الإيمان بالتّثليث ، فعندهم لا يمكن دخول الجنّة إلا بالإيمان به فيؤمنون بأن اللّه ثالث ثلاثة وأن عيسى هو ولد اللّه ، وأن له طبيعتين : ناسوتية ولاهوتية ، وتلك الطبيعّتان صارتا شيئا واحدا فصار اللاّهوت إنسانا محدثا تاما مخلقا ، وصار النّاسوت إلها تاما خالقا غير مخلوق وبعضهم يقول الثّلاثة هم : اللّه ، وعيسى ، ومريم)(١) . وبعد أن عرض الجاحظ هذه الأقوال في عقيدة التثليث طفق يردّ على هذه الأقوال ويمكن أن نلخّصها في النقاط التالية :

مقتضى قول النصارى أن المسيح ابن اللّه يقضي أن تكون ذاته كذات الله وله علم كعلم وقدرة الله إلى سائر الصفات الأزلية ، وإذا اعتمدنا على هذه المعطيات فإننا نحكم ببطلان عقيدة التثليث بنص الإنجيل ،الذِي مايز بين الصفات الإلهية وهو الإله الأزلي وبين الصفات الخاصة بالمسيح الذي لا يمكن أن يرقى إلى هذه المرتبة من العظمة ففي انجيل ماركوس -في الفصل الحادي عشر -أن الحواريين سألوا عيسى -عليه السلام -عن الساعة التي هي القيامة ، فقال لهم أن ذلك اليوم لا يعلمه إلا الملائكة الذين في السماء ولا يعلمه إلا الأب وحده ويعني الله تعالى ، فهذا النّص الإنجيلي فيه إقرار من عيسى بأنه ناقص علم عن الملائكة ، وان اللّه هو المنفرد بعلم الساعة وقيامها ، وكيف يتقرر في عقل إنسان أن اللّه مازج بعض مخلوقاته حتى صار شيئا واحدا ؟ ويواصل الجاحظ نقده لعقيدة التّثليث فيسوق هذه العبارة << أين كان لاهوته لما مات ناسوته ولا سيما على قولهم إنهما اتحدا ، وتمازجا ، والتحما

---

(١) -انظر : الجاحظ : قبس الأنوار في الرد على النّصارى والكفار (مخطوطة بدار الكتب المصرية) ، ص ١٩ .

فما الذيّ فرّق بينهما عندما ضرب جسده بالسياط على زعمهم وعصب رأسه وصلب على خشبة وطعن بالرمح حتى مات وهو يصيح خوفا ، وجزعا ، فأين غاب لاهوته عن ناسوته في هذه الشدائد مع الممازجة والإلتحام على قولهم ، وهم يزعمون أن لاهوته فارقه عند الصّلب والقتل وهبط إلى جهنّم فاخرج منها الأنبياء وكان ناسوته في القبر مدفونا ، رجع إليه لاهوته فاخرجه من القبر ورجع إليه وصعد به إلى السماء !! فكل هذه دعاوي باطلة >> (١) .

ويضيف الجاحظ معلّقا على هذه الدّعاوي، التيّ لا تتوافق مع المنطق والعقل :<< حاشا أن يكون الخالق الأزلي قد استحال لحما ودما ويكون له ولد في الأرض أوفي السماء وتعالى اللّه أن يحل في بشر ويموت كيف وهو الحي الذّي لا يموت ، أو يصير بذاته القدسية في بطن امرأة وهو الذي وسع كرسيه السّموات والأرض ، لابدّ في الذّي صير لأحدهما أبا والآخر ابنا أن يكون غيرهما فمن الذيّ خصّص هذا بالأبوة وهذا بالبنّوة دون التعاكس ؟>>(٢) .

ونلاحظ أن عقيدة التثّليث هي بدعة مسيحية وأنها عقيدة تجافي العقل والمنطق وفي هذا يقول أبو زهرة :<< وترى أنهم (أي النصّارى) لم يعتمّدوا في إثبات تلك العقيدة على أي دليل عقلي ، بل كل اعتمادهم على ما عندهم من نقل يحمّلونه من أثقال المعاني ما تنوء به العبارات ، ولا تحتمله أبعد الإشارات ، وأنهّم إذا حاولوا أن يربطوا قضية التثّليث بالعقل حاولوا جهد الطاقة أن يجعلوا العقل يستسيغها في تصوّره ، ويحسّون أن العقل لا يكاد يستسيغ ذلك التّصور >>(٣) . فعقيدة التثليث عند النصارى تفتقر إلى السنّد النقلي من إنجيل أو قرآن ، وكذلك السنّد العقلي كما بيّنته .

وخلاصة القول في عقيدة التثّليث أن القرآن الكريم تناول نقد هذه العقيدة ببيان الأصل التّوحيدي للنّصرانية .

---

(١) - الجاحظ (عمرو بن عثمان بن بحر) : المصدر السابق .
(٢) - المصدر نفسه
(٣) - محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص ١٧٩ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والذي أشار إليه القرآن الكريم كما قال اللهّ تعالى :<< لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ >> (١) .فالحكم على أهل هذه العقيدة بالكفر يعني أن هذه العقيدة تمثّل شططا،وانحرافا عقائديا الذيّ عابه اللهّ تعالى على أهل الكتاب من النصّارى حيث يقول اللهّ تعالى :<< يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الحَقَّ ، إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ ، انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا >>(٢) . فقد جعل القرآن الكريم التّثليث والزّعم بألوهية المسيح غلواّ في الدّين، والغلوّ كما ذكر أهل اللّغة هو مجاوزة الحدّ والخروج عن الأصل ، فهذه الآية الكريمة تبيّن في وضوح، وحكم صريح أن النصّرانية كما بيّن القرآن الكريم دين توحيد، وبعيدة عن الغلو العقائدي الذيّ تسرّب إلى النصّرانية في عصر ما بعد المسيح .

وبعد أن أثبت القرآن الكريم الأصل التّوحيدي للنصّرانية، والصبغة الإعتدالية لهذه الديانة، راح يذكّر النصّارى بطبيعة المسيح، التّي تحدث عنها الإنجيل وحكاها القرآن الكريم فذكر أن المسيح لا يمكنه أن يكون إلها وأن اللهّ لا ينبغي له أن يكون ثالث ثلاثة، لأن اللهّ أمعن في الطبّيعة البشرية للمسيح حتىّ يصرف أذهان النصّارى عن اعتقاد ألوهيته .

ومن خصائص هذه الطبيعة والتيّ تقضي ببطلان عقيدة التّثليث كما بيّنها القرآن الكريم :

-١ نسبة المسيح - عليه السلام - إلى مريم ، فلا يكون إلها من وُلد من بشر .

-٢ الحديث عن رسالة المسيح .

-٣ الإستدلال بقدرة اللهّ سبحانه وتعالى على بطلان عقيدة التّثليث .

وسيظل ذلك النصّ القرآني بما يحمل من دلائل على جوهر النصّرانية الحقّة ونقائها سيظلّ مسجّلا

(١)- المائدة : ٧٣ .

(٢) -النساء : ١٧١ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

على أهل التّثليث غلوّهم وميلهم عن دعوة المسيح . ويدعو القرآن الكريم النّصّارى إن كانوا أتباع المسيح حقّا وحملة الإنجيل، الذّي أنزله اللّه عليه أن يثوبوا إلى عقيدته الحقّة القائمة على التوّحيد، وعلى تنزيه اللّه سبحانه وتعالى من الأوصاف، التيّ تتنافى مع خصائص الألوهية الحقيقية . وعن مخالفة هذه العقيدة المسيحية للحقّ والواقع ومجافاتها للعقل والمنطق تحدثت كتب إسلامية كثيرة ، وناقشت فيها هذه العقيدة وأثبتت زيفها وزيغها، والكتب التي تناولت هذه العقيدة أكثر من أن تحصى في القديم والحديث .

وليس في كتبِ النصّارى ما يدل علّى أن المسيح قال بعقيدة التثليث أو دعا إليها ، بل فيها ما يدلّ على وحدانية اللّه وعلى إنسانية المسيح وعبوديته للهّ ، وإنّ المتصفّح للإنجيل يقف على هذه الحقائق .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الخامس

القرآن الكريم وعقيدة الصلب والفداء وسلطة الرؤساء :

- أولا : القرآن الكريم وعقيدة الصلب والفداء

عقيدة الصّلب والفداء أو كما يسمّيها علماء الأديان « عقيدة المسيح المخلّص » هي قطب الرّحى في عقيدة النصّارى ، إذ تقول أكثر الفرق المسيحية بالكفّارة والصّلب ، التيّ معناها عندهم أن عيسى - عليه السّلام - صلب تكفيرا لخطيئة آدم الأزلية ، وفداء للبشر من بعده بحكم الدّينونة ، ومعنى هذا الكلام على حد قول بعض المفكرين ، آنّ النّصارى ينفون التّوبة عن آدم من خطيئته حسب زعمهم إذ لو ثبتت التّوبة لبطلت عقيدة المسيح المخلص، التيّ تقوم عليها العقيدة النصرانية ، ولذلك فقد اتّهموا آدم -عليه السّلام - بالتمرّد والدنّس تبريرا لفكرة الكفّارة والصّلب ، وهذا ما يتنافى مع عصمة الأنبياء ، التيّ تحدثت عنها المصادر الإسلامية ، وينقل محمد مجدي مرجان في كتابه « المسيح إنسان أم إله » عن القسّ لبيب ميخائيل قوله : << لقد كان آدم نائبا وممثّلا لجميع الجنس البشري الذي كان في صلبه يوم تعدّى وصيّة اللّه ، فبعد طرده من الجنّة ولد نسلا « ساقطا »(١) نظيره في حالة الفساد الروحي، والأدبي وتحت حكم الموت والدينونة، التي استحقّها بعصيانه وتمرّده على اللّه ، قد ورّث هذا النّسل عن أبويه الأولين حياة العداوة للّه أو التّمرد على شرائعه ووصاياه >>(٢). وهذا النّص يحمل إساءة أيّما إساءة لآدم - عليه السّلام - الذي وصفه اللّه سبحانه وتعالى بما يليق بمقامه ، ولا بد هنا أن نرد على هذه الفرية النّصرانية في جنب آدم - عليه السّلام -الذي نسبوا إليه كل معاني التّمرد والتكبّر والتعاظم على اللّه خلافا للصورة البريئة، والمشرفة التيّ أظهره فيها القرآن الكريم ، فمعصية آدم - عليه السلام - لم تكن معصية بالمعنى المشاع ، فالقرآن الكريم لا يؤخذ بظاهر لفظه وإنما بمدلولِ معانيه فلقد كانت فعلة آدم التي حكاها القرآن الكريم هي في الحقيقة من

---

(١) - كان آدم - عليه السلام - كما ذكر القرآن الكريم نبيا لله ، ولم يكن ساقطا كما يزعم هذا المفتري الكذاب .

(٢)- محمد مجدي مرجان : المسيح إنسان أم إله هذبه وحققه وعلق عليه عبد الرحمن دمشقية ، ص ١٢٣ ، عن لبيب ميخائيل (قضية الصليب) ، ص ٨١ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قبيل نسيان الطبيعة البشرية القائمة على الخطيئة وإذا اعتمدنا على هذا المعنى فإننا نحكم ببراءة آدم – عليه السلام – ، وهذه النظرة أسلم وأوفق مع نظرة الإسلام القائمة على عصمة الأنبياء ، فالمعصية تنافي العصمة . وبعد هذه التوطئة نورد أقوال النصارى حول عقيدة الكفارة والصلب ثم نتبعها بالنصوص والردود القرآنية التي تبطلها من أساسها .

لقد علل النصارى فكرة الكفارة والصلب بأن خطيئة آدم لا تغتفر بدون سفك دم ، ومعناه عندهم دم المسيح – عليه السلام – الذي وحده –دون سائر الدماء البشرية – أحرى أن يكفر هذه الخطيئة وينقل محمد مجدي مرجان عن بولس قوله : (لا توجد مغفرة بدون سفك دم) (١) . (وهذا الدم في نظر النصارى لا يمكن أن يكون دما بشريا ، فالبشر ملوثون ودماؤهم نجسة ، بل لا بد أن يكون الدم دما إلهيا طاهرا ، ولكن في الوقت نفسه يمثل البشرية فهو دم طاهر – ولا طاهر إلا الله – ويمثل الإنسان)(٢) .

ونظرة القرآن الكريم إلى المسيح أنه لم يصلب ، وأن اللّه قد رفعه إليه لها ما يؤيدها عند بعض المسيحيين فلقد أنكرت بعض العقول المسيحية المتحررة فكرة صلب المسيح كماقال عوض سمعان حيث قال :(على الرغم من الأدلة الواضحة التي تثبت أن موت المسيح كان كفارة عنا إلا أن بعض الفلاسفة المنتمين إلى المسيحية أمثال : مرقيون ، وستروس ، ورينان ، وهولتزمان ينكرون هذه الحقيقة) (٣) .

وقال عوض سمعان في المرجع السابق تحت عنوان :(تاريخ إنكار موت المسيح وأسبابه) :(ظهر في القرن الثاني للميلاد فلاسفة أطلقوا على أنفسهم : (الغنوسيين) فأنكروا صلب المسيح ، وقالوا أن شمعان القيرواني رضي أن يصلب عوضا عن المسيح ، لذلك جعل اللّه هيئته مثل هيئة المسيح وترك شمعان ليصلب عوضا عنه ، وقال الدوكيتيون أن المسيح لم يصلب مطلقا ، إنما تراءى للناس أنهم صلبوه وقد أطلقوا على أنفسهم هذا ، لأنه مشتق من فعل يوناني معناه (يظهر) أو(يتراءى) للدلالة على عقيدتهم هذه .

---

(١) -محمد مجدي مرجان : المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٢)-المصدر نفسه : ص ١٢٤ .

(٣) - انظر : عوض سمعان : قضية الغفران في المسيحية ، النهضة الجديدة بالفجالة ١٩٥١ ، ص ١٢٨ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وإذا رجعنا إلى التاريخ وجدنا أن فكرة صلب المسيح لم تندثر كما اندثر غيرها من أفكار الفلاسفة، التي ظهرت في القرون الأولى للمسيحية، بل كانت تظهر من وقت إلى آخر في بلدان متعددة بواسطة أشخاص كانوا يدعون العلم والمعرفة، ففي سنة ١٧٥ م قام فريق من نسل كهنة طيبة الورعيين الذين اعتنقوا المسيحية وقالوا حاشا للمسيح أن يصلب بل إنه رفع إلى السماء سالما >>(١).

فهذه الأفكار المسيحية، التي تنكر صلب المسيح قد أنكرتها المجامع المسيحية، التي تقول بهذه العقيدة رغم مخالفتها للمنطق، والعقل، ومجافاتها لطبيعة المسيح نفسه، التي تحدثت عنها المصادر المسيحية نفسها، فالمسيح في اعتقاد النصارى إله، والصلب يتنافى مع دعوى الألوهية وفي هذا المعنى يقول رحمه الله الهندي: << إنكم يا أصحاب عقيدة الصلب تعترفون بأن اليهود أخذوه وصلبوه، وتركوه حيا على الخشبة وقد مزقوا ضلعه وأنه كان يحتال في الهروب منهم وفي الإختفاء عنهم وحين عاملوه بتلك المعاملات أظهر الجزع الشديد، فإن كان إلها حقا أو كان الإله حالا فيه، أو كان جزءا من الإله حالا فيه فلم لم يدفعهم عن نفسه ولم يهلكهم بالكلية؟ وأي حاجة به إلى إظهار الجزع منهم والاحتيال في الفرار منهم؟>>(٢).

فإظهار الجزع عند الصلب، هو دليل آخر - على حد قول رحمه الله الهندي على بطلان عقيدة الصلب فالجزع يدل على أن المسيح بشر وليس بإله، وهذا ما يوقع النصارى في التناقض الصريح ويبقى أن نؤكد أن القرآن الكريم بنصوصه الصريحة، التي تحدثت عن قضية الصلب هي المرجع الموثوق به، والذي يعول عليه في نفي قضية صلب المسيح التي يقول بها النصارى.

وخلاصة نظرة القرآن الكريم إلى الأنبياء أنها نظرة تقوم على العصمة، فلقد شهد القرآن الكريم لأنبياء الله ورسله أنهم كانوا أهل صلاح وتقوى: << وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ >> (٣).

---

(١)- عوض سمعان: المصدر السابق، ص ٨٩.
(٢)- رحمة الله الهندي: المصدر السابق، ج٢، ص ١٦.
(٣)- الأنبياء: ٧٣.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

• يقول أبو الحسن النّدوي :(لقد كان في هذه العصمة والأمانة والنزاهة التيّ اتصّف بها الأنبياء ضمان لسلامة اتباعهم وأمتهم ، في العقائد والشرائع وأمان مما استهدفت له الأمم والأجيال البشرية الماضية من الوقوع في المهالك والتورّط في الشّبهات والحيرة في أمر هؤلاء القادة) (١) . ولابد أن أشير إلى أن الفداء في اعتقادات النصّارى يختلف عن الشّفاعة التّي تحدّثت عنها الأحاديث الصحيحة ، ذلك أن هذه الشّفاعة لا تعني أن يتحمّل الرّسول - صلّى اللّه عليه وسلّم- أوزار العباد، ولا أن يضع عنهم سيئاتهم وإنما معناها أن الإنسان قد تبقى في ذمّته مع إصراره على التخلّص من الخطيئة ، بعض الكبائر فيشفع الرّسول له عند اللّه ، فالشّفاعة إذن منحة من اللّه وليست منحة ولا توسّطا من الرّسول خلافا لعقيدة النصّارى في المسيح كما بينّته سابقا ، ويزيد هذه القضية وضوحا محمد رشيد رضا حيث يقول :(وأما مسألة الشّفاعة التّي كان مشركوا العرب يثبتونها لمعبوداتهم في الدّنيا ، وأهل الكتاب يثبتونها لأنبيائهم وقديسيهم في الدّنيا و الآخرة فقد نفاها القرآن الكريم وأبطلها ، وأثبت أن الشّفاعة للّه جميعا ، وأنّه لا يشفع عنده أحد إلاّ بإذنه <<يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ، وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيَ إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ >>(٢) .وقد فصلنا ذلك في تفسير سورة البقرة وغيرها مرارا ومنه أن الشّفاعة الثّابتة في الأحاديث غير الشّفاعة الوثنية والنّصرانية المنفية في القرآن الكريم) (٣) .

وخلاصة موضوع الفداء أن هذه العقيدة لا تتّفق مع العدالة الإلهية ، والمنطق السليم ، إذ ليس من العدل أن يطوقّ إنسان بريئ إثمَ جريمة جناها غيره . وما يمكن قوله عن بطلان عقيدة الفداء فإننا نعيد قوله عن عقيدة الصّلب ، فالفداء عند النصّارى هو عقيدة ملازمة لعقيدة الصّلب ، فقد جاء الصّلب لتحقيق فكرة

---

(١) -أبو الحسن الندوي : النبوة والأنبياء في ضوء القرآن ، ص ٦٩ .
(٢) - الأنبياء : ٢٨ ، ٢٩ .
(٣)- محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، ص ٢٠٢ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفداء وجاء الفداء لتبرير فكرة الصّلب والأناجيل المسيحية لم تختلف في شيء كاختلافها في قضية الصّلب فكل رواية مختلفة عن الأخرى .

ولقد نصّ القرآن الكريم أن المسيح لم يصلب ، ولكن شبّه لهم ، لقوله تعالى :<< وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ، وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ >>(١) .ومع تأكيد القرآن الكريم استحالة صُلب المسيح فإنه بيّن أن المسيح قد رفعه اللّه قال اللّه تعالى << بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ >> (٢) ، ولكنّه لم يعط تفصيلات أخرى عن هذا الرفع وهل هو بالجسد والرّوح ، أو بالرّوح دون الجسد ، وهذه القضية قد أثارت جدلا كبيرا بين المفسّرين ، يقول سيد قطب :(ولا يدلي القرآن الكريم بتفصيل في هذا الرفع ، أكان بالجسد والروح في حالة الحياة ؟ أم كان بالروح بعد الوفاة ؟ ومتى كانت هذه الوفاة وأين ؟ وهم ما قتلوه وما صلبوه ، وإنما وقع القتل والصلب على من شبه له سواه ، لا يدلي القرآن بتفصيل آخر وراء تلك الحقيقة) (٣) .

ويرى محمد علي الصّابوني (٤) أن اللّه نجّى عيسى – عليه السّلام – من الصّلب ، ورفعه إلى السّماء حيًا بجسده وروحه ، وهو ما دلّت عليه بعض الأحاديث الصّحيحة،التي إستند عليها منها قوله –صلى الله عليه وسلم – :(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الجِزْيَةَ) (٥).

ولكل مَن المفسّرين وجهة هو مولّيها ، ولا نريد أن ندخل في تفصيل حجج الفريقين ، أو ترجيح إحداهما عن الأخرى ، ونقول إنه لا يوجد نصّ صريح في القرآن الكريم على أن عيسى بعد أن أنجاه اللّه من الصّلب رفع بجسمه وروحه ، وعلى أنه حي بجسمه وروحه يقول سيد قطب :(والتّاريخ سكت عن مولد المسيح ونهايته كأن لم يكن له في حساب) (٦) ويعلّل ذلك بسبب تتابع الأحداث ، وتضارب الرّوايات وتداخلها في تلك الفترة بحيث يصعب الإهتداء فيها إلى معرفة كل هذه الحقائق، التي ذكرناها .

---

(١)- النساء : ١٥٨ .
(٢) – النساء : ١٥٨ .
(٣) – سيد قطب : في ظلال القرآن ج٢ ، ص ٨٠٢ .
(٤) -انظر : صفوة التفاسبير ، المجلد ١ ، ص ٣١٧ .
(٥) – رواه الشيخان في صحيحهما .
(٦) – سيد قطب : ٢ /ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويقول محمد عبده في تفسير المنار عند تفسير قوله تعالى :<<إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ >> (١) قال محمد عبده :(إن للعلماء هنا طريقتين : إحداهما وهي المشهورة : أنه رفع بجسمه حيّا وأنه سينزل في آخر الزمان فيحكم بين النّاس بشريعتنا ثم يتوفّاه اللّه تعالى ، والطريقة الثانية : أن الآية على ظاهرها ، وأن التّوفي على معناه الظاهرالمتبادر منه وهو << الإماتة العادية >> وأن الرفع يكون بعده وهو رفع الرّوح ، وقال محمد رشيد رضا :<< وجملة القول أنه ليس في القرآن نصّ صريح في أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السمّاء حيّا حياة دنيوية بهما ، بحيث يحتاج بحسب سنن اللّه تعالى إلى غذاء وليس فيه نصّ صريح بأنه ينزل من السّماء ، وإنما هي عقيدة أكثر النصّارى وقد حاولوا في كلّ زمان منذ ظهور الإسلام بثّها في المسلمين)(٢).

وعن معنى الوفاة والرفع والتطهير ساق عبد الوهاب النّجار عدة آراء لعديد من المفسرين بلغت تسعا ثم اختار منها أوجهها لديه ، وهو أن المراد من قوله تعالى<< يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا >> (٣) هو إني متوفّ أجلك ومميتك حتف أنفك لا أسلّط عليك من يقتلك . وأن الآية كناية عن عصمته من الأعداء.

---

(١) -آل عمران :٥٥ .

(٢) - محمد رشيد رضا : تفسير المنار : المجلد ٢٨ ، ج٣ ، ص ١٦ .

(٣) - آل عمران :٥٥ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أما محمود شلتوت فقد قرّر في <<الفتاوي>> أن معنى قوله تعالى :<<يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ >> (١) أي مميتك إماتة عادية ، إذ المعنى اللغوي الوضعي والمعنى القرآني المراد لكلمة <<متوفيك >> إنما هو مميتك إماتة عادية >> و يصدر محمود شلتوت حكمه في القائلين بخلاف ذلك فيقول :(ومن قال أن عيسى حي في السّماء فذلك إدعاء وزعم منه)(٢) وقرّر شلتوت أن معنى الرّفع في << ورافعك إلي >> هو رفع مكانة لا رفع جسد ، بدليل التّعقيب الذيّ جاء بجانب الرفّع ، وهو قوله تعالى :<< ومطهّرك من الذيّن كفروا >> مما يدلّ على أن الأمرأمر تشريف وتكريم ويؤيد ذلك . كذلك أنّ الرفّع جاء في القرآن كثيرا بهذا المعنى كما قال اللّه تعالى :<< فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ >> (٣) وبناء على الأدلة المتقدّمة وغيرها حكم محمود شلتوت بأن الرّفع في هذه الآيات سواء ما تعلقّ منها بالمسيح أو غيره لايفهم منها سوى الرّعاية والحفظ والدّخول في الكنف المقدّس ، فالظاهر من أقوال محمود شلتوت أنه ينبغي أن نقف عند مدلول اللّفظ القرآني دون اللجوء إلى التّفسيرات،التّي لا يحتملها النّص القرآني وهذا الرأي هو الأرجح والأسلم في نظر كل مفسر،وكلّ باحث ومهتمّ بالنّص القرآني .

ويقول النّصارى إن اللهّ من صفاته المحبّة ، حتى لقد جاء في كتبهم المقدّسة عبارة << اللهّ محبة >> ومحبة اللّه ظهرت في تدبيره طريق الخلاص من عهد سقوط آدم في الخطيئة وهبوطه إلى الأرض بسبب تلك الخطيئة ، ولكن اللّه كما يزعم النصّارى من فرط محبته ،وفيض نعمته على بني الإنسان رأى أن يقرب آدم إليه بعد إبعاده ، فأرسل لهذه الغاية يسوع المسيح << ابنه الوحيد >> إلى العالم ، ليخلصّ النّاس ، وقد وردت فكرة الخلاص هذه صريحة في إنجيل لوقا :<< وإن ابن الإنسان جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك ، فبمحبته ورحمته قد صنع طريقا للخلاص ، لهذا كان المسيح هو الذي يكفرّ عن خطايا العالم ، وهو الوسيط الذيّ وفق بين محبّة اللّه تعالى ، وبين عدله ورحمته ، إذ أن مقتضى العدل الإلهي أن تستمر ذرّية آدم في الخطيئة بحكم وراثة الخطيئة عن أبيهم ، ولكن باقتران العدل بالرحّمة وبتوسيط الابن الوحيد ، وقبوله للتكفيرّ عن خطايا الخلق ، قبل اللّه الفداء منهم واختار له أطهر مخلوق اجتمع فيه النّاسوت واللاّهوت،الذّي هو المسيح - عليه السلام - فكان الصّلب>> (٤) .

---

(١)- آل عمران : ٥٥ .

(٢)- محمود شلتوت : الفتاوي - إدارة جامعة الأزهر - بدون تاريخ .

(٣) - النور : ٣٦ .

(٤) - انظر الكتاب المقدس : إنجيل لوقا .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هذه هي معالم عقيدة الكفارة والصّلب كما هي عند النصارى وفي كتبهم ، وهي كما نرى مخالفة للأصول الدّين وخصائص النبوة .

و يبين القرآن الكريم في معرض رده على القائلين بالكفارة أن الطبيعة البشرية،التيّ اتهَمتها الأناجيل المسيحية ، بإرث الخطيئة الأولى أن الخطيئة كسب لا وهب ، وعرض حادث لا إرث وارث ، فالمسألة مرهونة بإيمان كل فرد من أفراد النوّع البشري ، والإنسان كذلك مهيّأ بحكم جبلّته وطبيعته لفعل الخير كما هو مهيّأ لفعل الشرّ ، فهو بحكم هذه الخصائص قابل للترقّي بالإحسان وقابل في الوقت نفسه للتدلّي بالإساءة ، يستطيع أن يسمو إلى أعلى عليّين كما يستطيع أن يهوي إلى أسفل سافلين ، وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة الفطرية قال تعالى :<< لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ >>(١) . ويقول عزّوجل :<< وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا >>(٢) . فكل إنسان حسب التّصور القرآني مسؤول بمفرده عن عمله ، وعمّا جنت يداه ، وله عند اللّه سجلّ وكتاب تسطّر فيه حسناته،وسيئاته وماصدَر عنه من عمل . ففكرة الفداء عند النصّارى تنافي المسؤولية الفردية،التيّ صرح بها القرآن الكريم ، ففكرة الثوّاب والعقاب من المنظور القرآني تقوم على مبدأ مسؤولية الإنسان عن عمله قال تعالى :<< مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا >>(٣) .هذا في الدّنيا وفي الآخرة ، كذلك ينتفع كلّ عامل بعمله قال تعالى :<< يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا >>(٤) .

وقدأخبرنا القرآن الكريم أن هذا هو عين ما أنزل على موسى - عليه السّلام - قال تعالى :<< أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى >>(٥) .

(١)- التين : ٤، ٥ ، ٦ .
(٢) - الإسراء : ١٣ .
(٣) - الجاثية : ١٥ .
(٤) - لقمان : ٣٣ .
(٥) - النجم : ٣٦ / ٣٩ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ففي هذه الآيات ردّ على أصحاب عقيدة الكفّارة الذين يرون أن صَلب المسيح لم يكن إلا تكفيرا لخطيئة آدم -عليه السلام - وهذه القضية كما رأينا لا تصّح عقلا ولامنطقا ، فالقتل جزاء المخطىء ، والنفسّ التيّ تخطىء هي التّي تستحقّ الموت ، والعقاب ولا تستحقّها نفس أخرى . وعقيدة الكفّارة تنافي عصمة الأنبياء التّي أثبتها القرآن الكريم ، فمقتضى فكرة الكفّارة ترمي أنبياء اللهّ بالدّناسة والخساسة التي تنافي عصمتهم ، فمن المعروف أن اللهّ قد أرسل من قبل عيسى أنبياء كثيرين ليبلّغوا رسالاته إلى أقوامهم فهل هؤلاء الأنبياء جميعا قبل مجيء عيسى وتطهير البشر بدمه من رجس الخطيئة على نحو ما يزعم النّصارى كانوا كلهم شركاء في تحمل إثم خطيئة آدم - عليه السّلام ؟! ثمّ من الذّي أوحى إلى النصّارى بأنّ عيسى - عليه السلام - هو أولى بتحمّل إثم الخطيئة الأولى مع أن عيسى جاء بعد كوكبة من الأنبياء . يقول محمد رشيد رضا :(إن النصّارى يجعلون معاصي الأنبياء دليلا على عقيدتهم وهي أن المسيح هو المعصوم وحده لأنهّ رب وإله ، ولأنهّ هو المخلّص للنّاس من العقاب على الخطيئة اللازمة لكل ذرية آدم بالوراثة له ، وأنه لا شفيع ولا مخلص لهم غيره لأن المخطىء لا يخلّص المخطىء وهو منهم)(١). ويعلّق محمد رشيد رضا على هذه العقيدة فيقول :(وهذه العقيدة كما تبيّن أصول العقيدة الإسلامية وثنية مخالفة لدين الأنبياء ، وكتبهم، وللعقل ومطابقة لأديان الوثنية وغيرها)(٢).

(١) - محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، ص ٥١ .
(٢) - المصدر نفسه ، ص ٥١ .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ## ثانيا - موقف القرآن الكريم من السلطة الدينية في النصرانية :

إنّ من الأصول التي قام عليها الدين المسيحي هو السّلطة الدينية،ومعناها منح الأحبار والرهبان سلطة على مرؤوسهم سواء ما يتعلّق بعقائدهم،أو ما تكنّه ضمائرهم ، وقد نطق بذلك القرآن الكريم قال تعالى :<< اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ >>(١). فهذه الآية خاصة بعقيدة أهل الكتاب كما يتبيّن لنا من المقدّمة الأولى للآية ، والتي خُصّصت في النّصارى الذين-إلى جانب عبادتهم للمسيح - عليه السلام - قد أتخذوا معبودا آخر هم الأحبار والرّهبان كما دلّ على ذلك منطوق الآية الكريمة ، ولكن القرآن الكريم لم يفصل في طبيعة هذه العبادة ولكنّه أبان أنهّا تضاهي في كنهها عبادة المسيح،وذلك لوجود الرّبط بينها وبين تأليه المسيح ومهما يكن الأمر فإن المقطوع به أن القرآن الكريم استنكر هذه العبادة. وهذه الخصيصة التي تحدث القرآن الكريم عنها في اتّخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون اللهّ هو ما عبرّ عنه محمد عبده بالسّلطة الدينيّة في المسيحية ، وقد ساق محمد عبده في كتابه (الإسلام والنّصرانية بين العلم والمدنية)(٢)شهادة من الإنجيل على استقرار هذه العبادة عند المسيحيين ، جاء في إنجيل متى << أعطيك مفاتيح ملكوت السّموات فكلّ ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السّموات ، وكلّ ما تحلّه في الأرض يكون محلولا في السّموات >> (٣) وفي الإنجيل نفسه:<<الحقّ أقول لكم : كلّ ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا في السّماء ، وكلّ ما تحلّونه على الأرض يكون محلولا في السّماء >> (٤) ، ونفهم من هذه العبارات من إنجيل «متى » أن الأحبار أو الرّهبان كما سمّاهم القرآن الكريم هم الذين بأيديهم نواصي النّاس،فهم الذين يحكمون عليهم بالإيمان،أو الكفر وهو ما شاع في وقت متأخر في تاريخ المسيحية بقضية «صكوك الغفران» ، يقول محمد عبده :<< فإذا قال الرئيس الكهنوتي لشخص أنّه ليس بمسيحي صار

---

(١) - التوبة : ٣١ .
(٢) - محمد عبده : الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية ، ص ٢٢ .
(٣) - إنجيل متى : ١٦ / ١٦ .
(٤) - متى : ١٨ / ١٨ .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كذلك ، وإذا قال له إنه مسيحي فازيها ، فليس المُعْتَقِدُ حرّاً في اعتقاده يتصرّف في معارفه كما يرشدهُعقله ، بل عينا قلبه مشدودتان بشفتي رئيسه ، فإذا اهتزت نفسه إلى بحث أوقفها القابض على تلك السلطة >>(١) . وقد بيّن محمد عبده أن هذا الأمر قد جرت عليه النصّرانية منذ أمد طويل وهو ما يرجع تشبث النصّارى بها قبل مجيء الإسلام ، يقول محمد عبده :<< وهذا الأصل وإن نازع فيه بعض النّصارى اليوم فقد جرت عليه النصّرانية خمسة عشر قرنا طوالا >>(٢) . ويقصد محمد عبده بالأصل كما جاء في كتابه « الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية » هو ما أسماه بسلطة الرؤساء .

والقرآن الكريم قد هدم السّلطة الدينية في النصّرانية من أساسها على النحّو التالي :

-١ إن القرآن الكريم نفى أن يكون لأحد من البشر سلطان على عقيدة أحدأو سيطرة على إيمانه فقد نطق القرآن الكريم بأن الرّسول - صلّى اللّه عليه وسّلم - ليس إلا مبلّغا عن اللّه والتبّليغ في المدلول اللّغوي يعني التذّكير ، لا الهيمنة والسّيطرة ، قال تعالى :<<فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى >> (٣) . وقال تعالى :<< فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ >>(٤) . ولم يجعل الإسلام لأحد من أهله أن يحلّ ولا أن يربط في الأرض ولا في السّماء فالحلّ والربّط بيد اللّه وحده ، إذ يرفع الإسلام عن الناس كل رّق أو عبودية لغير الله سبحانه وتعالى ولقد أعلن القرآن الكريم أن ليس لمسلم-مهما علا كعبه في الإسلام - سلطان على آخر مهما انحطت منزلته فيه - إلا حقّ النصّيحة والإرشاد قال اللّه تعالى في وصف المفلحين :<< وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ >>(٥) . وقال:<< وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ >>(٦) .

فالإسلام كما رأينا لا يعترف بما يسمّى عند النصّارى برجال الكهنوت فيما يصبغون على أنفسهم من

---

(١)- محمد عبده : المصدر السابق ، ص ٢٢ .
(٢)- المصدر نفسه ، ص ٢١ .
(٣)- الأعلى : ٩ ، ١٠ .
(٤) - الغاشية : ٢١ ، ٢٢ .
(٥) - العصر : ٣ .
(٦) - آل عمران : ١٠٤

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جعله من أهل الدّنيا كما هو من أهل الآخرة ، واستبقاه من أهل هذا العالم الجسداني كما دعا إليه أن يطلب مقامه الروحاني) (١) وقد أباح الإسلام الطيّبات بشرط عدم الإسراف ، قال تعالى :<< يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ >> (٢)، فالقرآن قد أنكر الرهبنة التي كان عليها النصارى لتعارضها مع أصول الفطرة الإنسانية

---

(١) - محمد عبده : الإسلام والنصرانية ، ص ٦٠ .
(٢)- الأعراف : ٣١ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث السادس :

خصائص المنهج القرآني في نقد النصرانية :

من خلال العرض الذي قدمته عن النّصرانية،الذي تحدث عنه القرآن الكريم يمكن رسم معالم المنهج القرآني في نقد النصرانية كما يلي :

-**الخاصية الأولى : ضوب المثل** : وقد تجلىّ ذلك في المقابلة،التي عرضها القرآن الكريم بين آدم،والمسيح -عليهما السلام -فيما يتصّل بخلقهما الذيّ لا يتوافق مع قوانين الخلق،و نواميس الكون ، التيّ ألفها النّاس وهذا ليصرف القرآن الكريم أذهان النّصارى إلى الإمعان في تحكيم العقل دون استحضار القدرة الإلهية،التي هي قدرة تكوينية تعلو القوانين المألوفة لدى بني البشر ، وأحضر القرآن الكريم لتثبيت هذه الفكرة قصة الخلق الأولى المتمثّلة في آدم -عليه السلام -الذي كما هو معلوم خلق من غير أصل بشري وهذا ما يبطل زعم النصّارى بأن المسيح - نظرا لطريقته العجيبة التي ولد بها - يستحقّ بمفرده وصف الألوهية فالقرآن الكريم هدم هذا الزعم من الأساس وبيّن أن المسيح -عليه السلام -ولد ولادة بشرية ولكن بكلمة اللّه التكّوينية،التي مضت قبله على آدم -عليه السّلام -، يقول اللّه تعالى :<< إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ >>(١) ونلاحظ أن القرآن الكريم غالبا ما يلجأ إلى ضرب المثل لإثبات عقيدة ما ، ذلك أن حدوث مثيل الشيء محل الريب والشك من شأنه أن يزيل الغرابة عنه ولم يكن هناك من وسيلة أخرى مجدية - والله أعلم - لتبرير خلق عيسى -عليه السلام -إلا بربطها بقصة آدم -عليه السلام -ذلك أن النصّارى كانت عندهم كل الدلائل،التي تثبت براءة مريم -عليها السلام- والتي أوردها القرآن الكريم على ألسنتهم .

ومن خلال نظرتي في منهج القرآن الكريم في إثبات العقائد لاحظت أن القرآن الكريم يلجأ إلى ضرب الأمثلة لإثبات العقائد،التي لا يجدي العقل في إثباتها كقضية الإحياء والإماتة أو البعث بعد الموت وضرب المثل يكون دوما بما هو أكبر من الأمر موضع الشّك والرّيب ومضمون استدلال القرآن الكريم في ذلك أن وقوع خلق الأعظم يجعل إمكان خلق الأصغر من باب أولى ، فإن الذيّ خلق الأكبر لا يعجزه أن يخلق المثل فقد استدل القرآن الكريم بخلق السّموات وهي أكبر من خلق الإنسان وهو أصغر ، قال

(١) آل عمران : ٥٩ .

تعالى :<< أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الذِّي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ>>(١) ،

وقال تعالى :<< أَوَ لَيْسَ الذِّي خَلَقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَالخَلاَّقُ العَلِيمُ >> (٢) وقال تعالى : << لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ >>(٣) .

وقال تعالى :<< أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الذِّي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِ المَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ>>(٤) . فوقوع الخلق ابتداء يجعل إمكانية الخلق ثانية أيسر ، وهذا ينطبق على قضية خلق عيسى -عليه السلام- فهي هيِّنة بالنظَر إلى خلق آدم - عليه السلام - فإذا كان عيسى قد خلق من غير أب فإن آدم قد خلق من غير أب ولا أم ، بل إن اللهَّ سبحانه وتعالى خلق الإنسان من عدم وهذا ما يجعل خلقه من غير أب أيسر .

وخلاصة القول أنه إذا كان النصّارى يعجبون من أمر عيسى لأنه ولد من غيرأب فأمر آدم أعجب لأنه ولد من غير أب ولا أم ، فالذيّ خلق آدم من تراب وقال له كن فيكون هو الذيّ خلق عيسى من غير أب ، وهو جل وعلا القادر على كل شيء ، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، ومن أجل ذلك ضرب القرآن الكريم المثل بآدم - عليه السّلام - .

-الخاصية الثانية : الإستدلال بالصورة الحسية :لقد كثرت الشبُه التيّ أثارها النصَّارى حول شخص المسيح -عليه السّلام -كالقول بأن له طبيعة لاهوتية وناسوتية ، وما أثير حول هذه الطبيعة الإزدواجية من دعوى الحلول والتجّسد ، ولقد فندّ القرآن الكريم هذه الدعاوي كلهّا حيث قدم صورة حيّة للمسيّح تجعل منه بشرا مخلوقا لا إلها خالقا ولا لاهوت حلّ في ناسوت كما يزعم النصّارى ، وقد أبان القرآن الكريم هذه الصورة الحسّية من وجوه عديدة نذكر منها على وجه الخصوص :

-١ تأكيد بشرية عيسى -عليه السلام - :وذلك ببيان أن عيسى -عليه السّلام -هو ابن مريم ، حتى يفندّ القول بألوهيته وقد تكررّت في القرآن الكريم صفة عيسى - ابن مريم -في كل الآيات التيّ تناولت مولد

---

(١) الإسراء : ٩٩ .
(٢)يس : ٨١ .
(٣) غافر : ٥٧ .
(٤) الأحقاف : ٣٣ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المسيح ، ودعوته ورسالته ، فقد قال القرآن الكريم عن مولد المسيح : << إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ >>(١) وقال عن رسالة المسيح : << مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ >> (٢) وقال أيضا : << تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ >>(٣) وقال تعالى : << ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ >> (٤) ففي هذه الآية تكررت الإشارة إلى عيسى ابن مريم ، وهذه الإشارة كما أسلفت القصد منها هو اعتقاد ببشرية المسيح ، فهو ابن مريم وليس ابن الله .

-٢ الإستدلال بلوازم البشرية : ونلخصها كمايلي : أ- نطقه في المهد : فالنّطق في المهد دليل على أن المولود بشر، لأن النطق خصيصة بشرية وليست من الألوهية في شيء ، قال الله تعالى : << إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ >> (٥) .

ب- آلام الوضع عند الولادة : فقد ذكر القرآن الكريم أن مريم أنتابتها آلام نفسية عند الوضع كانت تهزّها هزّا وخواطر تملأ رأسها ، كيف تأتي قومها وتفاجئهم بهذا الأمر مع علمهم أنّها لم تكن بغيًا ، وكانت عفيفة طاهرة ، فهذا الألم عند الوضع وهذه الهواجس التي ملأت عليها أقطارنفسها هو دليل على أنّ المولود مولود بشري ، قال الله تعالى : << فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا >> (٦) فهذه الآية الكريمة هي ردّ على النّصارى الذين قالوا أن المسيح -عليه السلام -قد ولد ولادة غير طبيعية وهو ما تذرّعوا به للقول بألوهيته ، فلا شكّ في أنّ التّي يأتيها المخاض وتعاني آلام الوضع كما تعانيها كل أمّ في الدّنيا هي أمّ مولود بشري .

(١)النساء : ١٧١ .
(٢)المائدة : ٧٥.
(٣) البقرة : ٢٥٣ .
(٤) الحديد : ٢٧ .
(٥) آل عمران : ٤٥ ، ٤٦.
(٦) مريم : ٢٢ الى ٢٤ .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جـ- الحاجة إلى الطعام والشراب : ومن الأدلّة التي ساقها القرآن الكريم لبيان بشرية المسيح حاجته، وأمه للطعام والشراب ولا شك أنّ الذي يحتاج للطعام والشراب، للاستمرار في الحياة لا يكون إلا بشرا، فالطعام والشراب ضرورة من الضرورات البشرية، يقول عبد الحليم محمود : << كما ينبّه القرآن الكريم المسيحيين إلى أن المسيح وأمّه كانا يأكلان الطعام، ومن البيّن أنّ الذي يأكل الطعام فيتحوّل في جسمه إلى دم ولحم وعظام، وينضح عرقا، ويخرج فضلة، لو بقيت في الجسم لأضرّته، من الواضح أنّ كائنا من هذا النمط لا يمكن أن يكون إلا بشرا، خاضعا لكل القوانين البشرية التي لاتؤدي إلى نقص مرتبته كرسول >> (١). وهذا القول لعبد الحليم محمود هو شرح لقوله تعالى: << مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ، انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ >> (٢).

د- تعرضه للصّلب : ومن الدلائل على بشرية المسيح أن اليهود قرّروا صلبه فأنجاه الله سبحانه وتعالى : << وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ >>(٣) فالقتل والصّلب هي تعبيرات بشرية محضة، فليس من قبيل العقل أن يكون المقتول أو المصلوب إلها، وهذا مايفنّد زعم النصّارى بأن المسيح إله وأنه ثالث ثلاثة.

- الخاصية الثالثة : عرض العقيدة في إطارها العقلي و الواقعي :

لقد استخدم القرآن الكريم العقل، والواقع في إبطال عقائد النصرانية، وفي مقدّمتها عقيدة التثليث، التي تجعل الله ثالث ثلاثة، وأن المسيح ابن الله، فلقد أثار القرآن الكريم مع أهل الكتاب من النصّارى قضية المسيح -عليه السلام- وموقعه من العقيدة الإلهية، ومضى يناقش الفكرة، في إطار وحدة الدّين السّماوي، التي تشترك فيها جميع الرسالات السماوية بما في ذلك رسالة السيّد المسيح، وقد طرح القرآن الكريم أمام النصارى الفكرة، التيّ تقول أن المسيح ابن الله، كما طرح الفكرة التيّ تقول أن عزير ابن الله، وذلك في قوله تعالى : << وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ >> (٤) ولم يقف القرآن الكريم طويلا عند فكرة بنوة المسيح لله وحكم عليها بأنها تشبه قول الذّين كفروا ولا تتفق مع واقع الرّسالات، التيّ رفعت شعار التوّحيد

---

(١) عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفي في الإسلام، ص ٧٤.
(٢) المائدة : ٧٥.
(٣) النساء : ١٥٧.
(٤) التوبة : ٣٠.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وتنسجم مع الدّعوات الوثنية التي سبقت النّصرانية ، واعتبر القرآن الكريم أنّ هذه القضية التيّ تخالف العقل وطبيعة الواقع تعّد في حد ذاتها فكرة متناقضة يهدم بعضها بعضا ، ولم يذهب القرآن الكريم إلى الإمعان في التّفاصيل دون أن يتساهل أبدا مع الذين أثاروها دون أن يعرّي صفحتهم ويبطل زعمهم ، وهذا انطلاقا من فكرة القرآن الكريم في التعّرض للقضايا التيّ تواجه العقيدة باللّه فلا يهمل أي جانب من جوانبها مهما كانت قيمتها التّأثيرية في المجتمع ، ولذلك نجد القرآن الكريم يتصدّى لكل فكرة تهدم وحدة الدّين السّماوي أو تتعارض مع أصول الدّين الصّحيح سواء كانت صغيرة أوكبيرة ، ممّا يوحي إلينا بأن القرآن الكريم يتصدّى للإنحراف في التصّور حتى لا يؤدي إلى الإنحراف في العمل ، ولعلّ مثل هذا الإتجاه يقودنا إلى مواجهة التيّارات المعاصرة التيّ تحاول أن تجعل من القضايا العقدية شيئا تافها غير ذي بال لا تستحقّ إثارة جادة إزاء القضايا العملية الأخرى ، ومن ثم نقررّ موقف الإسلام الحاسم في عدم الفصل بين الجانب العقائدي والجانب العملي والنظرّ إليهما على أنهمّا وحدة قائمة بذاتها ، باعتبار العقيدة أساسا للعمل ، واعتبار العمل تعبيرا عن حركة العقيدة في الحياة . وقد تحدث القرآن الكريم عن عقيدة التّثليث ، التيّ تعدّ العقيدة الأم التيّ انبثقت عنها عقيدة المسيح ابن الله ، التيّ تعد جزءا منها لأن التّثليث يرتكز على فكرة الأقانيم ، الأب ، والابن ، وروح القدس . وقد أثار القرآن الكريم في مواضع أخرى فكرة اعتبار المسيح إلها معبودا ، واعتبار أمّه كذلك ، وذلك في قوله تعالى :<< وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ >> (١) . وربّما تلتقي هذه الأفكار النصّرانية مع بعضها ، لأن عقيدة النبّوة لا تتنافى مع عقيدة الألوهية لأن هناك عاملا مشتركا يربطها وهو اعتقاد ألوهية المسيح في كل الحالات وهي الفكرة التي ردّها الإسلام وأبطلها جملة وتفصيلا . وقد عرض القرآن الكريم هذه الأفكار عرضا واضحا وحددّ ملامحها بشكل محدد يأخذ من الطرح العقلي والواقعي بحظ وافر ، خلافا لبعض التّيارات الفلسفية المسيحية التيّ لا تمانع في انطلاق مناقشة هذه الأفكار في مستوى يرتفع عن مستوى العقل ؛ لأن مجال العقل يختلف عن مجال الإيمان ، و هذا شيء يجب الإيمان به واعتقاده أولاّ ، وبعد ذلك يجتهد

---

(١) المائدة : ١١٦ .

المسيحي في فهم ما اعتقد . ويقول محمد حسين فضل الله :<< إن الإنسان لن يبلغ هذا الإيمان عن طريق المطارحات النظرية ، بل بإلهام من الله وإعلان عنه . ولم يوافق القرآن الكريم على هذا المنهج في قضية الإيمان بل جرى المنهج العقلي الذي لا يمانع من مناقشة تفاصيل العقيدة التي لا تخضع للحس ، ومنها حقيقة الألوهية ، فالقرآن الكريم ينطلق بالإنسان في هذه المجالات إلى أن يؤمن بها فيما يقوده إلى الدليل إليه ، إمكانا وإستحالة ، فهو إذن لا يكلف الإنسان أن يؤمن قبل أن يفهم ما يعتقده لأنه وفق المنظور الإسلامي لا معنى للإيمان بما لا يفهمه الإنسان ، ولهذا كله أراد القرآن الكريم أن يجعل العقيدة في إطار العقل الذي يحاكم الفكرة محاكمة عقلية ، ليحكم لها أو عليها ، تبعا لمقتضيات الحكم وأسبابه . وقد دارت المناقشات القرآنية للعقائد النصرانية من جهة أخرى إنطلاقا من الواقع البشري لعيسى - عليه السلام - في جميع مظاهره وأوضاعه من جهة ، ثم العودة من جديد إلى الموازنة بينها وبين واقع العقيدة الإلهية وما تمثله من الصفات الأساسية لإله مما يوجد لدى الإنسان إنطباعا عفويا بأن هذه العقائد لا تتناسب مع تلك العقائد جملة وتفصيلا . وقد علق محمد حسين فضل الله على الأسلوب القرآني في مناقشة العقائد النصرانية فقال :<<إنه الحوار الذي يتحرك في أكثر من مجال ، مع أكثر من صورة ليثير الدليل ضد هذه الأفكار وليقدم الحجة على بطلانها ، بأسلوب الخطاب الموجه إلى الآخرين تارة ، ليثير فيهم روح المواجهة تارة ، والهادئة أخرى أو بالأسلوب التقريري الذي ينطلق ليقرر الفكرة فيجعل الآخرين يفكرون -بتجرد - بعيدا عن أية تأثيرات سلبية سابقة تبعدهم عن الحق ليواجهوا الحقيقة دون إلتباس أو إنحراف >>(١) . وأحاول أن أستعرض الآيات التي تعرضت للعقيدة النصرانية على ضوء المنهج القرآني الذي رسمت ملامحه .

فإذا تناولت مثلا الآيات التي تناولت عقيدة التثليث ،فإن الفكرة التي نخرج بها بعد ذلك أن القرآن الكريم عرض هذه العقيدة من خلال الواقع الذي يعكس حقيقة المسيح - عليه السلام - على أنه رسول وبشر وتلك هي مهمته وطبيعته في الحياة ، يقول الله تعالى :<< يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ

(١) محمد حسين فضل الله : الحوار في القرآن ، دار المنصوري للنشر ج ١ ص ١٥٨ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ورُسُلِهِ وَلاَ تَقولُوا ثَلاثَةٌ إنْتَهُوا خَيرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا >>(١) .

وقال تعالى :<< لَقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا لَيَمَسَّنَّ الذينَ كَفرُوا مِنهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ>> (٢) . فالقرآن الكريم عرض عقيدة التثليث في هذه الآيات من خلال الواقع في حقيقة المسيح -عليه السلام - على أنه رسول الله ، تلك هي مهمته الكبرى في حياة الناس ، كأي رسول أونبي آخر يبعثه الله ليؤدي رسالته ، كما تحدث عن نفسه - فيما حدثنا الله عنه في قوله تعالى :<<قَالَ إِنِّي عَبدُ اللَّهِ أَتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا >> (٣) ولكن لعيسى -عليه السلام -ميزة أخرى ، يختلف بها عن سائر الأنبياء ، فهو لم يولد كما ولد سائر الأنبياء والرسّل والنآس بالطريقة البشريّة الخاضعة لنظام التّناسل الطبيعي ، الذي أراده الله لولادة الأحياء في الحياة بل كان كما تقول الآية السالفة كلمة اللّه ألقاها إلى مريم ، وروحًا منه أفاضها عليه ، كما أفاضه على آدم من قبل ، ليكون مظهرا من قدرة الله ، في ولادة إنسان بلا أب ، كما كان آدم مظهرا لقدرته في ولادة إنسان من غير أب ولا أم كما أشارت الآية القرآنية إلى ذلك في قوله تعالى :<< إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ>> (٤) . فليست الكلمة في الآية الكريمة تعبيرا عن الجزء الإلهي ، كما زعم النصّارى؛ لأن طبيعة اللّه لا تتجزأ ولا يمكن أن تنتقل من مكان إلى آخر ، بل المراد بالكلمة والروح والذي يتفق مع العقل والواقع أنها مظهر قدرة اللّه وسرّ إبداعه ، فيما أفاضه على جسد آدم الهامد،والخالي من الروح ، كما أفاضها على مريم الخالية من أسباب الولادة الطبيعية ، ولهذا التقت الكلمات القرآنية في التعبّيرعنهما ، فنقرأ مثلا في قصة آدم -عليه السلام -في حوار اللّه مع الملائكة في الآية الكريمة :<< إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ >>(٥).

(١) النساء : ١٧١ ، ١٧٢ .
(٢) المائدة : ٧٣ .
(٣)مريم : ٢٩ .
(٤)آل عمران : ٥٩ .
(٥) ص : ٧١ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ونقرأ في قصّة مريم وابنها قوله تعالى : << وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ >>(١) تلك هي صفة عيسى -عليه السّلام - التيّ يريد اللّه للمؤمنين أن يتمثّلوها في إيمانهم ؛ لأنها تمثّل الصّفة الواقعية التي ترتفع عن الغلوّ ، وتنسجم مع طبيعة الأشياء ثم يدعوهم من خلال -ذلك - إلى الإيمان باللّه ورسله ، وإلى الإمتناع عن القول بالتّثليث فإن ذلك خير لهم ؛ لأن اللّه إله واحد تعالى عن أن يكون له ولد سواء في ذلك ، ما يعطيه ويدلّ عليه لفظ الإبن في المفهوم البشري ، من التولّد عن طريق التّناسل ، مما يقضي وجود الأم ، أو ما يحلولبعض الفلاسفة المسيحيين أن يحملوه عليه ، وهو التولّد الذاتي الذي يجعل له الطبيعة الإلهية المستمدّة من الأب ، فإن كل ذلك مستحيل في حق المسيح وفي حق الله سبحانه وتعالى ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى هو مالك السماوات والأرض وما فيهن ، وإن كل ما فيها هو قانت له خاضع لإرادته ، وأنه مبدع كل شيء وأنه لا يحتاج في إيجاد أي شيء - مهما عظم - إلا إلى تعلق إرادته به ، التي تعبر عنها كلمة الإيجاد وهي قوله << كن >> ، وإذا كانت القضية على هذا الأساس فأي حاجة بالله إلى جعل الولد ، ما معنى التثليث بعد ذلك يقول الله تعالى تجلية لهذه الحقيقة : << وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ >>(٢) . وبهذا ندرك أن القرآن الكريم لم يدخل مع دعاة التّثليث في جدل فلسفي وما يلزم ذلك أو يستتبعه من الوقوع في الفروض المستحيلة ، بل اِكتفى بالتأكيد على الوحدانية التّي يقتضيها العقل ، ثم نهى بعد تثبيت هذه الحقيقة في الأذهان ، عن القول بالتثليث ، وأكد كفر القائلين به ، لأنه يتنافى مع التوحيد الذي يرفض تعدد مظاهر الطبيعة الواحدة ، ثم ترك القرآن الكريم للإنسان أن يحكم بفطرته على بطلان عقيدة التثليث إنطلاقا من المنهج القرآني الذي يعطي للفكر البشري معالم الحق ثم يدع له أن يكتشف بوسائله الخاصة ، وينتهي القرآن الكريم إلى حوار يدور بين الله والمسيح يوم القيامة ، كأسلوب من أساليب الإيحاء بالحقيقة القرآنية التي تعلن عن إبتعاد هذه الأفكار والمعتقدات الباطلة عن رسالة المسيح ، وإعتبارها دخيلة عن النصرانية الحقة التي بشر بها المسيح - عليه السلام - وفي ذلك يقول الله تعالى : << وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، قَالَ

(١) الأنبياء : ٩١ .
(٢) البقرة : ١١٦ . ١١٧ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِنَكَ أَنتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ >> (١) .

- **الخاصية الرابعة : الإحتجاج بالمباهلة أو أسلوب التأثير النفسي** : لما لم ينفع الأسلوب العقلي والواقعي الذي تبناه القرآن الكريم في إقناع النصارى بحقيقة التوحيد وبزيف عقيدة التثليث والعقائد الأخرى محل الحوار والنقاش اتخذ القرآن الكريم أسلوب المباهلة ، لغرض الوصول إلى حسم هذه القضايا ، وأسلوب المباهلة حدثتنا عنه الآية الكريمة في قوله تعالى مخاطبا أهل الكتاب على لسان نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – << فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ >>(٢) . أما قصة هذه الآية فتشرحها لنا رواية المحدث الجليل علي بن ابراهيم القمي التي رواها في تفسيره عن الإمام جعفر الصادق .قال :<< إن نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –وكان سيدهم الأهتم و العاقب والسيد – وحضرت صلاتهم فاقبلوا يضربون الناقوس وصلوا فقال أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : يا رسول الله ، هذا في مسجدك ؟ فقال : دعوهم فلمافرغوا دنوا من رسول الله ، فقالوا : إلى ما تدعو؟ فقال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وأن عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث . قالوا فمن أبوه ؟ فنزل الوحي على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال لهم ما تقولون في آدم أكان عبدا مخلوقا يأكل ويشرب وينكح ؟ فسألهم النبي فقالوا : نعم ، فقال : فمن أبوه ؟ فبهتوا فأنزل الله :<< إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ ، فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ >>(٣) .

---

(١)- المائدة : ١١٦ .

(٢) - آل عمران : ٦١ .

(٣) - آل عمران : ٥٩ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فباهلوني فإن كنت صادقا أنزلت اللّعنة عليّ ، فقالوا أنصفت ، فتواعدوا للمباهلة ، فلما رجعوا إلى منازلهم قال رؤساؤهم إن باهلنا بقومه فليس نبيا وإن باهل بأهل بيته خاصة لم نباهله ، فإنه لا يقدم أهل بيته إلا وهو صادق ، فلما أصبحوا أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين - عليهم السلام - فقال النصارى : من هؤلاء ؟ فقيل لهم هذا ابن عمه علي بن أبي طالب ، وهذه ابنته فاطمة ، وهذان ابناه الحسن والحسين ، ففرقوا ، فقالوا لرسول الله : نعطيك الرضا فأعفنا من المباهلة ، فصالحهم رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلّم - على الجزية ، وانصرفوا (١) . وهذه القصة ترسم لنا أسلوب القرآن الكريم في التعامل مع العقائد الأخرى الذّي يتّسم بالحوار الهادىء ، الذي لا يثير المشاعر ولا يهدف إلى تحقيق السبق في الجدال بقدر ما يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة من موقع الدليل والحجة والبرهان ، وقد شمل الحوار كل القضايا التي يختلف فيها المسلمون والنصارى في نظرتهم إلى المسيح -عليه السلام -وإلى طبيعة الاعتقاد به ، ومن الجوّ العام للقصة نفهم أن النصارى لم يريدوا الاقتناع بل دخلوا في جدال عقيم لا يحقق أي هدف ، ولا يصل إلى أي نتيجة مما اضطرّ النبي -عليه الصّلاة والسّلام -إلى طرح المباهلة عليهم كأسلوب من أساليب التأثير النفسي، الذي يشعرهم بالثقة المطلقة بالعقيدة الإسلامية ، وقد أراد النبّي -عليه الصلاة والسلام -أن يزيد الموقف تأثيرا في الإيحاء النفّسي لدى الآخرين بالثقة ، فلم يقتصر على تقديم نفسه للمباهلة وكان بإمكانه أن يحصر الأمر في نفسه ، بل طرح القضية على أساس إشراك أهل بيته ، وكان لهذا الموقف الجريء أثر كبير على نفسية القوم فامتنعوا عن المباهلة ورضوا بالصلح .

وقضية المباهلة ليست أمرا عديم المقصد كما قد يبدو لبعض الجاهلين بالأسلوب القرآني بل أنها تنطوي على مقاصد جمة يمكن تلخيصها في محاولة القرآن الكريم إفهام أتباعه أن جدال أهل الكتاب وأصحاب أي عقيدة أخرى يحتاج إلى العمل على توظيف الجانب الإيماني ، بعد ممارسة الجوانب الفكرية والعلمية في الحوار الهادىء والعميق بين الإسلام وبين خصومه إنطلاقا من توجيهات الآية الكريمة

---

(١) - انظر سيرة ابن هشام : ج٢ ، ص٢٠٦ ، ٢١٥ باختصار وتصرف .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

:<< وَلاَتجُادِلوُاْ أَهْلَ الكِتَابِ إلاَّ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ >> (١) ويتجلى هذا الجدال بالتي هي حسن الذي دعا إليه القرآن الكريم في العمل على اللقاء في الأصول المشتركة ، التي تربط بين الرسالات السماوية كما أشارت إليه الآية الكريمة :<< قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ >>(٢) . هذه الآيات التي عرضناها توحي بقيمة العامل النفسي في إدارة أي نقاش عقائدي .

والآن وبعد أن استعرضت العقائد النصرانية ، وبينت منهج القرآن الكريم في نقدها يمكن أن أقدم نتيجة أو خلاصة عامة لهذا فيما يلي :

-١ أن هناك تطابقا في نظرة القرآن الكريم والإنجيل الإلهي فيما يتصّل بإثبات الطبيعة البشرية للمسيح وإبعاد دعاوي الألوهية عنه ، التي ظهرت في الأناجيل المحرفة والمتداولة .

-٢ لقد بين القرآن الكريم في وضوح لا لبس فيه أن الإنجيل كتاب إلهي ، بدليل أنه دعا النصارى إلى التشبث به والاحتكام إليه ، مما يقطع بصحته وسماويته .

-٣ لقد بين القرآن الكريم أن عقيدة التوحيد هي صلب العقيدة النصرانية وأن التثليث هي فرية مسيحية جاء بها الأتباع ، لتبرير عقيدة الألوهية التي تجعل من المسيح إلها معبودا ، لا إنسانا عابدا .

-٤ لقد أوضح القرآن الكريم أن عقيدة الصّلب والفداء تتنافى مع مبدأ مسؤولية الفرد عن عمله ، وتحميله الإثم وحده ، زيادة على أنها تتنافى مع مبدأ الألوهية ، ممّا يقطع بتناقض الأناجيل المسيحية وبعدها عن المنطق السليم .

-٥ لقد أبطل القرآن الكريم فكرة السلطة الدينية في النصرانية ، وبين أن عبادة الله لا تحتاج إلى وساطة كهنوتية وذلك وفق المبدأ القرآني :<< وإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِيّ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ >>(٣)

-٦ لقد اعتمد القرآن الكريم في نقد النصرانية على قواعد منها ضرب المثل ، وعرض العقيدة في إطارها الواقعي والعقلي ، والاستدلال بواقع الفطرة البشية ، إلى غير ذلك من القواعد القرآنية في قد الأديان التي تتوزع في القرآن الكريم مكيه ومدنيةً .

---

(١) العنكبوت : ٤٦ .
(٢) آل عمران : ٦٤ .
(٣) البقرة : ١٨٦ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الخامس :

الخصائص العامّة لمنهج القرآن الكريم في نقد الأديان .

المبحث الأول : الخاصّية الأولى : الإستدلال بالمنهج الرباني .

المبحث الثاني : الخاصّية الثانية : الإستدلال بالمنهج الفطري .

المبحث الثالث : الخاصّية الثالثة : الإستدلال بالمنهج الواقعي .

المبحث الرابع : الخاصّية الرابعة : الإستدلال بالمنهج العقلي .

المبحث الخامس : الخاصّية الخامسة : الإستدلال بالمنهج القصصي التاريخي .

المبحث السادس : الخاصّية السادسة : الإستدلال بالمنهج الموضوعي .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول :

الخاصية الأولى : الإستدلال بالمنهج الرباني :

الربّانية كما يقول علماء اللغة (١)مصدر صناعي منسوب إلى << الرب >> زيدت فيه الألف والنون ، على غير قياس ، ومعناه الإنتساب إلى الرب أي الله سبحانه وتعالى ، ويسمى الإنسان ربانيا إذا كان وثيق الصلة بالله ، عالما بدينه وكتابه ، معلما له(٢) . جاء في القرآن الكريم :<< وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ >>(٣) .

وعلى ضوء هذا التعريف اللغوي ، نقول : إن الربّانية خصيصة من خصائص المنهج القرآني في نقد الأديان . ذلك لأن القرآن الكريم في نقد هذه الأديان ، يستوحي منهجه من وحي اللّه تعالى ،الذّي هو واحد في أصله بين جميع الأديان السّماوية ، فهي صادرة عنه في عقائدها وشرائعها وآدابها وليست صادرة عن إرادة بشرية ،أو منتسبة إلى البشر ، ولقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في كثير من المواضع ، فهو يقول :<<كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ >>(٤).

وقال :<< وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ >>(٥) .

وقال :<< إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ >>(٦) . ويقول عن التوراة :<< إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ >>(٧) . ويقول عن الإنجيل :<< وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ >>(٨) . فهذه الآيات كلها تؤكد حقيقة ثابتة ، وهي أن التوراة والإنجيل والقرآن أنزلهم اللّه تعالى ليحكم بهم أتباعهم على اختلاف المكان والزمان ، فأنزل التوراة على موسى ليحكم بها لأتباعه الذين هادوا والرّبانيين والأحبار ، كما

---

(١) المعجم العربي الأساسي: وضع جماعة من اللغويين العرب ، ص ,٤٩٨ .
(٢) يوسف القرضاوي : الخصائص العامة للإسلام ، ص ٧ .
(٣) آل عمران: ٧٩ .
(٤) ابراهيم : ١ .
(٥) النحل : ٨٩ .
(٦) الحجر : ٩ .
(٧) المائدة : ٤٤ .
(٨) المائدة : ٤٧ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال تعالى :<< إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيئُون الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ، وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ، فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ، وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ، وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ، وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ ، وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ ، وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ ، والسِّنَّ بِالسِّنِّ ، وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ . فَمَنْ تَصَدَّقَ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ >>(١) . ثم قفى اللّه تعالى على أثر موسى بعيسى بن مريم ،وآتاه الإنجيل . يقول الله تعالى :<< وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ، وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ، وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ، وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ>>(٢)

ثم قفى الله تعالى على التوراة والإنجيل بالقرآن الكريم ، مصدقا لهما ومهيمنا عليهما . يقول اللّه تعالى مخاطبا الرسول -عليه الصلاة والسلام -:<< وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ >>(٣) . والآن وما دام أن القرآن الكريم مهيمن على التوراة والإنجيل بحكم حفظ اللّه له من التعديل ،والتبديل يجب أن يكون المرجع في تبيان الصفة الربانيةللعقيدة ،والشريعة السماوية على حد سواء وكشف ما شابها من تصور فاسد ،وشريعةمبتدعة.وإذا كان المشركون قد أوعزوا القرآن إلى حفاظ الأساطير، ونسبوه إلى محمد - صلى اللّه عليه وسلم -، فإن النصارى قد بدّلوا وغيّروا ما في الإنجيل بالزيادة ،والنقص ،والتحوير ، ونسبوه إلى تلامذة المسيح إلى درجةأننا لا نجد أثرا للإنجيل الإلهي ،الذي أنزله اللّه سبحانه وتعالى على عيسى ابن مريم ، بل أناجيل كثيرة تحمل أسماء واضعيها ، (وهذه الأناجيل لم يملها المسيح ، ولم تنزل عليه هو بوحي أوحي إليه ، ولكنها كتبت من بعده)(٤) .

وكثرة الأناجيل دليل على أنها ليست الإنجيل ،الذي أنزل على عيسى - عليه السلام - فالقرآن الكريم يقرر أنه لا يوجد إلا إنجيل واحد لا عدة أناجيل كما هو الشأن في الأناجيل المسيحية الحاضرة ، التي عملت فيها يد التغيير والتبديل عملها ، ومن ذلك ما فعله سانت بولس حتى أن بعض الكتاب الغربيين من المسيحيين أنفسهم ليسمون المسيحية الحاضرة بأنها "مسيحية بولس " وليست مسيحية عيسى بن مريم .

---

(١)- المائدة : ٤٤، ٤٥ .
(٢)- المائدة : ٤٦ .
(٣) - المائدة : ٤٧ .
(٤) محمد أبوزهرة : محاضرات في النصرانية ، ص : ١١٤ .

كما أن التغيير الحاصل في شأن إقرار طبيعة المسيح ، على غرار ما فعلت المجامع المسيحية ،إبتداء من مجمع نيقية الشهير سنة ٣٢٥م فما بعده من مجامع ، بعضها قرر ألوهية المسيح ، وبعضها أعطى البابا سلطة إصدار قرارات الحرمان ، وصكوك الغفران (١) إلى غير ذلك من العقائد ،التي نفاها القرآن الكريم نفيا قاطعا ، فقد نفي ألوهية المسيح بالمنطق العقلي ،والواقعي ، وأثبت أن المسيح بشر ،وليس بإله ، ولا أقنوما من الأقانيم الثلاثة ، وأكثر من ذلك فقد حكم القرآن الكريم على معتقدي ذلك بالكفر الصّريح كما مر معنا في الفصل الخاص بالنصّرانية ، وفي مجال التشريع ، حكم القرآن الكريم بشرك الذين أعطوا سلطة التشّريع المطلق ، وفي هذا يقول في شأن أهل الكتاب :<<إتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ >>(٢) . فقد عد القرآن الكريم هؤلاء الأحبار ،والرهبان ، أربابا و آلهة من دون اللّه ، وما كانت عبادتهم إلا طاعتهم في إحلال الحرام ، وتحريم الحلال أي إعطاءهم حق التشريع فيما لم يأذن به الله كما فسر ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم -لعدي بن حاتم الطائي وقد كان عدي تنصر في الجاهلية فلما دخل على النبيّ - صلى الله عليه وسلم - وهو يقرأ هذه الآية من سورة التوبة :<<إتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ>> قال : يا رسول اللّه ما كنا نعبدهم ، فقال النبيّ -صلىّ اللّه عليه وسلم- : ألم يكونوا يحلون لكم الحرام فتحلّوه ، ويحرّمون عليكم الحلال فتحرّموه ؟ قال : بلى ، قال : فتلك عبادتكم أياهم (٣) . فالعقيدة السّماوية سواء في التّوراة أو الإنجيل ، والقرآن أو في أي كتاب من عند اللّه ، لا تستفاد إلا من الوحي الإلهي ، وهي قضايا صادقة أو هي حقائق عن الوجود وربّ الوجود ، فليست العقيدة من قبيل ما يسمى في المنطق والبلاغة " إنشاء" إنما هي من قبيل " الخبر " لأنها تخبر عن القضايا الكبرى في الوجود : عن اللّه وأسمائه وصفاته ، وعن عوالم الغيب ، و مستقبل الحياة والإنسان ، و الجزاء وأنواعه وصوره ، وغير ذلك مما وراء الطبيعة المشاهدة مما لا يدركه الحس ، ولا يهتدى إلى تفصيله العقل (٤) . ومن ثم فإن اللّه سبحانه وتعالى هو وحده ،الذي يحيط

---

(١) -محمد أبوزهرة : المصد السابق ، من ص ١٤٨ الى ١٩٦ بتصرف.

(٢) التوبة : ٣١ .

(٣) رواه الإمام أحمد و الترمذي و ابن جرير من طرق عن عدي بن حاتم .

(٤) يوسف القرضاوي :المصدر السابق ص ٣٦ .

بهذه القضايا علما . أما البشر فهم بحكم بشريتهم ليس لهم علم بهذه الغيّبيات ، التيّ اختص بها اللّه تعالى دونهم ، وإذ قالوا في ذلك شيئا ، كان قولا بغير علم وبغير برهان(١) . وفي هذا الصّدد أنكر القرآن الكريم على المشركين وصفهم الملائكة بالأنوثة ، مع أنهّم بمنطق القرآن الكريم لا يوصفون بأنوثة ولا بذكورة ، قال اللّه تعالى :<< وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ، أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ، سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ >>(٢) .

وما يمكن أن يستفاد من التّأكيد على ربّانية العقيدة السّماوية ، هو أن هذه العقيدة وضع رباني ، أعني في أسسها الكلّية ومبادئها العامة وأنها ليست من وضع الأنبياء ،ولا أتباع الأنبياء ، ولا أحد من البشر على الإطلاق .

ولقد زعم المشركون أن الرّسالة ليست اختصاصا ربانيا يختص بها أخص عباده :<< وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ>>(٣) . وقال تعالى على لسانهم أيضا :<< وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ، قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا >>(٤) . فقد زعم المشركون أن القرآن الكريم ليس من تنزيل اللّه سبحانه وتعالى ، وإنمّا هو من تأليف محمد – صلىّ اللّه عليه وسلّم –، وردّ على مقالتهم هذه بردّ عقلي ، وواقعي مما يؤكد المصد رالإلهي لهذا القرآن ، والذّي يتلخص في أن محمّدا –صلّى اللّه عليه وسلمّ – بشر وليس بحاجة إلى أن يستعين في كتابة هذا القرآن بمثله من البشر من حفاظ الوحي ، والأساطير – مع عجزهم عن الإتيان بمثله فأين علم هؤلاء من علم اللّه المحيط وأين أساطير الأولين ،التيّ اكتتبوها من السّر في السّموات والأرض ؟

وهكذا فإن إضافة القرآن الكريم إلى اللّه سبحانه وتعالى يبطل دعوى المشركين بأنّه من ابتداع محمّد ، ومن بتبير القرآن الكريم يجد الرّسول –صلّى اللّه عليه وسلّم – فيه مجرّد عبد مأمور يوجه اللّه إليه العتاب ،

---

(١)القرضاوي : المصد السابق ، ص ٣٧ .
(٢)الزخرف : ١٩ .
(٣) الزخرف : ٣١ .
(٤) الفرقان : ٤ ، ٥ ، ٦ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

واللوم إذا اجتهد فأخطأ في بعض الأمور كما في قصة ابن أم مكتوم ، قال تعالى : << عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى >>(١) وأسرى بدر ، قال تعالى : << مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ >>(٢) والمتخلفين في غزوة تبوك وغيرها. فالقرآن الكريم هو كلام الله ووحيه، وليس لمحمّد إلا التلقي والحفظ : << سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى >>(٣) ثم التبليغ والدعوة << يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ >>(٤) ثم التفسير والبيان << وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ >>(٥) .

ولهذا نجد القرآن الكريم يعقب على كثير من الأحكام ،والتشّريعات للفت الأنظار إلى ربّانية مصدرها مثل قوله تعالى بعد ذكر التوّراة والإنجيل: << وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ >>(٦) وقوله تعالى في السياق نفسه : << وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ >>(٧) وقوله تعالى أيضا عند ذكر الإنجيل : << وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ >>(٨) فالحث على الحكم بما أنزل الله عقب كل ذكر للتوّراة والإنجيل يدل على أن مصدرهما هو الوحي الإلهي ، وأنهما تشتملان على شريعة الله ، وحكمه وأن كل خروج عن هديهما هو خروج عن دين الله الذي أوحى به إلى أنبيائه .

والآن وبعد أن بينا ربّانية المنهج القرآني في إثبات عقيدة التوحيد ، وإبطال العقائد المبتدعة ، التّي جاء بها أهل الأديان فإننا يمكن أن نلخص ما توصلنا إليه من نتائج لهذا المنهج الرباني فيما يلي :

<u>أولا : العصمة من التناقض والتطرف</u> : إن من خصائص هذا المنهج هو سلامته من التناقض ، الذي يوقع في القضية ونقيضها ، أو يوقع التصادم بين العقل والنقل وهو ما نراه ونلمسه في بعض المناهج البشرية في تفسير العقيدة فما تكاد تفضي إلى تأكيد قضية حتى تسوق في طياتها نقيضها ، مثلما هو الشأن عند كتاب الأناجيل الذين يصوغون الأناجيل على مقاسهم ، ثم يدعون بعد ذلك نسبتها إلى المسيح -عليه السلام

.(١)عبس : ١ .
(٢) الأنفال : ٦٧ .
(٣) الأعلى :٦ .
(٤) المائدة : ٦٧ .
(٥) النحل : ٤٤ .
(٦) المائدة : ٤٤.
(٧) المائدة : ٤٥ .
(٨) المائدة : ٤٧ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مع أنها ليست من إملائه ولا كتبت في عهده ، كما أنهم في بعض المواضع يقرون ألوهية المسيح ثم سرعان ما ينقضونها بقولهم بأنه صلب على الصليب فداء للبشر ، فالصلب ينافي ويناقض الألوهية ، والتناقض هو سمة بشرية لا يسلم منه أي منهج وضعي مهما كانت طبيعته .

ثانيا : البراءة من الهوى والتحيز : إن المنهج الرّباني يمتاز بالعدل المطلق والبراءة من التحيز ، واتّباع الهوى في عرض العقيدة وهذا ما نلمسه في منهج القرآن الكريم في سياق عرضه لعقيدة المشركين ، أو عقيدة أهل الكتاب ، فهو يعرضها عرضا موضوعيا خاليا من كل حكم مسبق، والهدف من ذلك هو تأكيد صفتها الرّبانية وإبعادها عمّا اختلط بها من أهواء البشر ،وبهذه الطريقة العادلة أنصف القرآن الكريم العقائد الأخرى ، وأنصف معتنقيها ،ونسوق دليلا على ذلك دعوته لأهل الكتاب إلى التمسك بحقيقة العبادة الخالصة قال تعالى : <<قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ >>(١).

(١) آل عمران : ٦٤ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني :

الخاصية الثانية : الاستدلال بالمنهج الفطري :

إن قيام العقائد الوثنية على إنكار الربوبية شيء لا يتوافق مع دواعي الفطرة البشرية ،التي ركز فيها الإيمان بوجود الله ، ووحدانيته ، قال تعالى : << فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ >>(١) فالحنيف صفة من الحنف ، وهو الميل عن العوج إلى الاستقامة ، وعن الضّلالة إلى الهدى ، وعن الباطل إلى الحق ، ويقابله الزّيغ ، وهو الميل عن الحقّ إلى الباطل إلخ (٢) . وفطرة اللّه ، التّي فطر الناس عليها هي الجبلّة الإنسانية (٣) الجامعة بين الحياتين : الجسمانيّة الحيوانيّة ، والروحانية الملكية والاستعداد لمعرفة عالم الشّهادة وعالم الغيب فيهما ، وما أودع فيها (أي الجبلة) من غريزة الدين،الذّي هو الشعور الوجداني بسلطان غيبي فوق كل قوى الكون ، والسّنن والأسباب التي قام بهما كل شيء في العالم ، فرب هذا السّلطان هو فاطر السّموات والأرض وما فيهما ، والمصدر الذاّتي للنفّع والضّر المحرّكين لشعور التعّبد الفطري (٤) .

فالعبادة الفطرية هي التوّجه الوجداني إلى هذا الربّ في كل ما يعجز الإنسان عنه من نفع يحتاج إليه ، ويعجز عنه بكسبه،و دفع ضرّ يمسّه ، أو يخافه ، ويرى أنه يعجز عن دفعه بحوله وقوتّه ، وفي كل ما تشعر فطرته باستعدادها لمعرفته ، والوصول إليه مما لا نهاية له وأعني بالإنسان جنسه ، فما يعجز عنه المرء بنفسه دون أبناء جنسه ، فإنهّ يعدّه من مقدوره ، وبعد مساعدة غيره له عليه من جنس كسبه ، فطلبه للمساعدة من أمثاله ليس فيها معنى التعّبد عند أحد من البشر، فهذا كله لا يسمى عبادة فهو من باب احتياج العباد بعضهم إلى بعض ، فالعبادة هي التوّجه إلى الله ذي القدرة الغيبية ، والسّلطان العلوي،التيّ هي فوق ما يعرفه الإنسان وما يقدر عليه ، ولذلك عتبّ القرآن الكريم على الوثنيين طلبهم من الآلهة المصنوعة أن تدفع عنهم ضرا،أو تجلب لهم نفعا ، فلقد بات من المعلوم أن دفع الضرّ،وجلب النفّع ليس من مقدور أحد ، فهي مقصورة على اللهّ سبحانه وتعالى ، كما عاب القرآن الكريم على النصّارى واليهود

---

(١) الروم : ٣٠ .

(٢) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، ص ٢٣٨ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٢٣٨ والتي بعدها .

(٤) المصدر نفسه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اعتقادهم بأن المسيح ، وعزير إبنا الله ، وأكد القرآن الكريم أن كلّا من المسيح وعزير ليس لهما من صفات الربوبية شيئا ، وأنهما بشر ممّن خلق ، وهكذا هدم القرآن الكريم العقيدة القائمة على الشرك أو التأليه .

وقد عبّر سيدقطب عن الفطرة بالاستقامة على دين اللّه ، الذيّ هو واحد وثابت لا تتفرق معه السبل بعكس عقيدة الشرك ،التيّ تمتاز بالإضطراب ، والتقلب وعدم الثبات ، فيقول بعد تفسيره قوله تعالى :(<< بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ؟ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ >> (١) وعند هذا الحد يفرغ من أمر هؤلاء ،الذيّن يتبعون أهواءهم المتقلّبة المضطربة ، ويتجّه بالخطاب إلى الرّسول – صلىّ اللّه عليه وسلّم – ليستقيم على دين اللهّ الثابت المستند على فطرة اللّه ، التيّ فطر الناسّ عليها ، وهو عقيدة واحدة ثابتة لا تتفرق معها السبل كما تفرق المشركون شيعا وأحزابا مع الأهواء والنزّوات ، وبعد هذا يحدّد وظيفة الدّين التيّ تتلخّص في العصمة من الهوى المتقلّب ، الذي لا يستند إلى شيء من العلم والحجةّ والدّليل فيقول :<< فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا >> (٢) ؛واتجّه إليه مستقيما ، فهذا الدّين هو العاصم من الأهواء المتفرّقة ،التيّ لا تستند على حق، ولا تستمد من علم ، إنمّا تتبّع الشّهوات ، والنزّوات بغير ضابط، ولا دليل <<.أقم وجهك للدين حنيفا >>أي : مائلا عن كل ما عداه ، مستقيما على نهيه دون سواه) (٣) . وبهذا كما تبين من هذا العرض يربط القرآن الكريم بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين ، فالديّن هو الذي يعصم الإنسان من الإنحراف ويردهّ إلى جادةّ الحق ، فإذا انحرفت النفوّس عن الفطرة لم يردّها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة ، ولعل الفكرة التي يرمي إليها سيد قطب من خلال التأكيد على الربط بين الفطرة والدين ، أن هذه الفطرة تعني التوّحيد الخالص ، والعبودية المطلقة للهّ ، وهي بذلك لا تخرج في طبيعتها عن طبيعة الديّن ، الذي أنزله اللّه إلى النّاس قائما على الأصول نفسها ،التيّ تقوم عليها الفطرة من توحيد وعبودية ، والقرآن الكريم على حد تعبير سيد قطب حينما يأتي ليرسم المنهج الفطري في نقد الأديان يركز على خاصيتين تفتقد إليهما الأديان الأخرى ، وهي خاصية التوحيد، وخاصية الثبات ، فإذا أعطينا مثالا على ذلك اليهودية ، والنصّرانية

---

(١)سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج ٥ ،ص ٢٧٦٧ .
(٢) الروم : ٣٠ .
(٣) سيد قطب : المصدر السابق.

فإننا نجد أن هاتين الديانتين خرجتا من التّوحيد إلى التعّدد و الوثنية على أرجح أقوال علماء المقارنة بين الأديان ،ومن الثبات إلى الإضطراب ، الذيّ شابها يسبب اختلاف الروّاة ، والرّوايات وكثرة الفرق ، والسبب الجامع في ذلك أنها خرجت عن أصول الفطرة ،والدّين الصحيح .

والقرآن الكريم من خلال إشارته إلى الفطرة يرشد إلى حقيقة ثابتة لا نكاد نجد لها أثرا في أديان من عارضوه من النصارى، واليهود والوثنيين، وغيرهم وعرض هذه الحقيقة تبيّن زيف العقائد، التيّ أشاعوها فيما بينهم ومعارضتهما الصريحة لأصول الفطرة البشرية السليمة ، فلقد حسم القرآن الكريم قضية التوحّيد وأثبتها من عدة طرق نلخصها فيمايلي :

أ- طريق النفس البشرية : حيث جبلت على الشعور بوجود اللّه ، وهو شعور فطري فطر اللّه النّاس عليه ، وعبر عنه العلماء بالغريزة الدينية .

قال تعالى :<< فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ >>(١) . وقال تعالى:<< وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ، وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ >>(٢) .وقال تعالى :<<أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ؟ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ >>(٣). وفي الحديث الصحيح :<< كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ >>(٤) . وهذا الشعور النفّسي يستيقظ عند وجود مثير يبعث على اليقظة من ألم ينزل أو ضرّ يحيط . قال تعالى :<< وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ>>(٥) .

وهذه الفطرة البشرية الّتيّ حاجّ بها القرآن الكريم أهل الأديان عموما وأهل الكتاب على وجه الخصوص لها ما يدل عليها من بقايا أسفار العهد القديم (أسفار موسى - عليه السلاّم -)وأسفار العهد الجديد (كتاب برنابا) ، فأسفار موسى وكذا إنجيل برنابا قد أشارا إلى وحدانية اللّه سبحانه وتعالى مبعدان

---

(١) الروم : ٣٠ .
(٢) الأعراف : ١٧٢ الى ١٧٤ .
(٣) الطور : ٣٥ ، ٣٦ .
(٤) رواه البخاري في صحيحه .
(٥) يونس : ١٢ .

عنه فرية التثليث ، والتعدد ، وحتى الوثنيين على حد قول علماء الأديان كانوا قريبين من حقيقة التوحيد بدليل قوله تعالى على لسانهم :<< مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى>>(١) فهذا اعتراف ضمني بوجود اللّه الواحد ، وأن ما عداه من الآلهة المصنوعة ليست إلا وسائط يتقرّبون بها إلى اللّه .

يقول نبيل محمد توفيق السمالوطي :<<وقد يكون هناك من يعترض على تضمين مفهوم العقيدة الدّينية عناصر الذات الغيبية والتأليه والعبادة والقدرة على التأثير في حياة البشر ، على أساس أن هناك من المجتمعات من تقدسّ آلهة من عالم الحيوان أو النبّات أوالجماد « الديانة الوثنية » . غير أن الحقيقة التي تكشف عنها الدراسات أن هذه الأشياء لا تعبد لذاتها، لأن عبّادها يعلمون أنها لا تنفع ولا تضرّ وأنها فانية >>(٢) .فاعتراف الوثنيين بأن معبوداتهم التي يعبدونها ليست معبودة لذاتها من جهة، وأنها لا تنفع ولاتضردليل واضح على بطلان عقيدتهم وفساد تصورهم وهو ما يوحي أن التوحيد هو أصل العقيدة الدينية .

ب- طريق الخلق : لقد أكد القرآن الكريم أن عملية الخلق صفة يتفرّد بها اللّه سبحانه وتعالى ، الذي له الخلق والأمر وتفرده بالخلق دليل على وحدانيته قال تعالى :<<إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ >> (٣) .وإذا أجرينا محاكمة عقلية لعقائد الوثنيين وعقائد أهل الكتاب ، فإننّا نجد أن ما يزعمون أنه إله ، أو ابن الإله ليس في حقيقة الأمر إلا شيئا مصنوعا كما هو الشأن عند آلهة الوثنيين ، أو ذاتا مخلوقة كما هو شأن المسيح في تصور النصّارى وهذا ما يؤكد التوجّه الفطري في الإنسان .

---

(١) الزمر : ٣ .

(٢) نبيل محمد توفيق السمالوطي : الدين و البناء الإجتماعي ، ص ٣٢ .

(٣) الجاثية : من ٣ الى ٥ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث :

الخاصية الثالثة :الاستدلال بالمنهج الواقعي :

بادىء ذي بدء يجب التنبيه إلى أن استخدامنا لمصطلح الواقعية ، وإضافته إلى الديّن السّماوي لا نعني به ما عناه الفلاسفة الغربيّون من « الماديّين » أو «الوضعييّن » من إنكار كل ماوراء الحسّ وما بعد الطبيعة ، والاعتداد بالواقع من حيث هو الأشياء المحسّة ، والمادة المتحيّزة ، وما عدا ذلك مما أثبته الوحي أو الفطرة لا يعد واقعا موجودا ، لأن الواقع في نظر هؤلاء الفلاسفة ينكر الألوهية والروح والحياة الأخرى ، لأنهامسائل غير حسّية.

هذا المفهوم المادي والوضعي للواقعية لا يعنينا في شيء ، لأنه يتصادم مع مقررات الوحي والفطرة والعقل ، كما أننا لا نقبل هذا المعنى المجرد لمفهوم الواقعية فإننا كذلك لا نقبل المعنى الآخر المراد من الواقعية وهو قبول الواقع على علاته ، دون بذل الجهد لترقيته وتقويمه ، فالواقعية : هي مراعاة واقع الكون من حيث هو حقيقة واقعة ، ووجود مشاهد ولكن ليست مراعاة لذاتها وإنما للدلالة بها على حقيقة أكبر ، ووجود أسبق ، وهو وجود الله تعالى (١) .

ومراعاة واقع الحياة من حيث هي نهاية لبداية أخرى تبدأ بعد هذه الحياة وهي الحياة الأخرى ، ومراعاة واقع الإنسان من حيث هو كائن مزدوج الطبيعة ، جسدا وروحا .

وبعد هذا العرض لمفهوم الواقعيّة يمكننا أن نحدّد المراد من واقعية الدّين السّماوي كمايلي:

-١إنه الدين الذي لايتصادم مع فطرة الإنسان من حيث هو كائن متديّن بفطرته ، كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الخاص بفطرية التديّن في الطبيعة البشرية ، وما تقتضيه هذه الفطرة من توحيد الله سبحانه وتعالى .

-٢إنه الديّن الذي يعترف بعالم الجنّ كما يعترف بعالم الغيب من حيث هو حقيقة قررّها الوحي السّماوي .

-٣ إنهّ الدّين الذي يعترف بإنسانية الإنسان ويستجيب إلى داعي الغرائز المركّبة فيه من غير إفراط

---

(١) يوسف القرضاوي : المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

ولا تفريط وهو بذلك يخالف الفلسفات الوضعية التي تعد الإنسان روحانيا محضا ، كما هو الشأن في الفلسفات الرّوحانية ، أو ماديّا صرفا كما هو الشأن في الفلسفات الماديّة .

٤- إنه الدّين الذي تتوافق أصوله مع مبادىء العقل فهي ليست نشجا من الخيال ، أو ضربا من الأساطير كما هو الشأن في كثير من الملل والنحل التيّ لا تتفّق مع العقل أساسا .

٥- إنه الديّن الذي يثبت وحدة الوحي السّماوي بين جميع الأنبياء والرّسل من حيث هو ناموس اللّه الخالد الذيّ تكرر في جميع الرّسالات السّماوية .

والقرآن الكريم في نقده للعقائد الوثنية والنّصرانية واليهودية ، قد اعتمد على هذه الخصائص الواقعية للدّين السّماوي ، ويمكن تفصيلها كما يلي :

أولا : تأكيد القرآن الكريم لواقعية العقيدة السماوية : لقد بين القرآن الكريم في كثير من المواضع أن العقيدة السّماوية وما اشتملت عليه من ألوهية ، وربّوبية ، ونبوة ، وإيمان بالغيب هي في حقيقة الأمر عقيدة واقعية ، لأنها تصف حقائق قائمة في الواقع -سواء كان قياما مباشرا أو غير مباشر- لا أوهاما متخيلة في العقول ، وهذه الحقائق في مجملها ليست بعيدة عن العقل ولا متنافية مع الفطرة ، وتفصيل ذلك كمايلي :

أ- القرآن وعقيدة الإيمان بالله كما جاءت على لسان الرسل: حيث أن القرآن الكريم يقرّر أن العقيدة السّماوية تدعو إلى الإيمان بإله واحد دل على نفسه بآياته التكّوينية ، في الأنفس والآفاق ، وآياته التّنزيلية ، مما أوحى إلى رسله على اختلاف الزمان والمكان ، وهذا الإيمان ليس من قبيل الأساطير، التيّ تحدثت عنها أقاصيص اليونان ،وحكايات الرومان وغيرها، التّي ابتعدت حقيقة الإيمان عندها عما قررّه الدّين السّماوي .

والإيمان باللّه هو الركّن الأول ، الذي جاءت الرّسالات السّماوية لتأكيده ، لأنّ العقيدة تقوم على هذا الركن ، الذيّ ضل فيه كثير من المتدينيّن حتى أقربهم عهدا بهداية الرّسل ، فاليهود على حفظهم لأصل التوّحيد ، قد غلب عليهم التشّبيه ، فقد وصفوا اللّه بأوصاف ونعتوه بأسماء ، لا تعبّر عن واقع الألوهية ، ولا يقبلها عقل مستنير، أو فطرة سليمة ومن أمثلة ذلك ، أنهّم قد جعلوا اللّه كالإنسان يتعب ويندم على ما فعل (١) .

---

(١) في سفر التكوين ٣ / ٢٢ وقال الرب الإله : هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا بالخير والشر و فيه ٦ / ٦ فحزن الرب و في ترجمة أخرى (فندم أنه عمل الإنسان و تأسف في قلبه)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وزعموا أنه كان يظهر في شكل الإنسان حتى أنه - على حد زعمهم- صارع إسرائيل ، ولم يقدر على التفلت منه حتى باركه فأطلقه (١).فهذه النصوص فيها استخفاف كبير بالذات الإلهية،وخلط فظيع بين ذات بشرية مقهورة ، وذات إلهية قاهرة ، تجمع من أوصاف القوة والرهبة والقدسية والهيمنة وغيرها من الأوصاف العلوية مما يجعل واقعها بعيدا كل البعد عن واقع الإنسان ،الذي هو جماع لأوصاف الضعف والعبودية المطلقة لله -جل جلاله - (٢) وخلاصة القول في هذا الركن أن القرآن الكريم أثبت أن الإيمان بالله ، من حيث هو حقيقة واقعية أرشدت إليها كل الرسالات السماوية دليل قاطع على بطلان العقائد،التي تزعم إلهية غير الله،أو تشرك معه غيره في وصف الألوهية،مما لا يدل عليه واقع هذه الرسالات جملة وتفصيلا .

ب- القرآن الكريم وعقيدة الإيمان بالرسل - عليهم السلام - : لقد بيّن القرآن الكريم أن الرسول هو بشر ، لا يتميز عليهم إلا بالوحي قال تعالى : << قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ >>(٣) ، فالرسول ليس إلها ولا ابن إله ولا ملكا ، إنما هو إنسان يعيش في واقع الناس ، وتجرى عليه الأحكام،التي تجري على سائر البشر ، فهو يأكل وينام ، ويعيش ويموت ، ويتزوج وينجب ، ويرضى ويسخط ويفرح ويحزن ، ويحب ويكره ، فلقد بين القرآن الكريم هذه الطبيعة البشرية والواقعية للرسول حتى يبعد عنه كل دعوى للتأليه،أو التقديس ، كما رد على شبهة المشركين،و الوثنيين عموما بأن حاجة النبي للطعام والشراب شيء مخل بالنبوة :<< وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ >>(٤) وبعد أن عرض القرآن الكريم هذه الشبهة الواهية رد عليها برد واقعي لا يكلف العقل عناء الاهتداء إليه ، فقد اختصر القرآن المسألة في أمرين :أولها تأكيد بشرية محمد - عليه الصلاة والسلام - وثانيها تأكيد رسليته . ولا تتعارض البشرية مع كونه رسولا ، أو الرسلية مع كونه بشرا ، فهذه مسألة في غاية الوضوح والواقعية .

---

(١) سفر التكوين : آخر الفصل ٣٢ .

(٢) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، ص ١٦٩ .

(٣) الكهف : ١١٠ .

(٤) الفرقان : ٧ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وكما تصدّى القرآن الكريم للمشركين وأبطل زعمهم ببطلان نبوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لما يقتضي بزعمهم من عدم الجمع بين الرسول كبشر وبين الرسالة ، تصدّى أيضا للنصارى في زعمهم أن المسيح هو ابن الله ، وساق من الأدلة على بشرية المسيح ما يدل على أنه مجرد بشر وهذا ما يدلّ عليه واقعه الذي قصه علينا القرآن الكريم قال تعالى : « مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ »(١) ، فلقد جاء القرآن الكريم بلازمة من لوازم البشرية شديدة الصلة بالواقع المعيش للمسيح عليه السلام ، ليبعد عنه دعوى الألوهية والبنوة ،وإلى جانب ذلك بين القرآن الكريم أن عقيدة المسيح المخلص عند النصارى ، هي عقيدة باطلة لأنها تخالف واقع النّاس ، من حيث أنّ المتعارف عليه بينهم أن الإنسان يتحمل وزر عمله قال تعالى : « وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ »(٢) . وهكذا وبهذه الطريقة الواقعية أثبت القرآن الكريم أن الإيمان بالرسل الكرام هو حقيقة واقعية دلّ عليها واقعهم المعيش .

ج- القرآن وعقيدة الجزاء الأخروي : ومن واقعية الدين السماوي أنه دين يؤمن بحياة أخرى بعد هذه الحياة يجزى فيها كل مكلف بما عمل من خير أو شر ، والإيمان باليوم الآخر ، وما يكون فيه من البعث والحساب ، والجزاء على الأعمال هو الركن الثاني للدين الذي بعث الله به الرسل عليهم السلام ، وبه يكمل الإيمان بالله تعالى ،ويكون باعثا على العمل الصالح ، وترك الفواحش والمنكرات والبغي والعدوان (٣) يقول محمد رشيد رضا :(وكان جل مشركي العرب ينكرونه أشد الإنكار ، وأما أهل الكتاب وغيرهم من الملل التي كان لهاكتب وتشريع ديني ومدني ثم فقدت كتبهم ، وحُرفت واستحوذت عليها الوثنية فكلهم يؤمنون بحياة بعد الموت ، وجزاء يختلفون في صفتهما لا في أصلهما ، ولكن إيمانهم هذا قد شابه الفساد ببنائه على بدع ذهبت بجلّ فائدته في إصلاح الناس وأساسها عند الهنود وغيرهم من قدماء الوثنيين ، وخلائف النصارى المتبعين لدين القيصر قسطنطين ؛ هو وجود المخلص الفادي الذي يخلص الناس من عقوبة الخطايا ويفديهم بنفسه) (٤).

---

(١) المائدة : ٧٥ .
(٢)النجم : ٣٩ .
(٣) محمد رشيد رضا : المصدر السابق ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ .
(٤) المصدر نفسه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهذه العقيدة كما نرى لا تطابق الواقع الذي أثبته القرآن الكريم للمسيح -عليه السّلام - وللإنسان على وجه العموم ، فقد أكدّ القرآن الكريم بشرية المسيح ، وأثبت مسؤولية الإنسان على عمله خيرا كان أم شرا ، ومن ثم فإنه لا بديل عن عقيدة الجزاء الأخروي ، التيّ جاء بها الدّين السّماوي من حيث هي عقيدة واقعية تنطلق من واقع الإنسان ، وفي هذا المجال نجد القرآن الكريم يقرب هذه العقيدة من الأذهان فنراه مثلا يستنكر على منكري البعث فيقول : « أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ »(١) فهذه الآية الكريمة تقرّر حقيقة واقعية وهي أنهّ من العبث أن يتصوّر الإنسان أنه إنمّاخلق عبثا ليعمر ما شاء اللّه له أن يعمّر ثم يطوى من هذا الوجود من غير بعث يحاسب فيه على سيآته،وحسناته وهو كما نرى ما يتعارض مع واقع الإنسان المبني على انتظار أو ترقب جزاء على كل عمل يقوم به وهو ما يؤكده قوله تعالى : « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ »(٢)

فالقرآن الكريم إنطلاقا من هذه الآية يؤكد الإحساس الفطري والتوجّه الواقعي،الذيّ بنيت عليه حياة الإنسان بضرورة القصاص من الظالم ، والمثوبة للعابد وعدم التسوية بينهما .

د- القرآن الكريم وواقعية العبادة : لقد بين القرآن الكريم أن العبادة ، التي فرضها اللّه سبحانه وتعالى على عباده هي في حقيقة الأمر عبادة واقعية تراعي واقع الناس وظروفهم والطاقة المحدودة لهم فلم يكلفّ الإنسان بما هو خارج عن طاقته ، ورفع عليه العنت فيما يحرجه من العبادات : « وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ »(٣) . وبناء علي ذلك فقد نهى القرآن الكريم على الانقطاع للعبادة والانقطاع عن الدنيا وعاب على الرهبان ومن يفعلوّن فعلتهم هذه حيث قال : « وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا »(٤) .

يقول سيد قطب في تفسير الرهّبانية : (والراجح في تفسير الآية أن هذه الرهّبانية،التيّ عرفهاتاريخ المسيحية كانت اختيارا من بعض أتباع عيسى عليه السلام ، ابتدعوها من عند أنفسهم ابتغاء رضوان الله ، وابتعادا عن أوضار الحياة ولم يكتبها اللهّ عليهم ابتداء ولكنهم حين اختاروها وأوجبوها على أنفسهم صاروا

---

(١)المؤمنون : ١١٥ .
(٢) الجاثية : ٢١ .
(٣) الحج : ٧٨ .
(٤) الحديد : ٢٧ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مرتبطين أمام الله بأن يرعوا حقوقها ، ويحافظوا على مقتضياتها من تطهّر وترفّع ، وقناعة وعفّة ، وذكر وعبادة ، مما يحقق في أنفسهم حقيقة التجرّد لله التي قصدوا إليها بهذه الرّهبانية التي ابتدعوها ولكنّها انتهت إلى أن تصبح في الغالب طقوسا وشعائر خالية من الروح ، وأن يتّخذها الكثيرون مظهرا عاريا من الحقيقة) (١)

وخلاصة القول فإن تأكيد القرآن الكريم لواقعية العبادة كما جاء بها الدين السماوي ، هو المنهج الذي سلكه في الدعوة إلى الاعتدال والنهي عن التنطّع في الدّين ، والغلوّ فيه ، فإن الغلوّ في الغالب يقتضي من الإنسان الزيادة على ما فرضه الله عليه ممّا لا طاقة له به مما يعارض واقع النّاس ،الذّين يعتريهم الضعف في أغلب الحالات ، وينتابهم الملل مما يصبحون معه عاجزين عن القيام بأعباء العبادة وهذه حقيقة واقعية لا مجال إلى إنكارها .

(١)سيد قطب : المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٣٤٩٥ .

المبحث الرابع :

الخاصية الرابعة : الاستدلال بالمنهج العقلي :

من المعروف عند علماء العقيدة أن الإسلام يقيم العقائد على العقل وفي مقدمة ذلك الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى، ووحدانيته ، فالإسلام لا يقبل عقيدة بدون أن يكون لها برهان ، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى :<< وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ >> (١) .فقضية الألوهية تحتاج إلى برهان عقلي ، يقول محمد هشام سلطان :(ولا يمكن الوصول إلى اليقين الذي لا يقبل الشك والزوال في الإيمان بالله إلا بالإعتماد على الدليل العقلي ، ولذلك كانت، دعوة القرآن الصريحة العامّة للبشرية جمعاء إلى النظر في الكائنات، وخصائصها، وصفاتها ليعمل العقل ،ويصل من هذا الطريق إلى معرفة الله والتصديق بوجوده، وشمول علمه وقدرته ولذا ذم المقلدين ، وكذلك ثبات النبوة والرسالة بالأمر المعجز الخارق للعادة الموافق لما ادّعاه الرسول فإن العقل يدرك ذلك بداهة ، وأن صاحب المعجزة صادق لأنّ الله لا يؤيد الكاذب) (٢) .

ولقد امتاز الإسلام على سائر الأديان بأنه دين يعتمد على العقل في إثبات العقائد ، ومن هذا المنطلق عرض العقائد الأخرى على محك العقل ، في محاكمة عقلية دقيقة وأصدر بعد ذلك حكمه بشأنها ، يقول العقاد في تأكيد هذه القضية : (فالعجز العقلي عن تعليل الإيمان بالدين ضرورة ملازمة لتفكير المتدين الذي لا يعرف الحق في غير دين واحد ، كأنما كان الإله الهادي لعباده في غيبة عنهم قبل أن يتنزل ذلك الدين الوحيد بين ما سلف من الأديان ، والمسلم له عصمة من عقيدته تحميه من ذلك العجز الذي يعيب العقل ويعيب العقيدة معا ، فهو دين التفكير أمام الأديان الأخرى حيث يتعسرالتفكير في أمثال هذه المواقف بين المتدينّين فالمسلم لا يمكن أن يمهل عقله أمام العقيدة الدينّية حين يوفق بين واجب الإيمان بها في أصولها وقواعدها ، وواجب الأعراض مما اختلط بها من أوشاب الخرافة أو الضلالة)(٣).

---

(١)المؤمنون : ١١٨ .

(٢)محمد هشام سلطان : العقيدة والفكر الإسلامي ،ص ١٢ .

(٣) العقاد : التفكير فريضة إسلامية ، ص ٨٨ .

يقول العقاد تعليلا لذلك : (إن العقل هو مرجعه الأول في التوفيق بين هذين الواجبين ، وهو مرجعه الوحيد في تخصيص الرسالات ، التي لم يقصصها القرآن عليه ، فلا غنى له عن التفكير فيها لفهم الصالح منها وغير الصالح والتمييز بين ما يجوز رفضه وما لا يجوز ، عسى أن يكون من رسالات الهداية الإلهية فلا يستنكره بغير بينة أو على غير هدى) (١) .

والآن إذا جئنا لنحدد موقع العقل في عقائد الوثنيين وأهل الكتاب ، فإننا لا نجد له أثرا مما يوحي بأن هذه العقائد لا تتفق بين العقل جملة وتفصيلا ، وأنها أقرب إلى الخرافة والضلالة منها إلى العقل ففي التوراة مسائل كثيرة لا يصدقها العقل، ولا يطمئن إليها الضمير ومن أشهر هذه المسائل مسألة النبوة ، التي يصورها العهد القديم في صورة خرافية لا ترقى إلى نبوة الهداية، التي جاءت بها الأديان السماوية ، ومن هذه المسائل أيضا مسألة صراع إبراهيم مع الرب ، وتصور الرب في صورة بشرية بحيث تجتمع فيه كل غرائز البشر ، إلى غير ذلك من المسائل، التي أثبتتها نصوص التوراة المحرفة ، والتي تستحيل معها كل استساغة عقلية ،أو تبرير منطقي .

وعقيدة التثليث في النصرانية هي أيضا عقيدة لا يصدقها العقل فإن العقل البشري لا يصدق أن تكون ذات الله واحدة ،ولكنها متعددة الأقانيم ، فقد جاء في القرآن الكريم أن الله واحد لا يتعدد قال تعالى : «﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾» (٢) .

فليس هناك بصريح الآية الكريمة أقانيم ثلاثة بل هناك إله واحد لا شريك له .

وما يقال عن عقيدة التثليث يقال عن العقائد النصرانية الأخرى ، كالصلب والفداء وغيرهما مما لا يتفق مع العقل . كما ألفت القرآن الكريم أنظار أهل الأديان عموما إلى الكون ، الذي هو صفحة ناطقة بالقدرة الإلهية ، ولفت الأنظار إلى الكون ليست قضية من غير قصد أو غاية، بل إن القصيد منها أن يعمل الإنسان عقله ، ويحكم بعد ذلك على ما يعتقده ، ولهذا الغرض كثرت الإشارات في

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(١) العقاد : المصدر السابق ، ص ٨٨ .

(٢) سورة الإخلاص .

وكما تصدّى القرآن الكريم للمشركين وأبطل زعمهم ببطلان نبوة الرسّول - صلى الله عليه وسلم - لما يقتضي بزعمهم من عدم الجمع بين الرسّول كبشر وبين الرسّالة ، تصدّى أيضا للنصّارى في زعمهم أن المسيح هو ابن الله ، وساق من الأدلة على بشرية المسيح ما يدل على أنه مجرّد بشر وهذا ما يدلّ عليه واقعه الذي قصه علينا القرآن الكريم قال تعالى :<< مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ >>(١) ، فلقد جاء القرآن الكريم بلازمة من لوازم البشرية شديدة الصلة بالواقع المعيش للمسيح عليه السلام ، ليبعد عنه دعوى الألوهية والبنوة ،وإلى جانب ذلك بين القرآن الكريم أن عقيدة المسيح المخلصّ عند النصّارى ، هي عقيدة باطلة لأنهّا تخالف واقع النّاس ، من حيث أنّ المتعارف عليه بينهم أن الإنسان يتحمل وزر عمله قال تعالى :<< وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى >>(٢) . وهكذا وبهذه الطريقة الواقعية أثبت القرآن الكريم أن الإيمان بالرسّل الكرام هو حقيقة واقعية دلّ عليها واقعهم المعيش .

ج- القرآن وعقيدة الجزاء الأخروي : ومن واقعية الدينّ السمّاوي أنه دين يؤمن بحياة أخرى بعد هذه الحياة يجزى فيها كل مكلف بما عمل من خير أو شر ، والإيمان باليوم الآخر ، وما يكون فيه من البعث والحساب ، والجزاء على الأعمال هو الركن الثاني للدين الذي بعث اللهّ به الرسّل عليهم السلاّم ، وبه يكمل الإيمان باللهّ تعالى ،ويكون باعثا على العمل الصالح ، وترك الفواحش والمنكرات والبغي والعدوان (٣) يقول محمد رشيد رضا :(وكان جل مشركي العرب ينكرونه أشد الإنكار ، وأما أهل الكتاب وغيرهم من الملل التيّ كان لهاكتب وتشريع ديني؛ ومدني ثم فقُدت كتبهم ، وحُرفت واستحوذت عليها الوثنية فكلهم يؤمنون بحياة بعد الموت ، وجزاء يختلفون في صفتهما لا في أصلهما ، ولكن إيمانهم هذا قد شابه الفساد ببنائه على بدع ذهبت بجلّ فائدته في إصلاح الناس وأساسها عند الهنود وغيرهم من قدماء الوثنيين ، وخلائف النصّارى المتبّعين لدين القيصر قسطنطين؛ هو وجود المخلص الفادي الذي يخلص الناس من عقوبة الخطايا ويفديهم بنفسه) (٤).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(١) المائدة : ٧٥ .
(٢)النجم : ٣٩ .
(٣) محمد رشيد رضا : المصدر السابق ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ .
(٤) المصدر نفسه .

وهذه العقيدة كما نرى لا تطابق الواقع الذي أثبته القرآن الكريم للمسيح -عليه السّلام - وللإنسان على وجه العموم ، فقد أكدّ القرآن الكريم بشرية المسيح ، وأثبت مسؤولية الإنسان على عمله خيرا كان أم شرا ، ومن ثم فإنه لا بديل عن عقيدة الجزاء الأخروي ، التيّ جاء بها الديّن السّماوي من حيث هي عقيدة واقعية تنطلق من واقع الإنسان ، وفي هذا المجال نجد القرآن الكريم يقرب هذه العقيدة من الأذهان فنراه مثلا يستنكر على منكري البعث فيقول :<< أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ >>(١) فهذه الآية الكريمة تقرّر حقيقة واقعية وهي أنه َمن العبث أن يتصوّر الإنسان أنه إنّماخلق عبثا ليعمر ما شاء اللّهٓ له أن يعمّر ثم يطوى من هذا الوجود من غير بعث يحاسب فيه على سيآته،وحسناته وهو كما نرى ما يتعارض مع واقع الإنسان المبني على انتظار أو ترقب جزاء على كل عمل يقوم به وهو ما يؤكده قوله تعالى :<< أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ >>(٢)

فالقرآن الكريم إنطلاقا من هذه الآية يؤكد الإحساس الفطري والتوجّه الواقعي،الذيّ بنيت عليه حياة الإنسان بضرورة القصاص من الظالم ، والمثوبة للعابد وعدم التسوية بينهما .

د- القرآن الكريم وواقعية العبادة : لقد بين القرآن الكريم أن العبادة ، التي فرضها اللّه سبحانه وتعالى على عباده هي في حقيقة الأمر عبادة واقعية تراعي واقع الناس وظروفهم والطاقة المحدودة لهم فلم يكلفّ الإنسان بما هو خارج عن طاقته ، ورفع عليه العنت فيما يحرجه من العبادات :<< وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ >>(٣) . وبناء علي ذلك فقد نهى القرآن الكريم على الانقطاع للعبادة والانقطاع عن الدنيا وعاب على الرهبان ومن يفعلوِن فعلتهم هذه حيث قال :<< وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا >>(٤) .

يقول سيد قطب في تفسير الرّهبانية :(والراجح في تفسير الآية أن هذه الرّهبانية،التيّ عرفهاتاريخ المسيحية كانت اختيارا من بعض أتباع عيسى عليه السلام ، ابتدعوها من عند أنفسهم ابتغاء رضوان الله ، وابتعادا عن أوضار الحياة ولم يكتبها اللّهٓ عليهم ابتداء ولكنهم حين اختاروها وأوجبوها على أنفسهم صاروا

---

(١) المؤمنون : ١١٥ .
(٢) الجاثية : ٢١ .
(٣) الحج : ٧٨ .
(٤) الحديد : ٢٧ .

مرتبطين أمام اللهّ بأن يرعوا حقوقها ، ويحافظوا على مقتضياتها من تطهرّ وترفعّ ، وقناعة وعفّة ، وذكر وعبادة ، مما يحقق في أنفسهم حقيقة التجرّد للهّ التيّ قصدوا إليها بهذه الرّهبانية التي ابتدعوها ولكنّها انتهت إلى أن تصبح في الغالب طقوسا وشعائر خالية من الروح ، وأن يتّخذها الكثيرون مظهرا عاريا من الحقيقة) (١)

وخلاصة القول فإن تأكيد القرآن الكريم لواقعية العبادة كما جاء بها الدين السماوي ، هو المنهج الذي سلكه في الدعوة إلى الاعتدال والنهي عن التنطّع في الديّن ، والغلوّ فيه ، فإن الغلوّ في الغالب يقتضي من الإنسان الزيادة على ما فرضه اللهّ عليه ممّا لا طاقة له به مما يعارض واقع النّاس ،الذّين يعتريهم الضعف في أغلب الحالات ، وينتابهم الملل مما يصبحون معه عاجزين عن القيام بأعباء العبادة وهذه حقيقة واقعية لا مجال إلى إنكارها .

---

(١)سيد قطب : المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٣٤٩٥ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع :

الخاصية الرابعة : الاستدلال بالمنهج العقلي :

من المعروف عند علماء العقيدة أن الإسلام يقيم العقائد على العقل وفي مقدمة ذلك الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى، ووحدانيته ، فالإسلام لا يقبل عقيدة بدون أن يكون لها برهان ، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى :<< وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ >> (١) .فقضية الألوهية تحتاج إلى برهان عقلي ، يقول محمد هشام سلطان :(ولا يمكن الوصول إلى اليقين الذي لا يقبل الشك والزوال في الإيمان بالله إلا بالإعتماد على الدليل العقلي ؛ ولذلك كانت دعوة القرآن الصريحة العامّة للبشرية جمعاء إلى النظر في الكائنات، وخصائصها ، وصفاتها ليعمل العقل ،ويصل من هذا الطريق إلى معرفة الله والتصّديق بوجوده، وشمول علمه وقدرته ولذا ذم المقلدين ، وكذلك ثبات النبّوة والرّسالة بالأمر المعجز الخارق للعادة الموافق لما ادّعاه الرسول فإن العقل يدرك ذلك بداهة ، وأن صاحب المعجزة صادق لأنّ الله لا يؤيد الكاذب) (٢) .

ولقد امتاز الإسلام على سائر الأديان بأنه دين يعتمد على العقل في إثبات العقائد ، ومن هذا المنطلق عرض العقائد الأخرى على محك العقل ، في محاكمة عقلية دقيقة وأصدر بعد ذلك حكمه بشأنها ، يقول العقاد في تأكيد هذه القضية : (فالعجز العقلي عن تعليل الإيمان بالدين ضرورة ملازمة لتفكير المتدين الذي لا يعرف الحق في غير دين واحد ، كأنما كان الإله الهادي لعباده في غيبة عنهم قبل أن يتنزل ذلك الدين الوحيد بين ما سلف من الأديان ، والمسلم له عصمة من عقيدته تحميه من ذلك العجز الذي يعيب العقل ويعيب العقيدة معا ، فهو دين التفكير أمام الأديان الأخرى حيث يتعسر التفكير في أمثال هذه المواقف بين المتدينّين فالمسلم لا يمكن أن يمهل عقله أمام العقيدة الدينّية حين يوفق بين واجب الإيمان بها في أصولها وقواعدها ، وواجب الأعراض مما اختلط بها من أوشاب الخرافة أو الضلالة)(٣).

---

(١)المؤمنون : ١١٨ .

(٢)محمد هشام سلطان : العقيدة والفكر الإسلامي ،ص ١٢ .

(٣) العقاد : التفكير فريضة إسلامية ، ص ٨٨ .

يقول العقاد تعليلا لذلك : ((إن العقل هو مرجعه الأول في التوفيق بين هذين الواجبين ، وهو مرجعه الوحيد في تخصيص الرسالات ، التي لم يقصصها القرآن عليه ، فلا غنى له عن التفكير فيها لفهم الصالح منها وغير الصالح والتمييز بين ما يجوز رفضه وما لا يجوز ، عسى أن يكون من رسالات الهداية الإلهية فلا يستنكره بغير بينة أو على غير هدى)) (١) .

والآن إذا جئنا لنحدد موقع العقل في عقائد الوثنيين وأهل الكتاب ، فإننا لا نجد له أثرا مما يوحي بأن هذه العقائد لا تتفق بين العقل جملة وتفصيلا ، وأنها أقرب إلى الخرافة والضلالة منها إلى العقل ففي التوراة مسائل كثيرة لا يصدقها العقل ، ولا يطمئن إليها الضمير ومن أشهر هذه المسائل مسألة النبوة ، التي يصورها العهد القديم في صورة خرافية لا ترقى إلى نبوة الهداية ، التي جاءت بها الأديان السماوية ، ومن هذه المسائل أيضا مسألة صراع إبراهيم مع الرب ، وتصور الرب في صورة بشرية بحيث تجتمع فيه كل غرائز البشر ، إلى غير ذلك من المسائل ، التي أثبتتها نصوص التوراة المحرفة ، والتي تستحيل معها كل استساغة عقلية ، أو تبرير منطقي .

وعقيدة التثليث في النصرانية هي أيضا عقيدة لا يصدقها العقل فإن العقل البشري لا يصدق أن تكون ذات الله واحدة ، ولكنها متعددة الأقانيم ، فقد جاء في القرآن الكريم أن الله واحد لا يتعدد قال تعالى : << قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ >> (٢) .

فليس هناك بصريح الآية الكريمة أقانيم ثلاثة بل هناك إله واحد لا شريك له .

وما يقال عن عقيدة التثليث يقال عن العقائد النصرانية الأخرى ، كالصلب والفداء وغيرهما مما لا يتفق مع العقل . كما ألفت القرآن الكريم أنظار أهل الأديان عموما إلى الكون ، الذي هو صفحة ناطقة بالقدرة الإلهية ، ولفت الأنظار إلى الكون ليست قضية من غير قصد أو غاية ، بل إن القصيد منها أن يعمل الإنسان عقله ، ويحكم بعد ذلك على ما يعتقده ، ولهذا الغرض كثرت الإشارات في

---

(١) العقاد : المصدر السابق ، ص ٨٨ .

(٢) سورة الإخلاص .

القرآن الكريم إلى ضرورة إعمال العقل للوصول إلى حقيقة التّوحيد ، التي قرّرتها الأديان السّماوية .

و أما الوثنية فإن القرآن الكريم اعتمد اعتمادا كليا على العقل لإبطالها فقد دعا صراحة إلى المطالبة بالبرهان على العقيدة ، وذم اتّباع الظّنّ والتّقليد ، لأن الظّنّ والتّقليد ينافيان العقل والعلم يقول اللّه تعالى في هذا الصدد :<< وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ >> (١) .

ويقول تعالى أيضا في المعنى نفسه :<< وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا >> (٢) وتأكيدا لهذه المعاني يرى محمد رشيد رضا أن القرآن الكريم ذمّ مشركي العرب من ناحيتين أخدهما : الجمود على طريقة الآباء والأجداد والإكتفاء بها عن الترّقي في العلم والعمل وليس هذا من شأن الإنسان العاقل البصير ، فإن الحياة تقتضي النموّ والتّوليد والعقل يطلب المزيد والتجّديد ، والثانية :أنهّم باتبّاعهم لآبائهم يكونون قد فقدوا مزية بشرية وهي التمّييز بين الحقّ والباطل والخير والشرّ ، والحسن والقبيح ، بطريق العلم وطريق الإهتداء في العمل (٣).

ويؤيد هذا قوله تعالى :<< وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ، قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ، أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ >> (٤) .

وفي خضم نقد القرآن الكريم للعقيدة الوثنيّة يقول تعالى في الردّ على طائفة منهم من عبدة الملائكة :<<وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ، مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ؟بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ، وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ، وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ >>(٥) .

---

(١) البقرة : ١٧٠ .
(٢)النساء : ٦١ .
(٣) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، ص ٢٥٢ .
(٤)الأعراف : ٢٨ .
(٥) الزخرف : ٢٠ / ٢٣ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقول محمد رشيد رضا :(فالقرآن قد جاء يهدي جميع الملل والأديان السابقة إلى استعمال عقولهم مع ضمائرهم للوصول إلى العلم والهدى والإطمئنان في الدين ، وألا يكتفوا بما كان عليه آباؤهم وأجدادهم من ذلك ، فإن هذا جناية على الفطرة البشرية والعقل والفكر، والقلب الذيّ امتاز بها البشر ، وبهذا العلم والهدى امتاز الإسلام ، ودخل فيه العقلاء من جميع الأمم أفواجا . ثم نكس المسلمون على رؤوسهم إلا قليلا منهم ، واتبّعوا سنن من قبلهم من أهل الكتاب وغيرهم في التقلّيد لآبائهم ومشايخهم المنسوبين إلى بعض أئمة علمائهم ، الذيّن نهوهم عن التّقليد ، ولم يأمروهم به ، فأبطلوا بذلك حجّة اللهّ تعالى على الأمم،التيّ وكل اللهّ دعوتها إليهم وصاروا حجّة على دينهم) (١) .

وقد عبر القرآن الكريم عن البرهان العقلي بالسلطان في بعض المواطن :<< إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ >> (٢) .

وقد أخبر القرآن الكريم في مواطن أخرى أن اللهّ تعالى أرسل موسى - عليه السّلام - إلى فرعون بآياته (وسلطان مبين) ولعل الظرّف الذيّ بعث فيه موسى -عليه السّلام - ، والقوم الذيّن بعث فيهم كان يستدعي هذا السلطان ؛ لأنّ بني إسرائيل كما بيّنا في الفصل الخاص باليهودية ، عرفوا بالجدل والمراء ، ومن ثم فإن افتقار موسى-عليه السّلام - إلى البرهان المعبرّ عنه بالسّلطان قد يجعلهم لا يصغون إلى ما يحدثّهم عنه . وتحت عنوان (الإسلام دين العقل والفكر) كتب محمد رشيد رضا قائلا :(تقرأ قاموس الكتاب المقدس ، فلا تجد فيه كلمة (عقل) ، ولا ما في معناها من أسماء هذه الغريزة البشرية ، التيّ فضّل الإنسان بها عن أنواع هذا الجنس الحي كالأمر والنهي لا لأن هذه المادة لم تذكر في كتب العهدين مطلقا ؛ بل لأنها لم ترد فيها أساسا لفهم الدين ودلائله ، والإعتبار به ، ولا أن الخطاب بالدين موجه إليه ، وقائم به وعليه ، وكذلك أسماء التفكر والتدبر والنظر في العالم التي هي أعظم وظائف العقل) (٣) .

---

(١)محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، ص ٢٥٣ .

(٢)غافر : ٥٦ .

(٣)محمد رشيد رضا : المصدر السابق ، ص ٢٤٢ .

أما ذكر العقل باسمه وأفعاله في القرآن قد جاء في سياق الكلام على آيات الله ، والرد على الذين أنكروها ، بأنهم قد عطلوا عقولهم ، لأن هذه الآيات تنطق بالقدرة الإلهية المطلقة ،التي لا يشك متدبّر فيها ومن قبيل ذلك قوله تعالى :<< إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ، وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ، وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ >> (١) .

فالإشارة إلى العقل لفهم سنن الله في الكون للوصول إلى إدراك وحدانيته ، والإقرار بربوبيّته أمر ظاهر في هذه الآيات ، فالظواهر التي يشهدها الإنسان من اختلاف الليل والنهار ونزول المطر ، لا يمكن للإنسان أن ينكرها ،أو يدّعي أنها من تدبير المصادفة ، بل إنّ ما يتفق مع العقل أن يسرع العقل إلى تصديق ما لا يتنافى مع أحكامه ، وللدلالة على قيمة العقل في إبطال العقائد الوثنية وإثبات عقيدة التوحيد ، فإن القرآن الكريم يأمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يحتجّ على قومه بكون القرآن من عند الله لا من عنده ،و بأن تواجده بينهم لأمد طويل ، وعلمهم بأميته ، يكون مدعاة إلى تصديق فكرة نزول القرآن من عند الله ، وهذا ما يرشد إليه العقل ، ولهذا قال تعالى :<< فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ >> (٢) .

فمن المعقول أنه لو كان القرآن الكريم من تأليف محمّد ، لما بقي هذا العمر الطويل دون التصريح به بين الناس ، ولكن هذا الأمر ليس من الإنشاء والتكلف ، وهو ما يثبت أن القرآن وحي إلهي .

ولأهمية العقل جعل القرآن الكريم إهمال استعماله سبب عذاب الآخرة ، لقوله في أهل النار :<< وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ > (٣) .

---

(١) البقرة : ١٦٤ .
(٢) يونس : ١٦ .
(٣) الملك : ١٠ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقوله تعالى : << وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُم الغافلون >> (١) .

وقوله أيضا : << أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا >> (٢).

كذلك آيات النظرّ العقلي ، والتّفكير الكثير في القرآن الكريم ، فمن تأملها علم أن هذا الدّين يدعو إلى النظرّ ويمجّد العقل ، ومن ثم فإنه يصدر حكمه على الذيّن عطلّوا ملكة العقل بأنهم كالأنعام بل هم أضلّ ، فإهمال العقل عندهم جعل العقيدة في نظرهم مجرّد ظواهر تقليدية لا تملك أي سند عقلي ، وقد بيّن بعض علماء الغرب (٣) بما لا يختلف فيه عاقلان ، من أن التفكر وإعمال العقل هو مبدأ ارتقاء البشر ، وبقدر جودته ، يكون تفاضلهم فيه ، ويقول محمد رشيد رضا :(قال تعالى : << يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا >> (٤) . وقال : << وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكَافِرُونَ >> (٥) .

قيد الوعيد على الشرك بكونه لا برهان لصاحبه يحتجّ به ، مع العلم أنهّ لا يكون إلاّ كذلك ، تعظيما لشأن البرهان ، وذلك أنه- تعالى يبعث الأمم مع رسلهم ، وورثتهم الذّين يشهدون عليهم ويطالبهم بحضرتهم بالبرهان على ما خالفوهم فيه ، كما قال : << وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الحَقَّ لِلَّهِ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ >>(٦). وأقام البرهان العقلي على بطلان الشرك بقوله بعد ذكر السموات والأرض : << لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا >> (٧) .

---

(١) الأعراف : ١٧٩ .
(٢) الحج : ٤٦ .
(٣) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، ص ٢٤٤ .
(٤) النساء : ١٧٤ .
(٥) المؤمنون : ١١٧ .
(٦) القصص : ٧٥ .
(٧) الأنبياء : ٢٢ .

ثم قفّى عليه بمطالبة المشركين بالبرهان على ما اتّخذوه من الآلهة من دونه مطالبة تعجيز ، فقال :<< أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ >> (١) ومثله في قوله تعالى :<< أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ >> (٢) .

ويضيف محمد رشيد رضا بأن القرآن الكريم قد ساق محاجّة إبراهيم لقومه ، والتي اشتملت على البراهين العلمية على بطلان شركهم ، ويستدل بقوله تعالى على لسان إبراهيم :<< وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ، فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ >> (٣) . ثم قال في آخره : <<وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ>> (٤) . ويعلق محمدرشيد رضا على ذلك فيقول :(فالدرجات هنا درجات الحجّة والبرهان العقلي في العلم ، ولذلك قدم فيه ذكر الحكمة على العلم ، وتقدم في الكلام على العلم آية رفع الدرجات فيه) (٥) .

ولا بد من الإشارة في النهاية إلى أن العقل وحده لايكفي لتعليل العقيدة والاستدلال على بطلانها أو إثباتها يرى صاحب المنار أن العقيدة الدينيّة تثبت بطريقين : طريق عقلي بشري : وهو طريق الوعي الكوني،و طريق البحث والنظر في ظواهر الكون ومظاهر الطبيعة، وطريق إلهي : طريق المرسلين من الهداة والدعاة الذين يأخذون بيد المتنطعّين والمتشوّقين إلى الحقيقة وإلى الهداية وإلى الربّوبية وإلى التوّحيد وينقل صاحب المنارعن محمد عبده قوله :<< إن غرائز البشروحدها ليست كافية في توجيه أعمالهم إلى مافيه صلاحهم ، فلابد لهم من هداية أخرى تعليمية تتفق مع القوة المميّزة لنوعهم وهي قوة الفكر والنّظر ، تلك الهداية التعّليمية هي هداية الرّسل والكتب التي ينزلها اللهّ عليهم >> (٦) .

---

(١)الأنبياء : ٢٤ .
(٢)النحل : ٦٤ .
(٣)الأنعام : ٨١ .
(٤) الأنعام : ٨٣ .
(٥) محمد رشيد رضا : المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .
(٦)تفسير المنار : ج ٢ ، ص ٢٨٧ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويرى رحمة اللّٰه الهندي (١) أن العقل لا يستقل بمعرفة كثير من الأمور مثل : المعاد الجسماني ، وأكثر أحوال الآخرة ، وبعض صفات اللّٰه ، ووظائف العبادات وغيرها ، ثم قال : ولا شك أن أمر المعاد أهم من أمر المعاش ، وأن حكم العقل فيما يستقل بمعرفته أيضا لا يكون موثوقا به في جميع الأوقات ، لأن العقول متفاوتة ، ولا سيما أن للأمزجة والعادات دخلا في الاعتقادات ، وأن لكل قوم مشهودات مخصوصة بهم ، مسلمة عندهم ، بل هي في منزلة البديهيات عندهم ، وغيرهم لا يسلمون بها بل يردونها وجويا . فالعقل غير كاف ، ولابد من الاحتياج إلى نبي ، وهذا يعاضد العقل ، ويؤكد حكمه ، ويجعله موثوقا به فيما يستقل العقل بمعرفته مثل : وجود الباري ، وعلمه وقدرته ، فيكونان دليلين على مدلول واحد ، ويرشد العقل ويهديه فيما لايستقل بمعرفته مثل المعاد الجسماني (٢) . وبناء على ماسلف ذكره نرى أن القرآن الكريم قد اعتمد على العقل في إثبات وجود اللّٰه سبحانه وتعالى، غير أن القرآن الكريم لم يعول على هذا الأسلوب كثيرا في إثبات البحث ، وغيرها من المسائل الغيّبية ، التيّ اعتمد في إثباتها على الوحي الإلهي .

---

(١) رحمة الله الهندي: إظهار الحق ، ص ١٢ .
(٢) المصدر نفسه .

المبحث الخامس :

الخاصية الخامسة :الإستدلال بالمنهج القصصي التاريخي :

إن من الأهمية بما كان الإشارة بين يدي هذا الموضوع إلى أن القصص القرآني يختلف كثيرا عن القصّة التّاريخية ، التّي تتناول حياة شخصية من الشّخصيات السّياسية ، أو الإجتماعية أو الثّقافية أو العلمية إذ تقف عند سرد حياتهم ، والإشادة بمواقفهم ومناقبهم وأسباب تألقهم ، غاضّة الطرّف عمّا يستفاد من وراء ذلك من عبرة أو أثر ، وهذا هو الحدّ الفاصل بين القصّة التاّريخية ، التيّ تقف عند حد إعطاء تاريخ وحوادث تاّريخيّة معينة خالية من العبرة والأسوة ، وغير منطوية على غرض من الأغراض العقائدية،وبين القصص القرآني ، الذيّ يتجاوز كل ذلك إلى تحقيق غاية مثلى ألا وهي تأكيد عقيدة التوّحيد ، إنطلاقا من تاريخ الأنبياء .

فالقصص القرآني يهدف إلى تحقيق أغراض عديدة وقد أوجزها سيد قطب بقوله :<< سيقت القصة في القرآن الكريم لتحقيق أغراض ديّنية بحتة ، و قد تناولت هذه الأغراض القرآنية عددا وفيرا ، يصعب استقصاؤه لأنه يكاد يتسرّب إلى جميع الأغراض القرآنية ، فإثبات الوحي وإثبات وحدانية الله ، وتوحّد الأديان في أساسها ، ومظاهر القدرة الإلهية ، وعاقبة الخير والشرّ ، والصّبر والجزع ، والشكرّوالبطر، وكثير غيرها من الأغراض الديّنية ، والمرامي الخلقية ، قد تناولته القصّة وكانت أداة إليه ، فإذا نحن استعرضنا أغراض القصّة القرآنية فإنّما نثبت هذه الأغراض ونوضّحها ونترك استقصاءها وتتبّعها >> (١) .

(١)سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، دار المعارف - ط ٩ ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ١٢٠ .

ولا أريد أن أدخل في تفصيل كل هذه الأغراض كما أوردها سيد قطب ، بل أقتصر على الإشارة إلى أهمها ، ممّا يخدم الموضوع الذيّ نحن بصدد بحثه ومناقشته والمتعلقّ ببيان المنهج القصصي التاّريخي للقرآن الكريم ، في معرض ردّه على الوثنيين كما في منهج اليهود والنصّارى ، وإبطال احتجاجهم بالأنبياء ، لتبرير معتقداهم الخاطئة .ومن الأغراض التي أود ذكرها ما يتعلق بالوحي والرسّالة أو ما يتعلقّ بوحدة الأديان السمّاوية ، أو بيان أن عقيدة التوّحيد هي أوّل دعوة الرسّل ، ومسألة الترابط الوثيق بين الشرّائع والأديان ، والتيّ أوجزها فيمايلي (١) :

أولا : إثبات الوحي والرسالة :من أغراض القصص القرآني إثبات الوحي والرسالة ،بمعنى أن هذا الدين ، الذي جاء به الرسل الكرام إنما هو بوحي من اللهّ تبارك وتعالى ، وأنهم أنبياء مرسلون من عند اللهّ ، وبذلك يرد على منكري الوحي الذين أشار إليهم القرآن الكريم في قوله تعالى :<<وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ>> (٢) ، أوالذين أوعزوا الوحي الإلهي ، الذي أنزله اللهّ تعالى على نبيّه إلى « وسيط بشري » إذ يقول تعالى في هذا الشأن<< وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ>> (٣) أو الذيّن جعلوا الوحي ضربا من الأساطير اكتتبها الرسّول ، ثم خرج بها على الناّس مدّعيا أنهّا من عند اللهّ كما في قوله تعالى :<< وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا >> (٤) .

ولقد ساق القرآن الكريم في معرض الردّ على هذه الأباطيل ، كثيرا من الأدلةّ ،التيّ تثبت أنّ الوحي والرسّالة اختصاص ربّاني ، وأنهّا ليست من إنشاء النبي ، أو من بنات أفكاره ، أو خلاصة إحتكاكه بغيره ، فقد ردّ القرآن الكريم على الذيّن أوعزوا ما جاء به محمد -صلى اللهّ عليه وسلّم - إلى أحبار اليهود ، أو رهبان النصّارى ، بأن محمدًا-صلىّ اللهّ عليه وسلّم - لا يقرأ ولا يكتب قال تعالى تأكيدا لهذه الحقيقة :<< وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ >>(٥)

---

(١)محمد علي الصابوني : النبوة والأنبياء ، ص ٩٩ / ١٠١ .
(٢)الصافات : ١٥ .
(٣)النحل : ١٠٣ .
(٤) الفرقان : ٥ .
(٥) العنكبوت : ٤٨ .

فأمية الرسول -صلى الله عليه وسلم- دليل على أنه متلقي للوحي الإلهي ، وليس من إنشائه ،أو اكتسابه كما ادعى المبطلون .

كما ساق القرآن الكريم دليلا آخر على بطلان انتحال الرسول -صلى الله عليه وسلم -للوحي بأن ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم - من الوحي هو شيء، مختلف في بعض فروعه التشريعية عن اليهودية والنصرانية ، وأنه الوحي الشامل الذي استغرق أصول العقائد ،والشرائع ،والأخلاق بتفصيل غير معهود في الكتب التي سبقته قال تعالى :<< اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا ، أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ >>(١) والوحي -كما بين القرآن الكريم هو غيب ، والغيب اختصاص رباني ، لا يطلع عليه إلا من شاء من أنبيائه ورسله قال تعالى :<< نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ قبله لمن الغافلين >> (٢) . وقال تعالى أيضا في المعنى نفسه :<< تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ >>(٣) .

وهكذا أثبت القرآن الكريم الوحي والرسالة ، إنطلاقا من تاريخ الأنبياء ، الذين لم يكونوا على علم بهذا الوحي والرسالة قبل البعثة .

ثانيا : <u>الإشارة إلى وحدة الدين السماوي</u> : ومن أغراض القصص القرآني بيان أن الدين كله من عند الله ، من عهد نوح -عليه السلام -إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة ، وأن لا إله إلا الله الواحد الأحد ، وكثيرا ما وردت قصص الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة كسورة الأنبياء معروضة بطريقة خاصة لتؤيد هذه الحقيقة الواضحة فقد جاء في هذه السورة قوله تعالى :<< وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ >>(٤) وقوله تعالى :<< وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ >>(٥) وقوله تعالى :<<وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِث >>(٦)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(١)الأحقاف : ٤ .
(٢)يوسف : ٣ .
(٣)هود : ٤٩ .
(٤) الأنبياء : ٤٨ ، ٤٩ .
(٥) الأنبياء : ٥١ .
(٦) الأنبياء : ٧٤ .

ثم ذكر الأنبياء "نوح وأيوب ، وإسماعيل وإدريس وزكريا " وبعد كلّ هذا يعقّب القرآن الكريم على ذلك بتأكيد حقيقة وحدة الدّين ، ووحدة المنتسبين إليه من المسلمين على اختلاف الرّسالات وتباعد المسافات فيقول اللّه تعالى :<< إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ >>(١) . وهذا هو الغرض من الإستعراض الطويل لقصص الأنبياء في القرآن الكريم .

ثالثا : بيان أن التوحيد هو أول دعوة الرّسل : لقد بيّن القرآن الكريم من خلال سرده لقصص الأنبياء - عليهم السلام - أن عقيدة التوحيد هي أساس كل النبوّات، والدّعوات والرّسالات ، فقد قال في نوح -عليه السلام - :<< لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ >>(٢) ، وقال عن هود :<< وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ >>(٣) ، وقال عن صالح :<< وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ >> (٤) ، وقال عن شعيب :<< وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ >>(٥) .

فعقيدة التّوحيد هي عقيدة مشتركة بين جميع الأنبياء وفي جميع الأديان السّماوية .

رابعا : بيان الترابط الوثيق بين الشرائع والأديان : من المعروف أن مصدر التّشريع واحد في جميع الأديان السماوية ، ومن ثم فإنه ليس بين هذه الأديان تعارض أوتصادم ، ما دام أنها تستقي من منبع واحد هو منبع الوحي الإلهي ، فقد بيّن القرآن الكريم أن كلّ رسول يرسل ، وكلّ كتاب ينزل ، فقد جاء مصدّقا ومؤكدا لما قبله ، فالإنجيل مصدّق ومؤيد للتوراة ، والقرآن الكريم مصدّق ومؤيّد للتوراة والإنجيل ، ولكلّ ما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، ولهذا نجد القرآن الكريم يتحدّى أهل الكتاب بأن يأتوا بالتّوراة أو الإنجيل ليستبينوا حقيقة التّوحيد التّي جاءت بها كل الرّسالات السّماوية يقول الله تعالى :<< قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ >>(٦) .

---

(١) الأنبياء : ٩٢ .
(٢)الأعراف : ٥٩ .
(٣) الأعراف : ٦٥ .
(٤) الأعراف : ٧٣ .
(٥) الأعراف : ٨٥ .
(٦) آل عمران : ٩٣ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وعن حقيقة الترّابط الوثيق بين الشرائع (في مجملها لا في تفصيلها) يقول اللّه تعالى :<< شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ >>(١) ، ويقول اللّه تعالى :<< إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى >>(٢). فما جاء به محمدّ - صلّى اللّه عليه وسلّم - من الرّسالة الخاتمة لا يختلف في جوهره، وأصله عمّا جاء به إبراهيم وموسى، وسائر الأنبياء -علهم السلام- . بل ذهب القرآن الكريم إلى أبعد من ذلك عندما أكدّ أن الدّين، الذيّ يدين به المسلمون هو ملّة إبراهيم ، وهو ما يسميه علماء مقارنة الأديان " الملّة الحنيفية " قال تعالى :<< وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ >>(٣) .

ونظرا لهذا الترّابط بين ديّن أبي الأنبياء، وبين الديّن الخاتم، وأديان بني إسرائيل ، فإنّ القرآن الكريم أبطل زعم أهل الكتاب بأن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا، وأكد أنه كان حنيفا مسلما ولم يكن من المشركين قال تعالى :<< مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ >>(٤) . وهكذا فقد بيّن القرآن الكريم أن تاريخ الأنبياء دليل على وحدة الديّن والعقيدة ، وأن ما خرج عن هذا الأصل هو من ابتداع المشركين من أهل الكتاب ، وأنه ليس من الديّن السّماوي في شيء .

---

(١) الشورى : ١٣ .
(٢) الأعلى : ١٣ .
(٣) الحج : ٧٨ .
(٤) آل عمران : ٦٧ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث السادس :

الخاصية السادسة :الإستدلال بالمنهج الموضوعي : الموضوعية كما جاءت في المعجم العربي الأساسي هو مصدر صناعي زيدت فيه الألف والنون ومعناه منسوب إلى الموضوع أو ما هو مجرد عن غاية شخصية (١) .ويقصد بالموضوعية في منهج القرآن الكريم في نقد الأديان قيام هذا النقد على أسس علمية مجردة من التعّصب للذات وسيطرة الأهواء ، والأحكام المسبقة والتي يستحيل معها الوصول إلى الحقيقة المرجوة وهي بناء العقيدة الإلهية على قاعدة التوحيد المطلق ، والتنزيه المطلق للذات الإلهية وإفرادها بالعبادة .

وتتجلى موضوعية القرآن الكريم في مناقشة أهل العقائد الأخرى في جملة أسس نلخصها كما يلي :

أولا : عدم الإكراه على قبول عقيدة التوحيد : إن موضوعية المنهج القرآني في نقد الأديان لا تتوّفر إلا بانعدام وسائل الضّغط وعوامل الإكراه ، حتى يتمكن العقل المجرد بما وفر له له القرآن الكريم من حرية أن ينظر في هذه العقيدة ووسائل إقناعها وحججها ليصدر فيها حكمه بقبولها بما تحمله من دواعي القبول أو رفضها لما عنا له من دواعي الرفّض . وإعمال العقل بحرية ولا شكّ يولدّ الإقناع في نفس أي طالب للحقيقة وبخاصة إذا تعلقتّ هذه الحقيقة بعقيدة التوحّيد ، التّي تظافرت الأدلة العقلية على قبولها ،والإذعان لها .

ومن موضوعية القرآن الكريم في ميدان الجدل حول العقيدة،ما جاء على لسان نوح- عليه السلام - لقومه لما عارضوا دعوة التّوحيد، التيّ جاء بها فقال كما حكا القرآن الكريم عنه:<< أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ >>(٢) .

قال المراغي في تفسير هذه الآية الكريمة :(أي أنكرهكم على قبولها وأنتم معرضون عنها غير متدبرين لها ،كلا إنا لا نفعل ذلك)(٣) .و هذا القول الذي نطق به نوح- عليه السلام - يتفق تمام الاتفاق مع القول :<< لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ >>(٤). وعدم الإكراه هنا يبين أن الدّين إنما جاء ليخاطب الإدراك البشري بكل قواه ، يخاطب العقل المفكرّ ، وفي هذا تكريم اللهّ للإنسان واحترام لإرادته وفكره ومشاعره .

---

(١)المعجم الأساسي العربي : وضع جماعة من كبا اللغويين العرب ، من منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

(٢)هود : ٢٨ .

(٣)أحمد مصطفى المراغي : التفسير ، دار الفكر ، المجلد ٤ ، ج ١٢ ، ط ٣ ، ص٢٧ .

(٤) البقرة : ٢٥٦ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وكما جاء في الظلال في تفسير قوله تعالى :<< لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ >> (١) .

فقال :<< إن قضية العقيدة كما جاء بها هذا الدين ، قضية إقتناع بعد البيان والإدراك ، وليست قضية إكراه وغصب وإجبار ، ولقد جاد هذا الدين يخاطب الإدراك البشري بكل قواه وطاقاته ، يخاطب العقل المفكر ، والبداهة الناطقة ، ويخاطب الوجدان المنفعل ، كما يخاطب الفطرة المستكنة ، يخاطب الكيان البشري كله ، والإدراك البشري بكل جوانبه ، في غير قهر حتى بالخارقة المادية التي قد تلجئ مشاهدها إلجاء إلى الإذعان ، ولكن وعيه لا يتدبرها وإدراكه لا يتعقلها لأنها فوق الوعي والإدراك ، وإذا كان هذا الدين لا يواجه المخالف له بالقوة والإكراه ليعتنقه تحت تأثير التهديد أو مزاولة الضغط القاهر والإكراه بالبيان ولا إقناع ولا إقتناع >> (٢) .

وقال ابن كثير في تفسير الآية :<< لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ >> (٣) : (أي لا تكرهوا أحد على الدخول في دين الإسلام ، فإنه بين واضح ،جلي دلائله وبراهينه ، لا يحتاج إلى أن يكره أحدا على الدخول فيه ، بل من هداه اللّٰہ للإسلام ، وشرح صدره ، ونور بصيرته ، دخل فيه على بينة ، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره ، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا) (٤) .

وعلى كل فالذي نستنتجه من هذه النصوص مايلي :

١ -إن الموضوعية في مناقشة العقيدة الدينية لا تتحقق ، إلا إذا توفرت الحرية وانعدمت وسائل الضغط والقمع والإكراه .

٢ -إن القرآن الكريم يتوافر على دلائل الإقناع القوية وهو ما يفسر رفضه لقاعدة الإكراه في الدين ، فإن قوة دلائله وجلاء براهينه كما قال ابن كثير لا يحتاج إلى أن يكره أحدا على الدخول فيه .

٣ -إن الإقبال على عقيدة التوحيد لا يدل على الإكراه في الدين ، وإنما هو نتيجة من نتائج تحرر العقل ، وإستقامة الفكر، وسلامة الفطرة .

---

(١) البقرة : ٢٥٦ .

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج١ ، ص ٢٩١ .

(٣)البقرة : ٢٥٦ .

(٤) ابن كثير : التفسير ، ج١ ، ص ٣٣٣ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كما أن الإعراض عن عقيدة التّوحيد بغير تدبر لا يدل على خلل فيها ، بل على خلل في نفسية من عرضت عليه .

ثانيا : دعوة القرآن الكريم أهل العقيدة إلى التجرد عن المطامع الذاتية :

إن الجدل الهادف لا يكون موضوعيا ، ولا يؤتي ثمرته ، ولا يحققّ أهدافه إلا إذا تجرّد عن المطامع الذاتيّة وتخلّص من المنّافع الشخصية ، لقد ردّ نوح - عليه السّلام - على مجادليه بقوله :<< لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ >>(١) .

إن هذا الإحتراس من نوح -عليه السّلام- يفيد في التنبّيه على أن صاحب المطامع قد يدافع عن الفكرة ، لا لكونها فكرة صحيحة ، وإنما لمصلحة تتحقق له من ورائها فالجدال لا يكون هدفه الحقّ ، إلا إذا تجرّد عن الدّوافع القبلية ، والأغراض الشّخصية حتى يكون قائما على أسس صحيحة ومعطيات وجيهة .

ثالثا : رفض الشروط المسبقة لقبول العقيدة :

إن الجدال حول العقيدة ومطالبة أهل العقائد الأخرى باعتناقها وقبولها ، لا يتمّ بالرّضوخ لمنطق الشهوات ، وإنما برفض الشرّوط المسبقة جملة وتفصيلا ، ومن هنا رفض نوح - عليه السّلام - كما رفض الأنبياء الآخرون ، مبدأ الإستجابة لمطالب ذاتية كشرط للدّخول في الدّين ، فقد رفض مبدأ الطرّد ،الذّي كان قد اقترحه الوجهاء والأثرياء بدعوى أن هؤلاء المنتمين لدعوته لم يكونوا من الأغنياء ، ولا من أصحاب النفوّذ فقال : << وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا >> (٢) .

ويفيد هذا الرّفض في مايلي :

١ -إن الجدال لا يوصل إلى الحقيقة ، وإبطال البّاطل إلا إذا خلا من الشروط المسبقة ، وتجرّد من الإلتزامات القبلية .

٢ -إن إرضاء الشهوات لا يساعد على الوصول إلى الحقيقة لأنّه كثيرا ما يرتبط المنطق بسيطرة الأهواء والرغبات .

---

(١)هود : ٢٩ .

(٢)هود : ٢٩ .

– رابعا : إستواء المسلمين وأهل الأديان الأخرى أمام العقيدة :

لقد طالب القرآن الكريم من أهل الكتاب أن ينضمّوا إلى الفريق المسلم في قبول عقيدة التوّحيد ، ورفض عقيدة الشرك ، وإتّخاذ الأرباب من دون اللّه ويوضحّ هذا قوله تعالى :<< قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ >> (١) .

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية :(وإنها لدعوة منصفة من غير شكّ ، دعوة لا يريد بها النبيّ – صلّى اللّه عليه وسلّم – أن يتفضّل عليهم ، هو ومن معه من المسلمين كلمة سواء يقف أمامها الجميع على مستوى واحد ، لا يعلو بعضهم على بعض ، و لا يتعبد بعضهم بعضا ، دعوة لا يأباها إلا متعنّت مفسد ، لا يريد أن يفيئ إلى الحقّ القويم ، إنهّا دعوة إلى عبادة اللّه وحده لا يشركون به شيئا ، لا بشرا ولا حجرا ، ودعوة إلى ألاّ يتخذ بعضهم بعضا من دون اللّه أربابا ، لا نبيّا ولارسولا ، فكلهّم للّه عبيد ، إنمّا أصطفاهم اللّه للتبليغ عنه ، لا لمشاركته في الألوهية والرّبوبية << فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ >> : فإن أبوا عبادة اللّه وحده دون شريك ، والعبودية للّه وحده دون شريك ، وهما المظهران اللذّان يقرّران موقف العبيد من الألوهية إن تولّوا فقولوا : اشهدوا بأنّا مسلمون) (٢) .

لقد ألفت القرآن الكريم نظر أهل الكتاب إلى حقيقة خالدة دعت إليها كل الرّسالات السّماوية والتي لا ينبغي العدول عنها ، أو رفضها وهي حقيقة التوّحيد ، فهي مسألة مشتركة بين أتباع الرّسالة الخاتمة ، وأتباع التوّراة ، والإنجيل من أهل الكتاب .

(١) آل عمران : آية ٦٤ .
(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ٤٠٦ .

خامسا : الثناء على المعتدلين من أهل الكتاب وتوقير التّوراة والإنجيل :

من الأدلّة الباهرة على موضوعية القرآن الكريم في عرض العقيدة ، أنه لم يحمل على أهل الكتاب ، باعتبار أنهّم مخالفون لهذه العقيدة أو خصوم لها ، بل ميّز بين المتشدّدين منهم ، والمعتدلين ، وفي هذا المعنى يقول اللهّ تعالى : << لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ ، وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ >> (١) . يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية : << وهي صورة وضيئة للمؤمنين من أهل الكتاب فقد آمنوا إيمانا صادقا عميقا ، وكاملا شاملا ، وانضمّوا للصفّ المسلم ، وقاموا على حراسة هذا الدّين ، آمنوا باللهّ واليوم الآخر ، وقد نهضوا بتكاليف الإيمان ، وحققّوا سمة الأمّة المسلمة التي انضمّوا إليها -خير أمة أخرجت للناس - فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وقد رغبت نفوسهم في الخير جملة ، فجعلوه الهدف الذّي يسابقون فيه ، فسارعوا في الخيرات ، ومن ثمّ هذه الشهادة العلوية لهم أنهّم من الصّالحين ، وهذا الوعد الصادق لهم أنهّم لن يبخسوا حقّا ، ولن يكفروا أجرا ، مع الإشارة إلى أنّ اللهّ سبحانه وتعالى- علم أنهّم من المتّقين >> (٢) .

فهذه النصّوص القرآنية وغيرها تدلّ على أنّ القرآن الكريم أنصف أهل الكتاب ومن ورائهم أهل كل ملةّ ونحلة متى اعترفوا بعقيدة التّوحيد المطلق ، وأقاموها حقيقة في أنفسهم ، وجسّدوها في واقع حياتهم ؛ وهو ما نفهمه من قوله تعالى عن أهل الكتاب : << ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ >> (٣) .

قال ابن كثير : << تضمّن وصفهم بأنّ فيهم العلم والعبادة والتّواضع ، ثم وصفهم بالإنقياد للحقّ واتبّاعه والإنصاف >> (٤) .

---

(١) آل عمران : ١١٣ .

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن ج١ ، ص ٤٥٠ .

(٣) المائدة : ٨٢ .

(٤) ابن كثير : التفسير : ج ٢ ، ص ٣٨٩ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وأما عن توقير التوراة والإنجيل فيتجلى في ثلاثة أمور :

الأمر الأول : وصف القرآن الكريم التوراة والإنجيل بأنهما نور :

قال تعالى :<< إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ >> (١) ، وهنا فيه مدح للتوراة وقال عن الإنجيل : << وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ >> (٢) والهدى والنور في هاتين الآيتين اللتين تتحدثان عن التوراة والإنجيل تشير إلى احتوائهما على عقيدة التوحيد ، التي بعث الله بها جميع رسله (٣) .

الأمر الثاني : الإشارة إلى أن شريعة التوراة والإنجيل مطابقة لشريعة الإسلام :

لقد أشار القرآن الكريم إلى أن شريعة التوراة والإنجيل لا تختلف في أصلها - وليس في فروعها التفصيلية - عمّا جاءت به الرسالة الخاتمة ، فقد نصّت التوراة على مبدأ القصاص ، الذي أقرّته الشريعة الإسلامية قال تعالى :<< وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ، وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ، وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ ، وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ ، وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ ، وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ >> (٤) .

وقد جاء الإنجيل مصدّقا لما في التوراة ، وهذه الإشارة إلى تطابق شريعة التوراة والإنجيل مع شريعة الإسلام تدلّ على التكامل بين الديانات الكبرى ، اليهودية ، والنصرانية ، والإسلام) (٥) .

الأمر الثالث : إستواء أهل الكتاب مع المسلمين في إقامة الحدود :

لقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله -صلىّ الله عليه وسلمّ - أن يحكم بين أهل الكتاب بشريعة الإسلام في مسائل القصاص ، والحدود وذلك ، لأن التوراة والإنجيل قد نصّتا على ذلك ، ولا اختلاف بينهما وبين الإسلام في هذه المسألة ، الذي هو صورة قائمة للدين الإلهي الواحد قال تعالى :<< وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ، فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ >> (٦) .

---

(١) المائدة : ٤٤ .
(٢) المائدة : ٤٦ .
(٣) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج٢ ، ص ٨٩٦ .
(٤) المائدة : ٤٥ .
(٥) سيد قطب : المصدر السابق .
(٦) المائدة : ٤٨ .

وخلاصة القول في الخصائص العامة لمنهج القرآن الكريم في نقد الأديان :

أولا : إن القرآن الكريم اعتمد في هذا النقد على مخالفة هذه الأديان الصريحة لخصائص الإنسان وطبيعته الفطرية ، وهو ما يسمّى بالمنهج الفطري ، الذيّ يقوم على طريقة التأثير النفسّي والوجداني ، وهو بذلك ليس منهجا عقليا محضا .

ثانيا : إن القرآن الكريم في نقده للأديان لم يقتصر على أسلوب التقرير الذي يسدّ الباب أمام النظرة العقلية المتفحصّة ، بل اعتمد على العقل في تقرير ما يمكن تقريره .

ثالثا : إن القرآن الكريم اعتمد على المنهج الربّاني الذي يركزّ على بيان ، وتأكيد ربّانية المصدر الإلهي للديّن وذلك ، لأن أي جدال لا يقيم وزنا لهذه الحقيقة فهو جدال عقيم لا تتحقق من ورائه نتيجة حاسمة .

رابعا : إن القرآن الكريم لم يقم هذا النقد على أسس عصبيّة يغلب عليها الهوى والأحكام المسبقة ، بل اعتمد على الموضوعية المطلقة في عرض عقيدة التوّحيد ، وإبطال العقائد الوثنية في الأديان الأخرى .

خامسا : إن القرآن الكريم إعتمد على المنهج الواقعي ، وذلك ، لأنّ الديّن من حيث هو "عقيدة ثابتة" بالنّقل والعقل هو أيضا حقيقة واقعية تتصّل بواقع الإنسان ، ولا تنفصم عنه .

سادسا : إن القرآن الكريم اعتمد على المنهج القصصي وذلك بسرد قصص الأنبياء و سيرتهم ودعوة أتباعهم إلى الإحتجاج بها على صحّة عقيدة التوّحيد ، وتواترها في الأديان السّماوية منذ الرسّالات الأولى إلى الرسّالة الخاتمة .

حمة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن لكلّ بحث نتائج تمثل خلاصة الأفكار ، التّي دار حولها الموضوع وإنّ أهم النّتائج التيّ توصّلت إليها في هذا البحث تتلخص فيمايلي :

أولا : أن القرآن الكريم بنى منهجه في نقد الأديان على تصحيح التصّور الإعتقادي ، و ذلك لأن العقيدة في المفهوم القرآني هي محور كل نشاط ،أو فكر إنساني ، فالعقيدة لها دور كبير في البناء الإجتماعي،والفكري للإنسان .

ثانيا: أنّ القرآن الكريم هو وحده الذي أعطى مفهوما صحيحا للألوهية ، القائمة على التّوحيد الخالص ،وأنهّ أعاد بناء مفهوم الألوهية عند الوثنيّين وأهل الكتاب ، وأبعد عنها دعاوي الشّرك والتّثليث والتّشبيه .

ثالثا : أنّ القرآن الكريم جعل أهل الكتاب أمام الدين فريقين ، فريق متبع وفريق مبتدع ، وهذا التمييز القرآني بين أهل الكتاب يفيد في تقديم صورة منصفة وموضوعية عن اليهود والنصارى ، بعيدا عن المواقف والأحكام المسبقة .

رابعا :أنّ القرآن الكريم هو وحده الذي أعطى صورة صادقة عن المسيح -عليه السلام - وأكد بشريته منكرا بذلك الشبهات ، التي أثارها النصارى حول طبيعة المسيح ورسالته .

خامسا :أنّ فكرة التقارب بين الأديان أو ما اصُطلح على تسميتها بوحدة الديّن السّماوي - بعد التحريف - ، هي دعوة تبشيرية تهدف إلى إلغاء ، وإنكار هيمنة الدّين الإسلامي على غيره من الأديان ، هذا زيادة على أن الوحدة المزعومة لا تصح بتاتا بسبب الاختلاف الجوهري بين الأصول العقائدية الصّحيحة للإسلام ، والأصول المنحرفة للأديان الأخرى .

سادسا : أنّ القرآن الكريم أولى إهتماما كبيرا بالجانب الفطريّ في الإنسان ، بعكس الأديان الأخرى ، التي أنكرت هذا الجانب ، وكان من نتائج هذا الإنكار الميل إلى الجدل حول مسألة وجود الله كما هو الحال عند الدهريين ، أو اتخّاذ الآلهة والأرباب كما هو الشأن عند الوثنييّن العرب ، أو اتخّاذ الولد والنظّير كما هو الشأن عند أهل الكتاب .

سابعا: أنّ القرآن الكريم أعطى اهتماما كبيرا للعقل في تقرير بعض الحقائق العقائدية ، التيَ لايستطيع النقّل إثباتها ، فالعقل في التصّور القرآني مؤيّد للنّقل وليس هناك تصادم بينهما ، كما هو الشأن في الأناجيل المسيحية وأسفار اليهود المحرّفة ، ولقد ساعد الإهتمام بالعقل في القرآن الكريم على إبطال بعض العقائد التّي تتناقض مع العقل .

ثامنا : أنّ القرآن الكريم ناسخ للتوّراة والإنجيل ، وهذا النسخ لا يعني نقض ما جاء فيهما من أحكام وشرائع ، فلقد دعا القرآن الكريم أهل الكتاب إلى التوحيد ، وإلى القصاص الذي جاءت به الرسالة الخاتمة . فالنسخ يعبر عن التدرج في التشريع ، ليعطي الصورة الكاملة والنهائية للدين ، ويؤيد هذا قوله تعالى : «اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلَامَ دِينًا »(١) ، فالإتمام لا يعني النقض وإنماّ يعني شمولية الدّين الخاتم ، وهيمنته على ما سبقه من رسالات سماوية وتفصيل ما أجمل وتوسيع ما ضيّق ، ورفع الحرج عما كان موضوع تشدّد ، ومغالاة عند أهل الكتاب .

تاسعا : أنّ القرآن الكريم هو الذي أعطى مفهوما صحيحا للنبّوة ، بعكس الأديان الأخرى التّي جعلتها ضربا من السّحر والكهانة كما هو الحال عند مشركي العرب ، أو ضربا من التّنجيم أو الوساطة الكهنوتية كما هو الحال عند أهل الكتاب .

عاشرا :أنّ النقّد القرآني للأديان ليس لغرض النقّد المجرد ، وإنمّا لغرض تصحيح ما أفسد أهل هذه الأديان من دين الله ، ومن ثمّ فإن القرآن الكريم من خلال هذا النقّد لا يهدف إلى تسجيل موقف للغلبة بقدر ما يهدف إلى تصحيح موقف الأديان الأخرى من الدّين السّماوي.

وأخيرا وبعد هذه النتّائج التّي وفقني الله إلى إبرازها ، والتّي استنفذت الكثير من الجهد ، فإن الحديث عن منهج القرآن الكريم في نقد الأديان بحث واسع ، ومع إعترافي بأن البحث العلمي لا يعرف الكلمة الأخيرة إلاّ أننّي أقول لعلّي بما قدمت في هذا المجال من جهد أكون قد وفقّت فيما قدّمت ، وما توفيقي إلا باللّه عليه توكّلت وإليه أنيب .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

١ - فهرس المصادر والمراجع.
٢ - فهرس الآيات القرآنية.
٣ - فهرس الأحاديث النبوية.
٤ -فهرس العهد القديم والعهد الجديد.
٥ - فهرس الأعلام.
٦ -فهرس المذاهب والفرق والأديان.
٧ - فهرس الموضوعات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ١-فهرس المصادر والمراجع *

أولا : القرآن الكريم وكتب التفاسير وعلوم القرآن :

-١ البيضاوي (الإمام ناصر الدين أبو الخير عبد الله الشيرازي) :أنوار التنزيل وأسرارالتأويل- دار الفكر - ١٩٨٢م .

-٢الجرجاني : التعريفات - طبعة بيروت - بدون تاريخ .

-٣ الجلالين (جلال الدين محمد بن أحمد المحلى وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي) : تفسير الجلالين - شركة الشهاب - الجزائر (بدون تاريخ) ، ومعه حاشية الجمل على تفسير الجلالين .

-٤ الرازي (محمد فخر الدين) : التفسير الكبير - ط:٢ - ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م .

-٥ رضا (محمد رشيد) : تفسير المنار- دار المعرفة - بيروت - لبنان- ط:٢ (بدون تاريخ) .

-٦ الزمخشري (محمود بن عمر) : الكشاف عن حقائق التنزيل- الحلبي- مصر-(بدون تاريخ) .

-٧أبو السعود (محمد بن محمد العمادي): إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم- محمد علي صبيح- مصر- (بدون تاريخ) .

-٨السيوطي (جلال الدين) : الإتقان في علوم القرآن - الحلبي - مصر - ط:٣ ، ١٩٥١م .

-٩شلتوت (الشيخ محمود) : الفتاوي - إدارة الثقافة الإسلامية - الأزهر - مصر - (بدون تاريخ) .

-١٠ الصابوني (محمد علي) : صفوة التفاسير - دار القرآن الكريم - بيروت - لبنان - ط:٤ - ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م .

-١١ الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن) : مجمع البيان في تفسير القرآن -دار المعرفة- بيروت- لبنان ، ١٩٨٦م .

-١٢ الطبري(محمد بن جرير) : جامع البيان في تفسير القرآن - دار المعرفة - بيروت -لبنان - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

-١٣عبده (محمد) : تفسير جزء عم (بدون معلومات النشر) .

* لقد إعتمدت في إعداد هذا الفهرس على ترتيب المصادر و المراجع ترتيبا أبجديا بدءا باسم المؤلف ثم عنوان الكتاب و حسب الأولوية، فبدأت بكتب التفاسير و علوم القرآن ثم كتب الأحاديث والسّيرة النّبوية والتّاريخ . ثم المصادر اللغوية و المعاجم فالمصادر القديمة و الحديثة و مصادر العهد القديم و الجديد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-١٤ القرطبي (محمد أحمد) :الجامع لأحكام القرآن - دار الشعب - مصر - (بدون تاريخ)
-١٥ قطب (السيد) : في ظلال القرآن - دار الشروق - بيروت- لبنان - ط: ١٦، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
-١٦ ابن القيم الجوزية (شمس الدين محمد بن أبي بكر) : التفسير القيم - دار التراث العربي - بيروت - لبنان - (بدون تاريخ) .
-١٧ابن القيم : إعلام الموقعين غن رب العالمين - دار الجيل - بيروت - ١٩٧٣م .
-١٨ ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل) : تفسير القرآن العظيم - دار الثقافة للنشر والتوزيع- الجزائر - ط:١- ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م .
-١٩ المراغي (أحمد مصطفى) : تفسير المراغي - دار الفكر - ط: ٣ - ١٩٧٤م .

ثانيا : كتب الأحاديث والسيرة النبوية والتاريخ :

أ- كتب الأحاديث والسيرة النبوية :

-٢٠ أحمد (ابن حنبل) :مسند الإمام أحمد (بدون تاريخ) .
-٢١ البخاري : صحيح البخاري - دار الفكر للطباعة والنشر- مصر- ١٩٨١م .
-٢٢ الترمذي: سنن الترمذي - دار الفكر للطباعةوالنشر- (بدون تاريخ) .
-٢٣ابن جرير: مسند ابن جرير- دار الفكر - (بدون تاريخ) .
-٢٤ابن ماجه: سنن ابن ماجة - دار الفكر- (بدون تاريخ) .
-٢٥ مسلم : صحيح مسلم بشرح النبوي - دار الفكر - (بدون تاريخ) .
-٢٦ دروزة (محمد عزة) :سيرة الرسول - ج:٢ - (بدون تاريخ) .
-٢٧ ابن هشام : سيرة ابن هشام - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الفكر - ج:٢-(بدون تاريخ) .

ب- كتب التاريخ :

-٢٨الأزرقي: أخبار مكة- دار الأندلس - ج:١- (بدون تاريخ) .
-٢٩ أمين (أحمد) : يوم الإسلام - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ط:١- ج:١- (بدون تاريخ)
-٣٠ بدران (محمد بن فتح الله) :تاريخ الأديان المقارن - مطبعةمخيمر- (بدون تاريخ) .
-٣١ حتي(فيليب) : تاريخ العرب- دار غندور- ط:٥ - بيروت - ١٩٧٤م .
-٣٢الخربوطلي : تاريخ الكعبة - دار الجيل - بيروت - ١٩٧٦م .
-٣٣ الرافعي(عبد الرحمن): جمال الدين الأفغاني- الدار المصرية-القاهرة - (بدون تاريخ).

جمعة إحياء عبد القادر للعلوم الإسلامية

-٣٤ شلبي(أحمد) :موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - مكتبة النهضة المصرية- القاهرة - ط:١٢ - ١٩٨٧م .

-٣٥ الطويل (رزق) : بنو إسرائيل في القرآن - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٠م .

-٣٦ عطار (أحمد عبد الغفور) : الديانات والعقائد في مختلف العصور - مكة المكرمة - ط:١- ج:١ - ١٩٨١م .

-٣٧ المسعودي :مروج الذهب - مصر- ط:٤- ١٩٦٤م .

-٣٨النجار(عبد الوهاب) : قصص الأنبياء - مكتبة النهضة العربية - ط:٣- (بدون تاريخ).

-٣٩ هيكل (محمد حسين) : حياة محمد - مكتبة النهضة المصرية - ط:٣- ١٩٦٨م .

ثالثا : المصادر اللغوية والمعاجم :

-٤٠ الدمشقي (محمدمنير) : المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم-دار التراث الإسلامي للنشر والتوزيع- باتنة - الجزائر - (بدون تاريخ) .

-٤١الزوزني : شرح المعلقات السبع- دار الجيل - بيروت - ط:٢- ١٩٧٢م .

-٤٢ الفيروزابادي: القاموس المحيط - دار الكتاب العربي - ج:٣ - (بدون تاريخ) .

-٤٣ قاموس الكتاب المقدس :وضعه جماعةمن الأساتذة اللاهوتيين -المطبعة الأمريكية - بيروت - ١٨٩٤م .

-٤٤ المعجم العربي الأساسي : وضعه جماعة من كبار اللغويين العرب - منشورات المنظمة العربيةللتربية والثقافة والعلوم - (بدون تاريخ) .

-٤٥ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري) : لسان العرب - دار المعارف - ج:١ ,٢ - (بدون تاريخ) .

رابعا : المصادر القديمة والمخطوطات :

-٤٦ ابن الترجمان (عبد الله) : تحفة اللبيب في الرد على أهل الصليب - مخطوطة بدار الكتب - رقم :٢٦ لاهوت .

-٤٧ ابن تيمية(أحمد تقي الدين) : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - مطبعة المدني ج:٢- (بدون تاريخ) .

-٤٨ الجاحظ (عمرو بن بحر) : قبس الأنوار في الرد على النصارى والكفار - مخطوطة بدار الكتب - رقم : ٢٢٢مجاميع .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-٤٩ ابن حزم (محمد) : الفصل في الملل والأهواء والنحل- تحقيق عبد الرحمن خليفة – ج: ١- ١٣٤٧هـ .

-٥٠ الشهرستاني : الملل والنحل – حققه وعلق عليه الأستاذ أحمد فهمي محمد – دار الكتب العلمية – بيروت – ط:٣ – ١٩٩٠م .

-٥١ عبده (محمد) : الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية- المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – ١٩٨٨م .

-٥٢ ابن الكلبي (أبو المنذر هشام ابن السائب) : الأصنام – تحقيق أحمد زكي باشا – المطبعة العربية – (بدون تاريخ) .

-٥٣ الهندي (رحمة الله) : إظهار الحق – المطبعة العلمية – ١٣١٥هـ .

خامسا : المصادر الحديثة:

-٥٤التهانوي :كشاف اصطلاحات الفنون- طبعة صبيح – القاهرة –

-٥٥التومي (محمد) : الجدل في القرآن الكريم (فعاليته في بناء العقلية الإسلامية – شركة الشهاب – باتنة – الجزائر – (بدون تاريخ) .

-٥٦ دراز (عبد الله) : الدين "بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان " – (بدون تاريخ) .

-٥٧ الجبهان(أحمد سليمان): معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير – عالم الكتب للنشر والتوزيع – الرياض – ط:٤ – ١٩٨١م .

-٥٨ جرجس (داوود داوود) : أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت ط:٢- ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .

-٥٩ الجليند (محمد السيد) :قضية الخير والشر في الفكر الإسلامي – مطبعة الحلبي – القاهرة – ١٩٨١م .

-٦٠ جواد (علي) : تاريخ العرب قبل الإسلام – مطبعة المجمع العلمي العراقي – (بدون تاريخ) .

-٦١ حمدان(جمال) : اليهودية إنتروبولوجيا- دار الكتاب العربي – المكتبة الثقافية – (بدون تاريخ)

-٦٢الحوت (محمود سليم) :الميثولوجيا عند العرب- دار النهار بيروت – (بدون تاريخ) .

-٦٣رضا(محمد رشيد) :الوحي المحمدي – المكتب الإسلامي- بيروت -١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .

-٦٤ أبو زهرة (محمد) :- محاضرات في النصرانية – شركة الشهاب- الجزائر – ١٩٨٩م . -٦٥

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقارنات الأديان- الديانات القديمة (الديانة المصرية القديمة) - دار الفكر العربي - القاهرة (بدون تاريخ) .
-٦٦الساموك (سعدون) : الأديان- دراسة تاريخية مقارنة- دار الحرية- بغداد - ١٩٧٦ م .
-٦٧السايح (أحمد عبد الرحيم) : بحوث في مقارنة الأديان (الدين - نشأته والحاجة إليه)- دار الثقافة - الدوحة - ط:١- ١٩٩١م .
-٦٨ سلطان (محمد هشام) : العقيدة والفكر الإسلامي - مكتبة رحاب - الجزائر - ط: ٢- ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .
-٦٩ سليمان (محمد) :من مشكاة النبوة - مقال بمجلة البيان- عدد١٧ الصادر في شعبان١٤٠٩هـ عت المنتدى الإسلامي بلندن .
-٧٠السمالوطي(نبيل محمد توفيق) : الدين والبناء الاجتماعي - دار الشروق -جدة- ط:١- ج:٢- ١٩٨١م .
-٧١ سمعان (عوض) : قضية الغفران في المسيحية - النهضة الجديدة بالفجالة - ١٩٥١م .
-٧٢ الشرفي(عبد المجيد) :الفكر الإسلامي في الرد على النصارى حتى القرن التاسع عشر- الدار التونسيةللنشر والتوزيع- ١٩٨٦م .
-٧٣ ابن الشريف(محمود) : الأديان في القرآن - شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع - ط:٥- ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م .
-٧٤ شتيوي(محمد شلبي) : مقارنة الأديان "القرآن دراسة وتحليل" - مكتبة الفلاح - الكويت- ط:١- ١٩٨٥م .
-٧٥الصابوني(محمد علي) :النبوة والأنبياء - دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع- عين مليلة - الجزائر - (بدون تاريخ) .
-٧٦ العدوي(محمد أحمد) :آيات الله في الآفاق - مصر- ط:١- ١٩٣٣م .
-٧٧ العقاد (عباس محمود) :
- الله - دار المعارف - (بدون تاريخ) .
- التفكير فريضة إسلامية منشورات المكتبة العصرية -صيدا - لبنان- (بدون تاريخ) .
-٧٨العهد القديم (أسفار التوراة) -العهد الجديد (الأناجيل) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-٧٩ فضل الله(محمد حسين) : الحوار في القرآن - دار المنصوري للنشر- مطبعة سراوي للنشر- الرويبة - الجزائر - ج:١- (بدون تاريخ) .
-٨٠ القرضاوي(يوسف) : الخصائص العامة للإسلام - دار الشهاب للطباعة والنشر- باتنة - الجزائر- ١٩٨٤م .
-٨١ ماضي (محمود) : عصمة الأنبياء بين اليهودية والمسيحية والإسلام - مكتبة الإيمان للطبع والنشر والتوزيع- الاسكندرية - (بدون تاريخ) .
-٨٢ محمود (عبد الحليم) : - التفكير الفلسفي في الإسلام - مكتبة الأنجلو- ١٩٦٤م .
- الإسلام والعقل- دار الكتب الحديثة - (بدون تاريخ) .
-٨٣ مرجان (محمد مجدي) :المسيح إنسان أم إله - هذبه وحققه وعلق عليه عبد الرحمن دمشقية - (بدون معلومات النشر) .
-٨٤ ناصر (محمد علي) : أصول الدين الإسلامي -(بدون معلومات النشر) :
-٨٥ وافي(عبد الواحد) : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام - مكتبة نهضة مصر- ١٩٦٤م .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيـــة	رقمها	الصفحة
(الفاتحة)		
- الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ	١	١١٤
- اِهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ	٥	١٥٦
(البقرة)		
- ألم . ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ	١، ٣	٢٤
- قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا	٣٨	٤٤
- يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي........................	٤٠	١٤٩
- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا........................	٦٢	٧٢،٧٣
- قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ	٩٤	١٥٠
- وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا........	١١١	١٥١
- وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ	١١٦	١٥٧،٢١٣
- وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ	١٣٢	٢٨
- وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ........	١٣٦	١٧٦
- الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ........................	١٤٦	١٤٨
- إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ........................	١٦٤	٢٣٨
- وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ	١٧٠	٦٥،٢٣٦
- وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ	١٨٦	٢١٦
- كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً	٢١٣	١٧
- تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ	٢٥٣	١٦٦،٢٠٨
- لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ	٢٥٦	٢٤٨
(آل عمران)		
- نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ	٣	١٧٦
- إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ	١٩	٨،٩،٢٧،٣١،١٢٥
- إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ........................	٢١	١٣٧
- إِذْ قَالَتِ المَلاَئِكَةُ يَامَرْيَمُ........................	٤٥	٢٠٨
- وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ	٤٦	١٧٦
- وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ	٤٨	١٣٨،١٦٦،١٦٧
- وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ........................	٤٩	١٣٨
- فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ	٥٢	١٩٨،١٩٩
- إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ	٥٥	١٦٢،١٦٣،١٧٤،٢٠٦،٢١٢
- إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ	٥٩	٢١٤
- فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ	٦١	١٤٣،١٤٦،١٥٤،٢١٦،

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيــــة	رقمها	الصفحة
- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ	٦٤	٢٢٣،٢٥٠
- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ	٦٥	١٠٢،١٤١
- مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا	٦٧	٢٤٦
- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ	٧٠	١٤٢
- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ	٧١	١٤٢
- وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ تَأْمَنْهُ عَلَى قِنْطَارٍ	٧٥	١٢٩
- وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ	٧٩	٢١٨
- وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ	٨١	٣٢
- أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ	٨٣	٣١
- وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا	٨٥	٩،٢٧
- كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ	٩٣	١٤٧
- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ	٩٩	١٤٣
- وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ	١٠٤	٢٠٣
- لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ	١١٣	٢٥١
(النساء)		
- مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ	٤٦	١٠٧،١٢٤
- إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ	٤٨	٨٠
- أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ	٨٢	٢٢،١٣٠
- إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا	١١٧	٦٣
- لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ	١٢٣	١٥١
- وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ	١٢٥	٧
- وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ	١٥٧	١٣٩،١٦١،١٨٦
- إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ	١٦٣	٢١،٣٢،١٠١
- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ	١٧١	١٣٥،١٦٥،١٦٦،١٩١،١٩٧ ، ٢٠٨،٢٠٩، ٢١٢ .
- يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ	١٧٤	٢٣٩
(المائدة)		
- الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ	٣	٥،٢٧
- فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ	١٣	١٠٥،١٢٢،١٢٤
- لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ	١٧	١٨٨
- وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى	١٨	١٠٢،١٢٩،١٥١
- وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ	٢٠	٩٦،١٠٣

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيــــة	رقمها	الصفحة
- وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ	٤٣	١٠٤
- إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ	٤٤	٢٠،٣٠،١١٠،١١٩،٢٢٢،٢٥٢
- وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ	٤٥	١٠٥،١٢٢،٢٥٢
- وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ	٤٦	١٦٦،١٧٦،٢٥٢
- وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ	٤٧	٢١،١٧٧،١٧٨،٢١٨
- وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ	٤٨	٢٥٢
- وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ	٦٤	١٣٤
- وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ	٦٦	١١٠
- يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ	٦٧	١٤٠،٢٢٢
- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ	٦٩	٧٢
- لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ	٧٢	١٣٨،١٨٣
- مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ	٧٥	١٣٨،٢٠٨،٢٠٩،٢٣١
- لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ	٧٨	١٢٩
- لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا	٨٢	١٤٢،١٥٥،٢٥١
- لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ	٧٣	١٨٨،١٩١
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ	١٠١	١٣٦
- وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ	١٠٤	٢٣٦
- وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ	١١٦	٢٣،١٥٨،١٧١،١٨٤،٢١٠،٢١٣
- مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ	١١٧	٢٣
(الأنعام)		
- قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ	١٩	٢٠
- قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ	٥٠	٩٢
- وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ	٧٤	٤٦
- فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي	٧٧	٦٩
- إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ	٧٩	١١
- وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ	٨١	٢٤٠
- وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ	٨٣	٢٤٠
- إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ	٩٥	٨١
- وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ	١٠٠	٦٣،٦٦
(الأعراف)		
- وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا	٢٨	٢٣٦

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيـــة	رقمها	الصفحة
- يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ	٣١	٢٠٥
- لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ	٥٩	٢٤٥
- وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا	٦٥	٢٤٥
- وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا	٧٣	٢٤٥
- وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا	٨٥	٢٤٥
- وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا	١٢٦	٢٩
- وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ	١٤٥	١٠٥
- إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ	١٥٦	٩٨
- الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ	١٥٧	١٤٧،١٢٥،١٠٥
- قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ	١٥٨	١٤٠
- وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا	١٦٠	١٠١
- وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ	١٧٢	٢٢٦،٣٢،١٦،١٣،١٢
- وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ	١٧٩	٢٣٩
- أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا	١٩١	٨٠
- إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ	١٩٤	٦٧
(الأنفال)		
- مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى	٦٧	٢٢٢
(التوبة)		
- وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ	٣٠	١٣٩،٥٢
- اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ	٣١	٢٢٠،٢٠١،١١٥،٦٧
- إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ	١١١	١٧٦
(يونس)		
- وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا	١٢	٢٢٦
- فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ	١٦	٢٣٨
- وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا	٣٦	٧٦
- وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ	٧٢	٢٨
- يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ	٨٤	٢٩
- وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ	٩٠	١٣٤
(هود)		
- وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا	٥٠	٣٢
- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ	٢٥	٣٢
- فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ	٢٧	٩٣،٩٢

الآيـــة	رقمها	الصفحة
- أنلزمكموها وأنتم لها كارهون	٢٨	٢٤٧
- تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك	٤٩	٢٤٤
- ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى	٦٩	١١٣
(يوسف)		
- نحن نقص عليك أحسن القصص	٣	٢٤٤
- وكذلك يجتبيك ربك	٦	١٠١
- ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك	٧٦	٧
- رب قد آتيتني من الملك	١٠١	٢٨
(الرعد)		
- الله الذي رفع السموات بغير عمد	٢	٨١
- قل من رب السموات والأرض	١٦	٥٧
(ابراهيم)		
- كتاب أنزلناه إليك	١	٢١٨
- واجنبني وبني أن نعبد الأصنام	٣٥	٣٨
(الحجر)		
- إنا نحن نزلنا الذكر	٩	٢١٨،١٣١
- فإذا سويته ونفخت فيه من روحي	٢٩	١٦٩
(النحل)		
- ينزل الملائكة بالروح من أمره	٢	١٦٩
- أفمن يخلق كمن لا يخلق	١٧	٧٨،٥٧
- وأقسموا بالله جهد أيمانهم	٣٨	٦٠
- وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس	٤٤	٢٢٢
- وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين	٥١	٥٩
- وإذا بشر أحدهم بالأنثى	٥٨	٦٦
- ويجعلون لله ما يكرهون	٦٢	٦٦
- والله أخرجكم من بطون أمهاتكم	٧٨	٨٢
- ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء	٨٩	٢١٨
- ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر	١٠٣	٢٤٣
(الإسراء)		
- وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل	٢	١٤١
- وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه	١٣	٢٠٠
- قل لو كان معه آلهة كما تقولون	٨٥	١٧٠

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيــة	رقمها	الصفحة
- وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ	٨٨	٦٥
- قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ	٩٠	٩٤
- وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا...	٤٢	١٢
- أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ	١٠٢	١٢
- قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ........	٩٩	٢٠٧
(الكهف)		
- أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي........	٥٠	٦٤
- قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ	١١٠	٢٣٠
(مريم)		
- وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ........	١٦	١٦٢
- فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا........	٢٢	١٦٤
- فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ........	٢٧	١٦٣
- يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ........	٢٨	١٦٣
- قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ	٢٩	٢١٢
- وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ	٤١	١١٨،٤٦
- أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ........	١٥٠	٩٧
- وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا........	٦٦	٨٦
- وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً........	٨١	٥٣
- وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا	٨٨	٦٨
(طـه)		
- وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي	٣٩	١١٥
(الأنبياء)		
- وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَى إِلَيْهِمْ........	٧	٩٣
- وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ	١٦	٦١
- يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ	٢٠	٦٦
- أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ	٢١	٧٧،٧٦
- لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا........	٢٢	٢٣٩
- أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ........	٢٤	٢٤٠
- وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ	٢٥	٢٨،٢٢،٢١
- يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ	٢٨	١٩٦
- وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ	٢٩	١٩٦
- أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ	٣٠	٨٢

مكتبة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيـــة	رقمها	الصفحة
- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ........	٤٨	٢٤٤
- وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ	٥١	٢٤٤
- إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ	٥٢	٣٢
- قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا	٥٩	٤٦
- قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ........	٦٦	٤٦
- قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ........	٦٨	٤٦
- وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا........	٧٣	١٩٥
- وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا........	٧٤	٢٤٤
- إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً	٩٢	٣٢
(الحج)		
- يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ........	٥	٨٧
- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ	١٧	٧٣،٧٢
- فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ	٣٠	٣٧
- أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ........	٤٦	٢٣٩
- وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ........	٧٨	٢٣٢
(المؤمنون)		
- وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا	٣٣	٩٣
- بَلْ قَالُوا مِثْلَمَا قَالَ الْأَوَّلُونَ	٨١	٩٧
- مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ........	٩١	٧٦
- أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا	١١٥	٢٣٢،٨٨،٨٦،٦١
- وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ........	١١٧	٢٣٩،٢٣٤،٧٥
(النور)		
- الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ........	٢	٧
(الفرقان)		
- وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا........	٣	٥٧،٥٣
- وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا........	٥	٢٤٣
- وَقَالُوا مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ........	٧	٢٣٠
- وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ	٢٠	٩٤
- أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ........	٤٥	٨٢
- تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا	٦١	٨٥
(الشعراء)		
- إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ........	١٠٦	٣٣

مكتبة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيــة	رقمها	الصفحة
- قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ..........	١٥٣	٩٣
- إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ..........	١٧٧	٣٣
(النمل)		
- وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا..........	١٤	١٢
- رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ..........	٤٤	٣٠
- أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ..........	٦٢	٥٧
(القصص)		
- وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا..........	٧٥	٢٣٩
- وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ..........	٧٧	٢٠٤
(العنكبوت)		
- إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا..........	١٧	٣٧
- وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..........	٤٦	١٤٦،١٤٧،١٥٧
- وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ..........	٤٨	٢٤٣
(الروم)		
- فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا..........	٣٠	١٢،١٤،٢٢٤
(لقمان)		
- يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا..........	٣٣	٢٠٠
(الأحزاب)		
- وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ..........	٧	٣٢
(سبا)		
- وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا..........	١٠	١١٩
- وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا..........	٤٠	٦٥
(فاطر)		
- الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..........	١	١١
- إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ..........	٢٨	٨٢
(يس)		
- وَنُفِخَ فِي الصُّورِ..........	٥١	٢٥
- وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ..........	٧٤	٥٥،٥٩
- وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ..........	٧٨	٦١،٨٥
- أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ..........	٨١	٨٨،٢٠٧
(الصافات)		
- وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ..........	١٥	٢٤٣

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيـــة	رقمها	الصفحة
- أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون..........	١٦	٦٣
- وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا..............	١٥٨	٦٤
(ص)		
- أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب	٥	٧٥
- واذكر عبدنا داود ذا الأيد..............	١٧	٧٥
- وهل أتاك نبأ الخصم	٢١	١٢٠
- إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين	٧١	٢١٢
(الزمر)		
- والذين اتخذوا من دونه أولياء..............	٣	٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٢٢٧
(غافر)		
- لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار	١٦	٧
- إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان	٥٦	٢٣٧
- لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس	٥٧	٢٠٧
(فصلت)		
- ثم استوى إلى السماء وهي دخان	١١	٣١
- ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر	٣٧	٦٩
(الشورى)		
- كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله.........	٣	٣٣
- يكاد السموات يتفطرن من فوقه..............	٥	٣١
- شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا	١٣	٨، ٢٤٦
- وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا	٥١	٢٢
- وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا	٥٢	١٦٩
(الزخرف)		
- وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا	١٩	٦٥، ٦٦، ٢٢١
- وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل	٣١	٢٢١
(الجاثية)		
- إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين	٣	٢٢٧
- من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها	١٥	٢٠٠
- أم حسب الذين اجترحوا السيئات..............	٢١	٢٣٢
- وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا	٢٤	٨٩
(الأحقاف)		
- إئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم	٤	٥٨، ٢٤٤

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيـــة	رقمها	الصفحة
- أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ	٣٣	٢٠٧،٨٨
(الفتح)		
- إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ	٢٦	٤٢
- ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ	٢٩	١٧٦
(الحجرات)		
- يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى	١٣	١٣٠
(ق)		
- وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا	٣٨	١١٤
(الذاريات)		
- وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ	٥٦	٦١
(الطور)		
- أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ	٣٥	٢٢٦،٨٣
(النجم)		
- أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ	٣٦	٢٥
- أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى	٣٨	٢٠٠،١٢٦،٢٥
- وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى	٤٠	٢٥
(الواقعة)		
- نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلاَ تُصَدِّقُونَ	٥٧	٨٤
(الحديد)		
- ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا	٢٧	٢٣٢،٢٠٨،٢٠٤،١٧٦،١٦٦،١٦
(المجادلة)		
- أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ	٢٢	١٧٠
(الحشر)		
- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا	١١	١٤٢
(الصف)		
- وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ	٥	١٤٠
- وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ	٦	١٣٩
(الجمعة)		
- قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ	٦	١٥٠،١٢٧
(التحريم)		
- لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ	٦	٦٦

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	الصفحة
(الملك)		
- وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ	١٠	٢٣٨
(القلم)		
- أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ	٣٥	٦٢
(المعارج)		
- تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ	٤	١٧٠
- كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ	٤٣	٣٨
(نوح)		
- إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ	١	٢١
-قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي	٢١	٤٥
(الجن)		
- قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ	١	٦٤
- وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ	١٤	٦٥
(القيامة)		
- أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى	٣٦	٨٦
(المرسلات)		
- وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ	١١	٣٦
(النبا)		
- أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا	٦	٨٥
- يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا	٣٨	١٧٠
(عبس)		
- فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ	٢٤	٨٥
(الأعلى)		
- فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى	٩	٢٠٣
- سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى	١٠	٢٠٣
- إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى	١٨	٢٤٦
(الغاشية)		
فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ	٢١	٢٠٣
- أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ	١٧	٨٥
(التين)		
-فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ	٦	٧
(القدر)		
- تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا	٤	١٧٠

عبد القادر الأمير للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	الصفحة
(الكافرون)		
- لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ	٦	٩٠٧
(الإخلاص)		
- قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ	١	٢٣٥،٦٨

٣ - فهرس الأحاديث النبوية

أطراف الحديث	الراوي	الصفحة
- الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ..........................	الترمذي وابن ماجة	٠٣
- نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ أَبْنَاءُ عِلاَّتٍ..........................	البخاري ومسلم	٢٧
- مَثَلِي وَ مَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا.....	مسلم	٣٣
- أَتَيْتُ النَّبِيَّ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ..........	أحمد و الترمذي	٣٦
- مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ...........	البخاري و مسلم	٢٢٦،٧٣،٧١،١٤
- أُولَئِكَ كَانُوا إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ..........	البخاري	٤٥
- لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ..........	البخاري	١٠٩
- وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ	البخاري و مسلم	١٩٧
- أَلَمْ يَكُونُوا يُحِلُّونَ لَكُمُ الحَرَامَ فَتَسْتَحِلُّوهُ..........	أحمد و الترمذي وابن جرير.	٢٢٠

جمعية الأمير عبد القادر للعوة الإسلامية

٤ - فهرس العهد القديم و العهد الجديد

أولا : العهد القديم (التوراة)

الفقرة	السفر أو الكتاب	الإصحاح	الصفحة
وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا	التكوين	٣	٢٢٩
وصارع الإله إبراهيم حتى باركه فأطلقه..........	التكوين	٣	١١٢. ٢٣٠
وظهر له الرب عند بلوطات ممرا...........	التكوين	١٨	١١٣
وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب	التكوين	٢	١١٧
فأكملت السموات والأرض وكل جندها	التكوين	٢٢	١١٤
فاضربوا رقاب جميع رجالها	التثنية	٢٠	١٢٨
فمات موسى عبد الرب في أرض مؤاب	التثنية	٣٤	١٣١
إذا كان أخوك في حالة عوز وحاجة...........	اللاويين	٣٥	١٢٨
وصعد لوط من صوغر	الملوك الأول	١١	١٢١
إن داوود كان يمشي على سطح قصره.............	صموئيل الثاني	١١	١١٨. ١١٩

ثانيا : العهد الجديد (الإنجيل)

الفقرة	الإنجيل	الإصحاح	الصفحة
قال المسيح في خطاب مريم المجدلية..........	يوحنا	٢٠	١٧١
ياأبتاه في يدك أستودع روحي..........	لوقا	٢٠	١٧٢
أقول لكم من الآن لا تبصرون ابن الإنسان........	متى	٢٦	١٧٣
جاء يسوع إلى الجليل............	مرقص	١	١٧٨
الكلام الذي تسمعونه مني ليس لي بل للأب.........	يوحنا	٢٤	١٧٢
ياأيها الأعزاء إن الله العظيم	برنابا	١	١٨٣
قدم المسيح وكبير الكهنة	برنابا	٩٣	١٨٤
إنك المسيح ابن الله............	برنابا	٧٠	١٨٤
الحق أقول لكم أنكم إذا أمعنتم النظر..........	برنابا	٧٠	١٨٥
وإن ابن الإنسان جاء لينقذ ويخلص	لوقا	٧٠	١٩٩
أعطيك مفاتيح ملكوت السموات..........	متى	١٦	٢٠٢
لا تقتنوا ذهبا ولافضة ولا نحاسا..........	متى	١٠	٢٠٤
إن مرور جمل من ثقب إبرة..........	متى	١٩	٢٠٤

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-٥- فهرس الأعلام*

(حرف الألف)

- آدم : ١٢ . ١٦ . ١٨ . ٣١ . ٤٤ . ٤٦ . ٤٧ . ٩٧ . ١١٢ . ١٦٢ . ١٦٣ . ١٧٤ . ١٨٥ . ١٩٣ . ١٩٤ ، ٢٠١ . ٢٠٥ . ٢٠٦ . ٢٠٧ . ٢١٢ . ٢١٣ . ٢١٤ . ٢٢٦ .
- الأزرقي : ٥٤ .
- الأزهري : ٣٦ .
- الأسباط : ٢١ . ٣٢ . ١٠١ .
- إسحاق : ٢١ . ٣٢ . ٩٧ . ١٠١ . ١٤٣ . ١٨٥ .
- أبوإسحاق : ٣٨.
- ابن إسحاق : ١٤٤ . ١٤٥ .
- إسماعيل : ٢١ ، ٣٢ ، ٤٨ . ٩٧ . ١٠١ . ١٤٣ . ٢٤٥.
- ابن الأعرابي : ٣٦ . ٣٨ .
- أيوب : ٢١ ، ٣٢ ، ١٠١ ، ٢٤٥.

(حرف الباء)

- بطرس : ١٨٤.
- بلقيس : ٣٠ .

(حرف التاء)

- ابن تيمية (تقي الدين): ١٦٣ ، ١٦٨.

(حرف الجيم)

- الجاحظ (عمرو بن بحر) : ١٨٩ . ١٩٠ .
- الجبهان (أحمد سليمان) : ١٦٢ . ١٧٣ . ١٧٤ .
- جرجس داوود داوود : ٤٠ . ٤١ .
- جعفر الصادق : ٢١٤ .

* لقد اعتمدت في إعداد هذا الفهرس على ترتيب الأعلام ترتيبا أبجديا ، مع عدم الأخذ بعين الإعتبار ال التعريف ، أبو ، أخو ،إبن . كما أسقطت من الإعتبار بعض الأعلام التي لم ترد كثيرا في ثنايا البحث إكتفاء بالعلم الأشهر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(حرف الحاء)

- حتي (فيليب) :٤٢ .
- حزقيال :١٤٣.
-حواء : ١١٢ .

(حرف الخاء)

- الخربوطلي : ٤٠ .

(حرف الدال)

- داوود : ٢١ . ٣٢ . ١١٨ . ١١٩ . ١٧٣ .
- دراز (عبد الله) : ٣ . ٨ .
- دروزة (محمد عزة) : ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٧٠ .

(حرف الراء)

- الرازي (محمد فخر الدين) : ٧٨ .
- الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد) : ١١ .
- رضا (محمد رشيد) : ٦ . ٢٥ . ٦١ . ٧٢ . ٨٦ . ٨٨ . ١١٦ . ١٢٦ . ١٣٠ ، ١٣٦ . ١٦٩ . ١٩٦ . ١٩٨ ، ٢٢٤ . ٢٣٠ . ٢٣١ . ٢٣٦ . ٢٣٧ . ٢٣٩ . ٢٤٠ .

(حرف الزاي)

- زرادشت : ٢٣ .
- زكريا : ١٦٦ ، ٢٤٥ .
- الزمخشري (محمود بن عمر) : ١٣ ، ١٤ .
- أبو زهرة : ٢٣ ، ٣٩ ، ١٠٩ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٨١ .

(حرف السين)

- أبو السعود (محمد بن محمد العمادي) : ٧٨ .
- سلطان (محمد هشام) : ٥٣ . ٢٣٤ .
- سليمان (عليه السلام) : ٢١ . ٣٠ ، ٣٢ ، ١٠١ ، ١٢١ .
- السمالوطي (نبيل محمد توفيق) : ٤ . ٢٢٧.
- السيوطي (جلال الدين) : ٧٦ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(حرف الشين)

- شتيوي (محمدشلبي) : ١٠٨ . ١٠٩ . ١١٠ . ١١١ .

- الشرفي (عبد المجيد) :١٥٥ . ١٥٦، ١٥٨ .

-بن الشريف (محمود) : ١٢١ . ١٢٥ . ١٢٦ ، ١٣٢ . ١٦٢ . ١٦٦ . ١٦٨ . ١٦٩ . ١٧٠ ، ١٧٣ . ١٧٥ ، ١٧٧ .

- شعيب (عليه السلام) :٣٣، ٩٣ ، ٢٤٥ .

- شلتوت(محمود): ١٩٩ .

- الشهرستاني : ٧٠ .

(حرف الصاد)

- الصابوني(محمد علي) :٣، ٧ . ٨ ، ٢٤ . ٣٧ . ٤٤ . ٤٥ . ٦٥ . ٧١ . ٧٦ . ١١١ . ٢٤٣ .

-صالح (عليه السلام) : ٩٣ . ٢٤٥ .

(حرف الطاء)

- الطبرسي : ٧٧ .

- الطبري (ابن جرير) : ٢٩ ، ٣٠ . ١٦٣ .

(حرف العين)

- عزير (عليه السلام) : ١٢٣ ، ١٢٤ . ١٣٥ ، ٢٠٩ . ٢٢٥ .

- عيسى (عليه السلام) :

٢١ . ٢٣ . ٣٠ . ٣٢ . ٩٦ . ١٢٩ . ١٣٧ . ١٤٠ . ١٥٤ . ١٥٦ . ١٥٧ . ١٦٢ . ١٦٣ . ١٦٥ . ١٦٦ . ١٦٧ . ١٦٩ . ١٧٠ ، ١٧٣ . ١٧٤ . ١٧٥ . ١٧٦ . ١٧٧ . ١٧٨ . ١٨٠ . ١٨٣ . ١٨٤ . ١٨٥ . ١٨٨ . ١٨٩ . ١٩٣ . ١٩٨ . ٢٠١ . ٢٠٦ ، ٢٠٧ . ٢٠٨ . ٢١٠ . ٢١١ ، ٢١٢ . ٢١٣ . ٢١٤ . ٢١٩ . ٢٤٦ . ٢٥١ .

(حرف القاف)

- قتادة : ٣٠ ، ٥٤ .

-القرضاوي (يوسف) : ٢١٨ . ٢٢٠ . ٢٢١ ،

- قطب(السيد) :١٣ . ١٤ . ١٨ . ٣٧ ،
٥٥ . ٥٦ . ٥٩ . ٦٠ . ٦٢ . ٦٣ . ٦٥ . ٦٨ . ٧١ . ٧٣ . ٧٦ . ٧٨ . ٩٨ . ٩٩ . ١٠٦ . ١٠٧ . ١٩٧ . ٢٢٥ . ٢٣٣ ، ٢٤٢ . ٢٤٣ . ٢٤٨ . ٢٥٠ . ٢٥١ ، ٢٥٢ .

- ابن القيم الجوزية (شمس الدين محمد بن أبي بكر) : ٧٧ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(حرف الكاف)

- ابن الكلبي :٣٧ . ٣٨ . ٤٩ . ٥١ . ٦٧.

(حرف اللام)

- لوط (عليه السلام): ٣٣ . ١١٢ . ١١٣ . ١١٦ . ١٢١ . ٢٤٤.

(حرف الميم)

- محمد (صلى الله عليه وسلم) : ١٨ . ٢٧ . ٣٠ . ٣٢ . ٦٠ . ٩١، ١٠٥ . ١٠٨ . ١١٦،
١٢٥ . ١٤٠ . ١٤٧ . ١٧٨ . ٢٢١ . ٢٢٢ . ٢٣٠ . ٢٤٣ .

- مريم (عليها السلام) : ١٥٤ . ١٥٦ . ١٦٥ . ١٦٦ . ١٦٨ . ١٧١، ١٨٩ . ٢٠٨ . ٢١٣ .

- ابن منظور : ٣٦ . ٣٧ . ٣٨.

-موسى (عليه السلام) : ١٢ . ٢٠ . ٢٥، ٢٦ . ٢٩ . ٣٢ . ٩٨ . ١٠٢ . ١٠٣ . ١٠٤ . ١٠٧ . ١٠٨ . ١١٥،
١١٦، ١٢٣ . ١٢٤ . ١٢٥ . ١٢٦ . ١٢٧ . ١٢٨ . ١٣٠ . ١٣١ . ١٣٢ . ١٣٣ . ١٣٤،
١٣٥ . ١٣٦ . ١٤٠ . ١٥٧، ١٦٦ . ١٧٦ . ٢١٩ . ٢٢٦ . ٢٧٣ . ٢٤٦ .

(حرف النون)

- النجار (عبد الوهاب) :١٧٨ . ١٨٧ .

- نوح (عليه السلام) : ٨ . ٢١ . ٢٨ . ٣٢ . ٣٣ . ٤٥ . ٤٦ . ٤٧ . ٤٨ . ٩٢ . ٩٣ . ١٠١ . ١٢٢ . ٢٤٧ . ٢٤٩.

(حرف الهاء)

- أبو هريرة (رضي الله عنه) : ١٤ . ٧١ . ٩ . ١٠ .

- الهندي (رحمة الله) : ١٢٢ . ١٢٣ . ٢٤١ .

- هيكل (محمد حسين) : ٧١.

(حرف الواو)

- وافي (عبد الواحد) : ١٢٤ . ١٨٦ .

- الواقدي(علي بن الحسين) : ١٦٨ .

(حرف الياء)

- يعقوب (عليه السلام) : ١٧ . ٩٦ . ٩٨ . ٩٩ .

- يوسف (عليه السلام) : ٢٨ . ٣٢، ١٠١ . ١٠٢.

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

٦- فهرس المذاهب والفرق والأديان

(حرف الألف)

- الإسلام: ٥. ٩. ١١. ١٢. ١٣. ١٤. ١٥. ١٦. ١٩. ٢٧. ٢٩. ٣٠. ٣٢. ٣٥. ٤٠. ٤١. ٤٢. ٥٣. ٥٥، ٥٦. ٢٠٣. ٢٠٤. ٢٠٦. ٢٣٤

(حرف الباء)

- البوذية: ٩.

(حرف الجيم)

- الجاهلية : ٤٠. ٤١. ٤٢، ٤٣، ٥٦. ٦٣ .

(حرف الحاء)

- الحنيفية : ١٢. ٢٤. ٧١. ١٤١.

(حرف الدال)

- الدهريون : ٦٢ .
- الديانة المصرية القديمة : ٢٦ .

(حرف الزاي)

- الزرادشتية : ٥٣ .

(حرف الشين)

- الشرك : ٢٩. ٤٠. ٧٤. ٧٥. ٧٧. ٨٠. ١٢٢. ٢٢٥.

(حرف الصاد)

- الصابئة : ٧٠، ٧١. ٧٢. ٧٣ .

(حرف الطاء)

- الطوطمية : ٤٨ .

(حرف العين)

- عبدة الأوثان : ٧٤ .
- عبدة الجن : ٦٣. ٧٤.
- عبدة الملائكة : ٦٤. ٧٤ .
- عبدة النجوم والكواكب : ٧٢. ٧٣. ٧٤ .
- العيسوية : ٥٣ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(حرف الميم)

- المثنوية : ٥٩ . ٧٤ .
- المجوسية : ١٥ . ٣٩ .
- منكروا البعث : ٦٠
- المزدكية : ٥٣ .

(حرف النون)

- النصرانية : ١٥، ٣٣ . ٣٥ . ٥٢ . ٦٧ . ٧٣ . ١٥٤ . ١٥٥ . ١٥٦ . ١٥٧ . ١٥٨ . ١٥٩، ١٦٠ . ١٦٢ . ١٦٥، ١٧٣ . ١٨٧ . ١٩١ . ٢٠١ . ٢٠٣، ٢١٠ . ٢١٦ . ٢٣٢.

(حرف الواو)

- الوثنية : ٣٦ . ٣٩ . ٤٠ . ٤١ . ٤٣ . ٤٤ . ٤٥ . ٤٦ . ٤٧ . ٤٨ . ٤٩ . ٥٠ . ٦٣ . ٦٧ . ٧٥ . ٩٥ . ١٤١ . ١٤٢ . ١٤٣ . ١٤٤ . ١٦٢ . ١٨٦ . ١٨٨ . ٢٣٦.

(حرف الياء)

- اليهودية : ٣٣ . ٣٥ . ٥٢ . ١٠٢ . ١١٣ . ١٢٦ . ١٢٩ . ١٤٣ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-لا-فهرس الموضوعات

-مقدمة

- الفصل الأول : مفهوم الدين،وخصائص الدين السماوي والدين الوضعي ١

-المبحث الأول: مفهوم الدين في اللغة والاصطلاح . ٣

-١ مفهوم الدين في اللغة. ٣

-٢ مفهوم الدين في الاصطلاح . ٥

-٣ مفهوم الدين في القرآن الكريم . ٧

- المبحث الثاني : فطرية التدين في الطبيعة البشرية ١١

- المبحث الثالث : خصائص الدين السماوي والدين الوضعي ٢٠

الخاصية الأولى: الوحي الإلهي . ٢٠

الخاصية الثانية : الرسول المبلغ للوحي. ٢١

الخاصية الثالثة : سلامة الدين السماوي من التناقض والاضطراب . ٢٢

الخاصية الرابعة :اشتماله على عقيدة التوحيد . ٢٣

الخاصية الخامسة : اشتماله على الإيمان بالغيب. ٢٤

- المبحث الرابع : وحدة الدين السماوي - قبل التحريف- في القرآن الكريم . ٢٧

الفصل الثاني : منهج القرآن الكريم في نقد الوثنية .

-تمهيد ٣٥

- المبحث الأول : مفهوم الوثنية وعلاقتها بالجاهلية . ٣٦

-١ مفهوم الوثنية في اللغة والاصطلاح . ٣٦

-٢ علاقة الوثنية بالجاهلية . ٤٠

- المبحث الثاني: ظهور الوثنية بين القرآن الكريم وآراء الباحثين والمؤرخين . ٤٤

-١ القرآن الكريم والوثنية ٤٤

-٢ ظهور الوثنية في آراء الباحثين والمؤرخين . ٤٦

- المبحث الثالث : الفرق الوثنية قبل الإسلام وموقف القرآن منها . ٥٢

-١ عبدة الأصنام والأوثان . ٥٣

-٢ المثنوية . ٥٩

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-٣ المنكرون للبعث ٦٠
-٤ الدهريون . ٦٢
-٥عبدة الجن . ٦٣
-٦عبدة الملائكة . ٦٤
-٧ عبدة الأشخاص والرؤساء والرهبان . ٦٧
-٨ القائلون ببنوة أخص الناس لله . ٦٨
-٩ عبدة النجوم والكواكب وصلتهم بالصابئة والمجوس ٦٩
- **المبحث الرابع** : **خصائص المنهج القرآني في نقد الوثنية .** ٧٤
المستوى الأول : منهج القرآن الكريم **في نقد عقيدة الشرك .** ٧٤
- ***الخاصية الأولى*** : الاستدلال **العقلي .** ٧٥
- ***الخاصية الثانية*** : الاستدلال بالخلق على وحدانية الخالق . ٧٨
المستوى الثاني : منهج القرآن الكريم في **نقد عقيدة الدهريين .** ٨٠
- ***الخاصية الأولى*** : الاستدلال بالكون على وجود الله. ٨١
- ***الخاصية الثانية*** : الاستدلال العقلي . ٨٣
المستوى الثالث : منهج القرآن الكريم في نقد عقيدة إنكا رالبعث واليوم الآخر ٨٥
- ***الخاصية الأولى*** : الاستدلال بالنشأة الأولى على إمكان البعث. ٨٥
- ***الخاصية الثانية*** :الاستدلال الحسي والواقعي . ٨٧
- ***الخاصية الثالثة*** : الاستدلال بقدرة الله على إمكان البعث . ٨٧
- ***الخاصية الرابعة*** : رفض عقيدة إنكار البعث لقيامها على الظن . ٨٩
المستوى الرابع : منهج القرآن الكريم **في نقد عقيدة إنكار النبوة .** ٨٩
-١ عرض الفكرة ومناقشتها **من خلال** تاريخ النبوات . ٩٢
-٢ تصحيح فكرة النبوة القائمة على الخوارق . ٩٣
- **الفصل الثالث: منهج القرآن الكريم في نقد اليهودية .**
تمهيد ٩٦
المبحث الأول: اليهود : أصل التسمية والنشأة التاريخية. ٩٧
-١ أصل التسمية . ٩٧
-٢ النشأة التاريخية ١٠٠

المبحث الثاني: القرآن الكريم والتوراة. ١٠٤
المبحث الثالث: العقيدة والشريعة عند اليهود وموقف القرآن الكريم منها. ١١٢
-١مظاهر التحريف ودلائله في العقيدة اليهودية . ١١٢
أولا: عقيدة الألوهية عند اليهود وموقف القران منها . ١١٢
ثانيا: عقيدة النبوة عند اليهود وموقف القرآن منها . ١١٥
ثالثا: عقيدة اليوم الآخرعند اليهود وموقف القرآن منها . ١٢٦
-٢ مظاهر التحريف في الشريعة عند اليهود وموقف القرآن الكريم منها ١٢٨
المبحث الرابع : القرآن الكريم ونقد الجانب الأخلاقي في اليهودية . ١٣٣
أولا: بنوإسرائيل وعلاقتهم بالله . ١٣٣
ثانيا : بنوإسرائيل مع الأنبياء ودين السماء عموما. ١٣٧
ثالثا: المسيح وبنوإسرائيل . ١٣٧
رابعا: موقف القرآن الكريم من بني إسرائيل ١٤٠
المبحث الخامس : خصائص المنهج القرآني في نقد اليهودية. ١٤٤
الخاصية الأولى : الاستدلال بوحدة الدين السماوي. ١٤٦
الخاصية الثانية : الاستدلال النقلي أو الاستدلال بالتوراة . ١٤٧
الخاصية الثالثة : مواجهة اليهود بالأساليب الوعظية العاطفية. ١٤٨
الخاصية الرابعة : الاستدلال العقلي والواقعي . ١٥٠
- الفصل الرابع : منهج القرآن الكريم في نقد النصرانية .
تمهيد. ١٥٤
المبحث الأول : المسيح بين القرآن والإنجيل ١٦١
-١ المسيح في القرآن الكريم . ١٦١
-٢ المسيح في الإنجيل . ١٧١
المبحث الثاني : الإنجيل في ميزان القرآن الكريم. ١٧٦
المبحث الثالث : إنجيل برنابا وعقيدة القرآن الكريم في المسيح . ١٨٣
المبحث الرابع : القرآن الكريم وعقيدة التثليث . ١٨٧
المبحث الخامس : القرآن الكريم و عقيدة الصلب و الفداء و سلطة الرؤساء ١٩٣
أولا : القرآن الكريم وعقيدة الصلب والفداء . ١٩٣
ثانيا: موقف القرآن الكريم من السلطة الدينية في النصرانية . ٢٠٢

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث السادس :خصائص المنهج القرآني في نقد النصرانية. ٢٠٦

الخاصية الأولى : ضرب المثل ٢٠٦

الخاصية الثانية:الاستدلال بالصورة الحسية . ٢٠٧

الخاصية الثالثة : عرض العقيدة في إطارها العقلي والواقعي . ٢٠٩

الخاصية الرابعة : الاحتجاج بالمباهلة أو أسلوب التأثير النفسي. ٢١٤

- الفصل الخامس : الخصائص العامة لمنهج القرآن الكريم في نقد الأديان . ٢١٧

المبحث الأول : ***الخاصية الأولى*** : الاستدلال بالمنهج الرباني ٢١٨

المبحث الثاني : ***الخاصية الثانية***: الاستدلال بالمنهج الفطري ٢٢٤

المبحث الثالث : ***الخاصية الثالثة*** : الاستدلال بالمنهج الواقعي . ٢٢٨

المبحث الرابع : ***الخاصية الرابعة*** : الاستدلال بالمنهج العقلي . ٢٣٤

المبحث الخامس : ***الخاصية الخامسة*** : الاستدلال بالمنهج القصصي التاريخي . ٢٤٢

المبحث السادس : ***الخاصية السادسة*** : الاستدلال بالمنهج الموضوعي . ٢٤٧

خاتمة ونتائج البحث. ٢٥٤

الفهارس . ٢٥٦

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

tout type de reliure
فاتح السعادة للنسخ
FATEH ES SAADA
COPY
Cité Fadila SAADANE - Bt C
CONSTANTINE

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية